# مطالعات في المؤلفات التاريخية اليمنية

## (دراسة نقدية)


إعداد

عبد الواحد محمد راغب

دالال

# مطالعات في المؤلفات التاريخية اليمنية

## (دراسة نقدية)

إعداد

عبدالواحد محمد راغب

دلال

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

من المعروف أن العلاقات بين دول العالم ـ وبخاصة المتجاورة ـ كثيراً ما تتعرض لظاهرة المد والجَزْر، والتردد بين الشّد والجذب .. وأثناء ذلك لَشَدَّ ما تهتز صلة الجوار، وتتصدع الوشائج، بما يؤدى إلى فتور في تلك العلاقات، وربما إلى أكثر من ذلك وأبعد. ثم ما تلبث أن تزول العاصفة، وتنقشع الظلال المعتمة، وتنحسر عن حافة الهاوية، ويصفو الجو بين المتجاورين، وتعود شمس المودة لإشراقتها البراقة، مؤكدة عمق التعاون، والمزيد من الترابط وتوثيق العُرَى. في صورة تعاقدات ومعاهدات دولية ..

إن المتتبع للتاريخ السياسى لدول العالم يلحظ ذلك كثيراً في سجلاته ووقائعه .. فيما مضى وفي عصرنا الحاضر .. كما يلحظ أسباباً متنوعة، وظروفاً مختلفة لتوتر تلك العلاقات، وكذلك لرأب صدعها ..

والمملكة العربية السعودية واليمن، شأنهما شأن غيرهما من دول العالم .. العلاقات بينهما مرّ عليها جانب من تلك الأطوار، من حيث المدّ والانحسار، خلال أكثر من ستة عقود مضت، منذ توقيع معاهدة الطائف عام ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) غير أنها ـ والحق يقال ـ كانت هادئة

وقت الانحسار، ولم تصل في أى حال إلى حافة الهاوية، وكانت تتغلب سجية الحكمة لدى رباني السفينتين المتجاورتين للنجاة بهما من بحر الأهوال والفتن، ويسود التفاهم والتسامح، لتحقيق مبدأ حسن الجوار، الذى حث عليه الدين الاسلامي.

ولقد تُوجت تلك العلاقات مؤخراً بمذكرة التفاهم التى وقعت بمكة المكرمة في ١٤١٥/٩/٢٧هـ، وهى دليل واضح، وشاهد بَين للعيان، على مدى التفاهم والتسامح والحكمة التى يتسم بها رؤساء البلدين الشقيقين، وكبار المسئولين فيهما .. للتأكيد على استمرارية الأخوة الاسلامية، ودوام اواصر المودة والقربى .. وأن الحق أحق أن يتبع .. وأنه لايصح إلا الصحيح ..

حكماء .. عظماء .. ذوو بصيرة بالعواقب، وتدبير الأمور .. أداروا الدفة بحكمة بالغة لحظات الانحسار، حتى إذا حان الوقت الملائم كان الوفاق والاتفاق .. والتفاهم والتسامح .. وهكذا تتجلى حكمة الحكماء، من موقع المسئولية .. وبراعة الربان في قيادته لتجنب الشدائد..

وخلال الفترة الماضية، حاولت بعض الأقلام من ذوى الأغراض والأهواء ركوب الموجة، والعمل على توسيع الرقعة على الراقع .. ولأن الناس متفاوتون في مشاربهم ومداركهم، فقد تنوع هؤلاء ذوو الأغراض .. فكان منهم من هم عقول لايفقهون بها، وأعين لايبصرون بها، ومنهم من لايبصر إلا موضع قدميه، ومن يبصر أبعد قليلاً من ذلك

.. لكن الحكم العام على كافة المرجفين في كل عصر وزمن، أنهم ليسوا من أسوياء الناس، فضلاً عن عقلائهم، وذوى الرأى فيهم، ولذا كانت آراؤهم على مستوى درجات مداركهم.

هؤلاء المرجفون الذين يحاولون ركوب الموجة عند كل إنحسار .. ما يفتئون يَدَّعُون العلم ببواطن الأمور وظواهرها على حد سواء، بل يزعمون رسوخ القدم علماً بما خفى من الأمور .. وهى مقولة عُرِفت قديماً، اختلقها المنافقون في عهد الرسول ﷺ، ولايزال يرددها في كل عصر من هم على شاكلتهم، ومن لاخلاق، ولاورع، ولاحياء لديه .. وما أصدق قول الرسول ﷺ في شأن هؤلاء: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت" ولذا كان الحياء شعبة من شعب الإيمان.

ولعل من أسوأ الظواهر التى نعيشها في عصرنا الحاضر، ابتلاء العالم العربى بكثرة المُدّعين بظواهر الأمور وبواطنها، والمخترقين حواجب الأسرار وخوافيها. الذين يتصدرون المجالس والمحافل والمنتديات، ليذيعوا مالايعرفه سواهم من أراجيف القول، وهواجس الصدر المحموم .. غير أن الطامة الكبرى إذا كان أحد هؤلاء من أصحاب الأقلام ــ كتّاباً أو مؤرخين ــ فيفرغ غثاءه وسمومه بأسلوب مثير، ويغلف ترهاته وكذبه بعبارات موشاة، يستحوذ بها على قلوب العامة .. ويشيع بها الفتنة والاضطراب على أوسع نطاق .. وما دَرَى

أنه "لكل نبأ مستقر .."[1] وأنه مهما طال به المدى فإن ا لله يحق الحق ويبطل الباطل .. وقد حذرنا ا لله من أمثال هؤلاء، وأشباههم، من أن نستجيب أو نسمع لهم: "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا .."[2] وما أروع ما قاله الامام علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه، في وصيته لأبنائه: يابني إذا سمعتم خبراً فتبينوه، فإن أكثر من يأتي بالأخبار لايتحرى فيها الصدق ...

وأثناء مطالعاتي للمؤلفات التاريخية اليمنية، وجدت أن بعض تلك المصنفات، قد صنفت أساساً لتوسيع شقة الخلاف بين البلدين الشقيقين، فأُفْرِغ فيها غثاء كالسيل، وكذب عاريٌ من كل صدق، وقول أو رأى بحاجة إلى دليل!.. وبعضها ألف بدافع العصبية القبلية، أو بالأحرى استغلها كدليل لما ذهب إليه، وحجة لما قال به!.. وبعضها جعل الإنتماء الوطني منهجاً، يثير به المشاعر والأحاسيس للعمل على إحياء ذلك الماضي التليد .. في غابر الأزمان .. ويرى أن الحضارة مقصورة على ذلك الماضي، وأن حضارة الاسلام لاتعنيه في قليل أو كثير!.. ولو أنصف هؤلاء لعرفوا أن العمل الجاد، هو الذى يبني الحضارات، ويرقى بالشعوب ..

---

[1] سورة الأنعام، آية ٦.

[2] سورة الحجرات، آية ٤٩.

مؤلفات صُنِّف بعضها تحت تأثير العاطفة الفوارة للعصبية السياسية والعرقية، فجاءت مليئة بالغلوّ، والأوهام، وطمس للكثير من الحقائق، وتغليف للباطل باطار مُوَشّى بالخلابة لإظهار أنه الحق، أو الصدق .. وما هو منه بقريب.

سوف نستعرض بعض تلك المؤلفات، لنطلع على ما احتوته من ترهات وأكاذيب، وأوهام، واختلاق، وتوليف، وتدليس .. في وقت حصحص فيه الحق .. وتم فيه الوفاق والاتفاق .. وخاب فيه سعي المفسدين في الأرض .. الذين دأبوا على توسيع شقة الخلاف بين الشقيقتين .. ليكون ذلك عبرة لهم ولغيره ممن يهوى هواهم .. وصدق الله العظيم حيث يقول: ".. ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم .."[1] والله من وراء القصد.

**المؤلف**

[1] سورة الاعراف، آية ٧

# تمهيـــــــــد

من المفيد الإشارة إلى بعض النقاط التـي كـانت غالبـاً هـى المدخـل الأساسى للوهـم، والوقـوع فـى الخلـط واللبس لـدى البعض. وكـانت مـورداً لتداعيـات مفـاهيم خاطئـة لـدى طائفـة ممـن تصـدت للكتابـة دون إدراك لاستعمالات العرب، وأسـاليب مؤرخيهـم في كـل عصـر. وبـالأخص عنـد تدويـن العلوم. وكتابـة التـاريخ الإسـلامى.

– من المعروف أن تدويـن التـاريخ الإسـلامى شـق طريقـه في البدايـة على المنهـج نفسـه المتبـع في تدويـن علـم الحديـث، الـذى يعتمـد علـى السـند والروايـة لصـدق الخبر، أو عـدم صدقـه .. وظـل فـترة يسـير علـى هـذا المنهـج، ثـم بـدأ يسـلك نهجـاً آخـر في الاعتمـاد علـى المراجـع والمصـادر السـابقة بالاضافـة إلى السـماع والمشـاهدة للوقـائع المعـاصرة .. حتـى كـان العصـر الحديث الذى صممـت فيـه مناهج بحث ودراسـة، لكـل علـم مـن العلوم ومـن بينهـا التـاريخ، وذلـك بغـرض دراسـة الموضـوع، أو المشـكلة، أو الخـبر، والوصـول إلى نتيجـة صادقـة وصحيحـة.

غير أن العـالم العربى ابتلى بطائفـة تصـدت للكتابـةفي القضايـا والمسـائل التاريخيـة، ترسـل القـول بغـير دليـل، ويـروُون الخـبر دون سـند، أو مرجـع ومصـدر .. فيتلقفـه عنهـم مـن يـأتى بعدهـم، مـن قبيـل الثقـة فيهـم .. وفيمـا يصـدر عنهـم .. وربمـا يكـون الخبر غـير صـادق، أو علـى الأقـل لايرقـى إلى

مرتبة الصدق واليقين، لكن الخَلَف ينقلونه دون تمحيص من باب الثقة، فيشيع وينتشر لمجرد أن مصدره فلان من الناس .. القائل به أولاً دون سند أو مرجع ومصدر .. بينما الحق يُعرف من ذاته، لامن نسبته إلى قائله .. والخبرالصادق هو المدعم بالأدلة والبراهين التي تؤكد مدى صدقه .. وبالتأكيد ليس من تلك الأدلة قائله أو راويه .. تلك الطائفة من أشد فاتحي مداخل اللبس والوهم، والويل إذا تعمدوا التدليس والاختلاق.

- أن استعمال كلمة "يمن" وكلمة "شام" في الجاهلية وصدر الاسلام، كانت تعني في استعمالات، ومفهوم قدماء العرب: اسماء جهات بالنسبة لشبه الجزيرة العربية، فالجنوب "يمن" والشمال "شام" وذلك بدلاً من قولهم: جنوب، وشمال. ومن هذا المفهوم أُطلق على أحد أركان الكعبة المشرفة، المقابل للجنوب: الركن اليماني، كما أُطلق على المقابل للشمال: الركن الشامي. ثم بتوسع هذا المفهوم في استعمالات العرب، كانوا يطلقون على كل مايقع جنوب الكعبة: جهة اليمن، وكثيراً ماكانوا يوجزون العبارة، فيقولون: ذهب إلى اليمن، وذهب إلى الشام. وهم يقصدون جهة اليمن، وجهة الشام، وربما يكون الذاهب قَصَد الطائف، أو السراة فقط، أو اتجه الذاهب نحو المدينة "يثرب" أو تخطاها بقليل ولم يدخل إلى الشام .. ومن تلك الاستخدامات ماورد في حديث المواقيت للحج من جعل "يلملم" ميقاتاً لأهل اليمن، أي لكل قادم من جهة اليمن، وليس لأهل اليمن خاصة. ثم بتوسع هذا الاستعمال أكثر، كانوا يستعملونه في المكان الواحد، فيطلقون على جهة الجنوب منه "يمن" وجهة

الشمال "شام" ونلحظ تلك المسميات موجودة كثيراً على أرض اليمن نفسها، كما نجده في كتاب "صفة جزيرة العرب" للهمدانى، وفي كثير من كتب المعاجم والبلدان. وهذا الاستعمال كان من بين مداخل اللبس والوهم.

- أن اليمن قديماً كان اسماً لجهة كما سبق أن قلنا، وفي الوقت نفسه كان يطلق على جزء من أرض اليمن الحالية، أى جزء من أرض الجبال، صنعاء وما حولها، وليس اسماً لدولة، أوكيان سياسى موحد، بدليل أنه أقيم فيه أكثر من دولة في وقت واحد، فيما قبل ميلاد المسيح وبعده، وكان لكل دولة أرضها التى أطلق عليها اسمها، فقالوا: أرض معين، وأرض حمير، وأرض سبأ .. الى آخره .. وبدليل أن الملك شرحبيل ابن يحصب ــ من ملوك سبأ ــ كان من ألقابه الملكية أول أمره "ملك سبأ" وعندما توسع ملكه قليلاً كان لقبه "ملك سبأ، وذوريدان، ويمنت" أى اليمن، ومنه يفهم أن اسم اليمن كان يطلق على جزء من أرض اليمن وليس على أرضها جميعاً. ثم لما توسع ملكه أكثر كان لقبه "ملك سبأ، وذوريدان، ويمنت، وتهامت" وذلك حين ضم تهامة اليمن إلى ملكه .. وبدليل أن بلقيس كانت ملكة على أرض سبأ فقط، و لم يشمل ملكها جميع أرض اليمن. وقد جاء في قصة نبى الله سليمان عليه السلام، التى وردت في القرآن الكريم[1] حين تفقد الهدهد فلم يجده، فتوعده، فلما

---

[1] في سورة النمل.

جاءه، برر الهدهد غيابه بأنه ذهب إلى أرض سبأ، وعرف ما لم يعرفه نبي الله سليمان، قائلاً "وجئتك من سبأ بنبأ يقين"[1] فلم يقل جئتك من اليمن، وكانت أرض سبأ جزءاً من أرض اليمن الحالية، و لم يمتد نفوذ هذه الممالك إلى منطقة تهامة الحجاز، وعسير، ونجران. بحدودهم الحالية .. وإن كانوا يغزونهم أحياناً، ثم يعودون إلى ممالكهم عقب الغزو، دون أن يحاولوا فرض سيطرتهم عليهم .. ربما لأنهم كانوا يعتبرون وسط شبه الجزيرة أرض قفراء، وسكناها قبائل بادية، لاتسترعى فرض السيطرة، أو يصعب السيطرة عليهم .. فتركوها على حالها.

إلا أن تداعيات العصبية القبلية، خامرت بعض الأذهان، فتوهمت امتداد نفوذ تلك الممالك إلى خارج أرض اليمن الحالية .. وبخاصة تهامة الحجاز، وعسير، ونجران، وهى دعوى تفتقر إلى الدليل .. ثم إن الشواهد التاريخية تفيد بأن وسط شبه الجزيرة العربية لم يخضع لأى من الممالك في الشمال أو الجنوب.

– أن تهامة تمتد من العقبة شمالاً، بمحاذاة البحر الأحمر، حتى عدن جنوباً، ولأنها في محاذاة كل من الحجاز واليمن، فقد إصطلح المؤرخون على إطلاق مايقابل الحجاز وعسير اسم "تهامة الحجاز" وما يقابل اليمن "تهامة اليمن" وأحياناً كان يقوم قدامى المؤرخين بايجاز عباراتهم، فيقولون ـ وهم يؤرخون لليمن ـ "تهامة" ويقصدون بذلك: تهامة اليمن، ويقولون

---

[1] سورة النمل، آية ٢٢.

ذلك أيضاً بالنسبة لتهامة الحجاز .. ومن هنا وقع اللبس لدى بعض الكتاب المحدثين .. واعتبروها جميعها تهامة اليمن بشبهة توطن كثير من القبائل القحطانية فيها.

– أن منطقتى تهامة الحجاز، وعسير، توطنتهما القبائل العدنانية فترة طويلة في الجاهلية، ثم تحاربوا ونزح كثير منهم إلى مواطن أخرى في شبه الجزيرة العربية[1] وعند انهيار سد مأرب نزح إلى تلك المناطق وإلى غيرها بطون الأزد القحطانية، حتى أن الهمدانى في كتابه "صفة جزيرة العرب" وهو يصف هجرة الأزد من موطنهم في أرض اليمن، قال بالنص: ".. فصاروا إلى أرض الحجاز فِرقاً، فصار كل فخذ منهم إلى بلد، فمنهم من نزل السروات ..الخ"[2] وهذا يعنى بصراحة أن ما بعد أرض لَعْسان وعك شمالاً، وهى منطقة جازان تعد من أرض الحجاز، بالاضافة إلى ما يقابل ذلك من عسير السراة.

ثم إن نزوح القبائل القحطانية من موطنها القديم في اليمن، إلى موطن جديد، كان بقصد البحث عن مرعى ومكان يصلح للاقامة، و لم يكن بغرض ضمه إلى الموطن القديم، وهل بمقدور أحد أن يدعى أن القبائل التى هاجرت إلى الشمال كغسان، والمناذرة، والأوس والخزرج إلى يثرب، وقبيلة طىّ إلى جبلى أجا وسلمى (حائل) كان قصدهم ضم تلك

---

[1] انظر في ذلك "معجم ماأستعجم" للبكرى ص١٥-٩٠.

[2] صفة جزيرة العرب ص٣٧٢.

المناطق إلى موطنهم القديم؟! فكذلك الشأن في بطون الأزد التى هاجرت إلى أرض الحجاز كما قال الهمدانى، لم يضموها إلى موطنهم القديم، وإنما سيطروا على المواطن الجديدة، وأطلق كل بطن وقبيلة اسمه على الأرض التى توطنها، وانقطعت صلتهم بالموطن القديم، وخرجوا عن طاعة حكامه، وصار شأنهم شأن قبائل وسط شبه الجزيرة، من حيث عدم الخضوع لهيمنة أى من ملوك الشمال أو الجنوب .. بل إنهم ارتبطوا أكثر بقبائل وسط شبه الجزيرة.

وجاء اللبس والوهم من أن معظم سكان جازان وعسير قبائل تعود في أصلها إلى القحطانية، فأعتبر البعض أن أرضهم أيضاً إمتداد لأرض اليمن .. بل حاول أرباب العصبية القبلية ـ في بعض الفترات التاريخية ـ إثارة النزعة القبلية في هؤلاء لكى ينضموا بأنفسهم وأرضهم إلى وطنهم الأصلى اليمن!!.

- عند مجئ الإسلام ترك القبائل على حالها من حيث هيمنتهم على أرضهم، طالما دخلوا فيه طائعين، على أساس الالتزام بتعاليمه وشريعته، وأنشأ الرسول ﷺ، الولايات التى تتكون منها الدولة الاسلامية، والترتيبات الادارية لها، وكانت ولاية مكة تمتد جنوباً حتى أرض عك والأشعريين. وولاية الطائف إلى ما يقارب صعدة[1] واستمر هذا الترتيب

[1] سنوضح ذلك عند تعرضنا إلى ماجاء في كتاب "صفة جزيرة العرب" للهمدانى.

الاداری معمولاً بـه في عهـد الخلفـاء الراشـدين، وعهــد بنــى أميــة، ومنتصــف عهـد العباسـيين.

– أن استعمال الخـط المسند كـان هـو الأصـل في أســلوب التخــاطب، والاسـتعمالات الرسميـة في عهـد الـدول التـى قـامت علـى أرض اليمـن .. بينمــا استعملت قبـائل وسـط شبه الجزيـرة ـ ومنهـا قبـائل السـراة، وتهامـة الحجاز ـ اللغـة العربيـة بحروفهـا الهجائيــة المعروفــة حاليــاً، وهذبتهــا وشــذبتها حتــى إذا ماجاء الاسـلام كـانت قـد بلغـت الغايـة منهـا في البلاغـة والفصاحـة، ولـذا جـاء الإسـلام متحديـاً لهـم، وللكافـة، فيمـا برعـوا فيـه .. وكـانت قبـائل السـراة ممــن سـايروا قبـائل وسـط شبـه الجزيــرة في تلــك الفصاحــة .. بينمــا القبــائل التــى ظلت تقطن أرض اليمــن، مـافتئت متـأثرة بلغـة المسـند إلى حـد مـا.

– كمـا كـان مـن مداخـل الخلـط والوهــم عــدم التفريــق بـين القبـائل التـى تقيـمُ علـى أرض اليمــن، وبـين القبــائل التــى نزحــت عنهــا. وتعـود في أصلهـا إلى القحطانيـة .. فكـان بعـض المؤرخـين يطلـق علـى القبـائل القحطانيــة مسـمى "القبـائل اليمنيـة" رجوعـاً بهـا لأصلهــا القحطــانى، حتــى لــو كــانت تقيــم في الســراة، أو تهامــة الحجــاز، أو في العــراق، أو الشــام، أو مصــر، أو الأندلــس. ممــا دعــا بعــض المؤرخـين المحدثـين عنـد ذكـره فضـائل القبــائل القحطانيـة، أن يطلـق عليهـا مسمى "القبـائل اليمنيـة" ويذكـر مـن بينهـم قبــائل السـراة، وتهامــة عســير، للإيحــاء بــأنهم يقيمــون علــى أرض يمنيــة .. وأنهــا امتـداد لأرض اليمـن ويـؤرخ لهـا ضمـن تـاريخ اليمـن العـام وكأنهـا جـزء منـه.. متناسياً تحديـد الولايـات في عهـد الرسـول ﷺ، وقولـه في شـأن قبيلتـى عـكّ

والأشعريين، وكذا قول كثير من علماء الأنساب من أنهم يعودون في نسبهم إلى عدنان، وانتسبوا في القبائل اليمنية .. ومتناسين أيضاً أن بعض القبائل العدنانية نزحت إلى أرض اليمن نفسها، واستوطنتها، ومتناسين توزع أرض اليمن بين كثير من الولاة، الذين تحاربوا لعدة قرون، عند ضعف الدولة العباسية و لم يستطع أى منهم توحيد أرض اليمن سياسياً، وأن كثيراً من هؤلاء الولاة والحكام لم يعد في أصله ونسبه إلى قحطان .. وأنهم كانوا يعطون الولاء غالباً للدولة ولخليفتها.

- وفي عهد الدولة العثمانية خضعت اليمن مثل غيرها من الدول العربية ـ فيما عدا الدولة السعودية ـ للدولة العثمانية، وأنه أقيمت متصرفية عسير، وكانت لها الاستقلالية عن مركز القيادة العثمانية في ولاية اليمن .. وأن نفوذ الدولة السعودية الأولى والثانية امتد إلى حازان وعسير ونجران، في عهد الدولة العثمانية .. وغير ذلك مما يتناساه البعض .. وبخاصة المرجفون والمغرضون والمتعصبون، وذوو الأهواء الذين يميلون مع الريح حيث تميل.

وهذه النقاط أو المعلومات سوف نأتى بأدلة لها خلال هذا البحث وبعضها استعرضنا أدلته في كتاب "البيان في تاريخ حازان وعسير ونجران".

وعلى كل فسوف نستعرض فيما يأتى نماذج من بعض الكتب المصنفة تحت تأثير تشنج العصبية القبلية، أو الغلو في المواطنة، أو صُنِّفت بأقلام محمومة أو موتورة، لنرى حجم الوهم والتدليس والاختلاق.

# كتاب "السعودية تبتلع اليمن"

## تأليف: المهندس/ يوسف الهاجرى

الكتاب يعرف من عنوانه كما يقال، والمؤلف أتى بعنوان لكتابه يقصد من ورائه المبالغة والإثارة والتهويل، ليكون ذلك مدخلاً للاستحواذ على نظر القارئ، ومن ثم التأثير عليه للاستجابة لما يقوله، والايحاء بصحة مايثيره من قضايا ومسائل تاريخية وسياسية.

وأسلوب الإثارة في الكتابة أسلوب مستهجن ممقوت في الصحف والدوريات التي تتبع هذا النهج، فما بالك بالكتب والمصنفات العلمية. ومادرى المؤلف أن هذه المبالغة في العنوان، تعطي مؤشراً على الغلو في مضمون الكتاب، وتوحي بعدم صدق مايحتويه من قضايا مثارة، لأنها في الغالب تكون مبنية على مقدمات إفتراضية وهمية من وضع الخيال، وتفتقر إلى الدليل، وما بنى على وهم أحرى بالسقوط وعدم الثبوت فى منطق العقلاء.. ولو أن كتاباً صدر بهذا العنوان إبّان ابتلاع العراق لدولة الكويت، ومحاولته محو اسمها من خارطة العالم، لقيل إنه مطابق للواقع. أما هنا فمخالف لما هو واقع بالفعل، ومناقض لما هو ثابت بالأدلة والشواهد التاريخية، وما التزمت به الدولتان من تعاهدات وتعاقدات، وتفاهم وتعاون خلال مايزيد على نصف قرن. حتى لو تخلله الشّدّ فى بعض الاحيان.

يقع الكتاب في ١٨٨ صفحة، من الحجم الوسط، وقد صدّره المؤلف باهداء: "... إلى والدى، ووالدتى، وزوجتى."

ويابئس ماأهدى لوالديه.. من جهد، أقل مايوصف به أنه هذيان محموم.. بدلاً من أن يرحمهما، ويقل لهما قولاً كريماً.. ثم أتى بمقدمة جاءت بدايتها هكذا بالنص: ".. **من قوات حزام العجمانى، فى بداية القرن التاسع عشر الميلادى، التى غزت اليمن إبان الدولة السعودية الأولى..الخ"**

وقبل أن نتعرض لفحص ما بدأ به كى نتعرف على مدى صحة مقولته، وصواب القضية التى أثارها. لابد أن نلم إلمامة يسيرة عن الوضع التاريخى لكل من عسير، وتهامة عسير.. وكما سبق أن أشرنا فى التمهيد كانت كلاهما فيما قبل الاسلام مرتبطة بوسط شبه الجزيرة العربية، و لم تخضع للممالك التى أقيمت فى الجنوب بأرض اليمن، كمعين، وحمير، وسبأ وغيرهم[1] وحين جاء الاسلام ورتب الرسولﷺ، الولايات للدولة الاسلامية، جعل تهامة الحجاز حتى بداية أرض عك والأشعريين مرتبطة بولاية مكة المكرمة، ثم أضاف إليها أرض عك والأشعريين، المجاورتين لتهامة الحجاز جنوباً، ثم جعل ولاية الطائف ممتدة حتى مسافة

---

[1] وقد أوضحنا ذلك فى كتابنا "البيان فى تاريخ جازان وعسير ونجران" واستشهدنا على ذلك بوقائع وأدلة تاريخية.

٧٥كيلومتراً، من الشمال الغربى لصعدة[١] وكان ترتيب الرسول ﷺ، عند تحديد الولايات مبنياً على عدة أسس شرعيه تنظيمية تتسم بالدقة، والمنهج الإدارى الفائق إحكاماً، وكان من أبرز تلك الأسس إبقاء الوضع الذى كانت عليه القبائل ـ فيما قبل الاسلام ـ من حيث تملكها لأرضها، وترسيم حدودها، وتحديد المنافع والمشاع وغير ذلك، فلم ينزع أرض قبيلة ليعطيها لأخرى، ولاحيز إقليم ليضمه إلى آخر[٢].

واستمر الوضع هكذا فى عهد الخلفاء الراشدين، وعهد بنى أمية، والنصف الأول من عهد العباسيين، فلما بدأ الضعف ينتاب الدولة العباسية، واستقلت بعض الأطراف عن مركز الخلافة، برز الولاة المحليون فى كثير من المناطق فيما يشبه الاستقلالية، وكان من بينهم أمراء عسير، وتهامة عسير، وليس أدل على ذلك من أن الهمدانى ـ المعروف بتعصبه العرقى، والذى عاش إلى مابعد منتصف القرن الرابع الهجرى ـ يذكر مخلاف حكم وأن ملوكه من حكم آل عبد الجد، ومخلاف عثر وملوكه من بنى مخزوم[٣] فآل حكم يحكمون مخلافهم منذ ماقبل الاسلام. وظلوا هكذا فى ظل الاسلام يتوارثون حكمه، وبنو مخزوم القرشيون كثير منهم تولى الإمارة فى مكةِ فى عهد الخلفاء الراشدين، وعهد بنى أمية والعباسيين، ومن الجائز أن يكون هؤلاء فرع منهم، واستمروا فى ولاية

---

[١] أوضحنا تشكيل تلك الولايات فى كتابنا السابق الاشارة إليه، ص١٧٠-١٨٠.

[٢] انظر أسس ترتيب الولايات فى عهد الرسول ﷺ ، فى كتابنا المشار إليه، ص١٥٣ ومابعدها.

[٣] صفة جزيرة العرب، ص٢٥٨-٢٥٩.

مخلاف عشر، وظلوا يتوارثونه حتى عهد الهمدانى، وإلى أن استطاع سليمان بن طرف ـ وهو من بنى مخزوم وليس من بنى الحكم كما ذهب البعض[1] ـ أن يوحد المخلافين تحت مسمى "المخلاف السليمانى" واستمر يحكمه هو وأولاده من بعده حتى عام ٣٩٣هـ، ثم حكمه الأشراف النازحون من الحجاز مغاضبين لبنى عمومتهم أمراء مكة.

ومن الطبيعى أن يخضع أحيانا هؤلاء الولاة المحليين فى المخلاف، إلى الدول القوية التى أقيمت فى زبيد، بحكم أنها تمثل الدولة العباسية أو غيرها، كدولة بنى زياد (٢٠٣هـ ـ ٣٩١هـ) وبنى نجاح (٤٠٣هـ ـ ٥٥٥هـ) أو الصلحيين (٤٣٩هـ ـ ٥٢٣هـ) أو بنى مهدى (٥٥٣هـ ـ ٥٦٩هـ) أو الدول التى هيمنت على المنطقة، كالأيوبيين (٥٦٩هـ ـ ٦٢٦هـ) وبنى رسول (٦٢٦هـ ـ ٨٥٨هـ) وبنى طاهر (٨٥٨هـ ـ ٩٢٣هـ) والمماليك الجراكسة (٩٢٣هـ ـ ٩٤٥هـ) وحتى العهد العثمانى الأول (٩٤٥هـ ـ ١٠٤٥هـ) حيث لم يكن لهم وجود فى المخلاف[2] والعهد العثمانى الثانى (١٢٦٥هـ ـ ١٣٣٢هـ) الذى جعل من عسير ولاية مستقلة مرتبطة بالباب العالى فى معظم الأحيان، فمثلاً كان كمالى باشا يخاطب وزير الحربية أو الداخلية فى أستانبول مباشرة دون الرجوع إلى القائد العام فى اليمن. كما لوحظ أن تلك الدول القادمة إلى المنطقة لفرض هيمنتها إليها، كالأيوبيين، والمماليك، والعثمانيين، كانت تتخذ من

---

[1] سنوضح ذلك فيما بعد، عند تعرضنا لكتاب "صفة جزيرة العرب" فى هذه الدراسة.

[2] الواسعى، تاريخ اليمن، ص٢١٧.

زبيد قاعدة لهم، باعتبارها أول مدن اليمن التهامية، ومنها ينطلقون إلى بقية بلاد اليمن، التهامية والجبلية. ثم إن استقرار الوضع فى المخلاف السليمانى، وعدم التدخل المباشر فيه من قبل تلك الدول، منح بعض البيوتات الحاكمة ـ وهم الأمراء المحليون ـ ترسيخ أقدامها فى الحكم، وفى الحرية المطلقة لتوريثه لأبنائهم، أو للصالح من أبناء الأسرة، دون الرجوع لموافقة خارجة عن نطاق الأسرة، ثم الرضى من أبناء المنطقة. وكان من تلك البيوتات الأمراء القطبيون، والخواجيون، وآل خيرات.

على أن المشاحة والخصومة القديمة بين بعض هؤلاء الولاة المحليين، وبين أشراف مكة، والتى دفعتهم للنزوح إلى المخلاف السليمانى، واتخاذه موطناً لهم، جعلتهم ينفرون من التعاون مع أمراء مكة فى معظم الأحيان، مفضلين التعاون مع مجاوريهم من الدول التى قامت فى زبيد، وتمثل الدولة فى أى صورة من صور التمثيل ..،بل كانوا أحياناً يفضلون التعاون مع الأئمة فى صنعاء على الأشراف فى مكة، بالرغم من الاختلاف المذهبى مع الأئمة.

إلا أن هذا التعاون الذى كان يقع أحياناً، مع الدول أو مع الأئمة، لم يفقد أمراء المخلاف وضعهم شبه الاستقلالى، خلال المراحل التاريخية، كما أنه لم يؤثر على الوضع الجغرافى الحدودى للمخلاف نفسه. ولا على وضعه الإقليمى الطبيعى من كونه ضمن تهامه الحجاز، وحتى بالرغم من أن البعض كان يطلق عليه أحياناً "تهامة الشام" تميزاً له عن "تهامة اليمن"

التى كانت تبدأ من زبيد شمالاً وحتى القرب من عدن جنوباً، فإن هذا التميز فى التحديد دليل على كيانه واستقلاليته الإدارية فى معظم الأحيان.

أما عسير ووديانها وجبالها فظلت بعيدة عن أى تدخل كان، منذ ضعف الدولة العباسية مروراً بتلك الدول التى قامت على أرض اليمن، والتى سبق الاشارة إليها، أو الدول التى هيمنت من الخارج على المنطقة، إلى أن شملتها الدعوة الاصلاحية، فى عهد الدولة السعودية الأولى، التى بدأ بها المؤلف هذا الكتاب، فيهرف بما لايعرف، أو بالأحرى يُزيف ولايُصنِّف.

قامت الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٨هـ، على إثر اللقاء الذى تم بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والأمير محمد بن سعود ـ الجد الأعلى الذى تنسب إليه الأسرة السعودية ـ وصاحب الدرعية التى فتحت ذراعيها للشيخ محمد، واحتضنت الدعوة التى كان ينادى بها، وعُقِد العهد على مناصرتها، ودخلت الدرعية فى حروب مع المناوئين لها فى بلدان نجد، حتى فاؤوا لأمر الله وأصبحوا من أنصارها، وامتدت الدعوة إلى خارج نجد، ووصلت إلى مشارف تهامة وعسير فى بداية القرن الثالث عشر الهجرى، وتحفز بعض أبناء المنطقتين للدعوة لها، والعمل على نشرها، وكان فى مقدمة هؤلاء: أحمد بن حسين الفلقى، وعرار بن شار الشعبى، وسالم بن شكبان أمير بيشة وغيرهم. والتفّ حول الدعوة قبائل عسير وبنى شعبة ثم الجعافرة فى المخلاف.

وكما قلنا فإن عسير كانت بعيدة عن أية تدخلات خارجية حتى ذاك الوقت، وكانت تحكم من قبل رؤساء البلدان والقبائل والعشائر فيها، شأنها شأن كثير من المناطق داخل شبه الجزيرة، كوادى الدواسر مثلاً التى ظلت هى الأخرى بعيدة حتى دخلت فى حوزة الدولة السعودية الأولى.

أما المخلاف السليمانى فقد كان فيه أمراء محليون، يتوارثون الحكم، من آل خيرات، هم الذين يولون من يريدونه، أو من ترضى عنه رعيتهم، وينزعون السلطة ممن يريدون دون إذن أو موافقة من أحد سواهم، لامن الأئمة فى صنعاء ولامن الأشراف فى الحجاز.

كان الداعية أحمد بن حسين الفلقى قد ذهب إلى الدرعية، وتلقى الدعوة من منبعها، وعند عودته طلب من الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود أن ينتدبه لنشر الدعوة فى المخلاف السليمانى، فاستجاب لطلبه، وبعث معه خطاباً إلى أمراء المخلاف السليمانى، وإلى أعيانه يدعوهم للدخول فى الدعوة، ونشط الفلقى فى دور المعلم والمرشد، وتبعه كثيرون منهم قبيلة الجعافرة فى وادى بيش، وتم التعاون بين هؤلاء وبين الدعاة فى عسير، حتى أصبحوا قوة فى المنطقة ابتداء من عام ١٢١٣هـ.

ومن الطبيعى أن يكون لأنصار الدعوة خصوم بالمنطقة، ووقعت بين الفريقين معركة حول قرية "الحِجْرين" على ساحل حازان، أسفرت عن هزيمة الفلقى واتباعه،فما كان منه إلا أن انسحب إلى جهة بيش، ورفع

الأمر إلى القيادة فى الدرعية مستنجداً، فوصلته نجدة بقيادة حزام بن عامر العجمانى ومعه سلطان ابن أمير وادى الدواسر ربيع بن زيد[1]، فكسر شوكة خصوم الدعوة، ثم مالبث هؤلاء أن دخلوا فى الدعوة، وصاروا لها أنصاراً، وحملوا السيف جهاداً فى سبيلها، وعاد حزام إلى نجد، ولم تطأ قدماه أرض اليمن، وإنما الذى تهيأ لغزو أرض اليمن فيما بعد هو أمير أبى عريش، حمود بن محمد آل خيرات، بالاتفاق مع القائد السعودى فى المنطقة، عبد الوهاب بن عامر الرّفيدى المعروف بأبى نقطة، فبعث حمود ابن أخيه على بن حيدر، على رأس جيش دخل به أرض تهامة اليمن، فاستولى على اللحية، والحديدة حتى بيت الفقيه. ثم امتد النفوذ إلى قرب باب المندب. وذلك باسم الدولة السعودية الأولى.

انظر إلى مايقوله البهكلى ـ مؤلف كتاب نفح العود، وهو من المعاصرين لتلك الأحداث ـ وهو يصف تحرك جيش على بن حيدر نحو أرض اليمن: ".. ثم توجه إلى الواعظات وهى آخر البلدان التى يحكم ولايتها أشراف أبى عريش، وماوراءها (أى ماوراء بلدة الواعظات) إلى اليمن، فولايتها إلى أعمال اللحية، والزيدية، من تحت خليفة صنعاء"[2] أى

---

[1] انظر كتاب "نفح العود فى سيرة دولة الشريف حمود" تأليف عبد الرحمن بن أحمد البهكلى، وتكملة الحسن بن عاكش، وتحقيق الشيخ محمد بن أحمد العقيلى، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٨٩-١٠١،١١٩،١٤٢.

[2] نفح العود، ص١٤٦،١٤٧، ومابعدها عن البلدان التى استولى عليها جيش ابن حيدر، باسم الدولة السعودية الأولى.

أن مـابعد الواعظـات جنوبـاً هـى بدايـة حكـم إمـام صنعـاء .. والواعظـات كانت تقع جنـوب حـرض فـى بدايـة أرض عـكّ.

هذا فى الوقـت الـذى كـان فيـه اليمـن ـ خـلال تلـك الاحـداث ـ يعـانى مـن الفتن والخلافـات فـى عهـد الامـام المنصـور على بـن عبـاس (١١٨٩هـ ـ ١٢٢٤هـ) وانشـقت عليـه بعـض أطـراف اليمـن، والقبـائل، و لم يسـتطع توحيـد جميـع أرض اليمـن سياسياً، بـالرغم مـن نـزوح العثمـانين عنهـا فـى المـرة الأولى منـذ عـام ١٠٤٥هـ.

وعمومـاً فهـذه هـى القضيـة التـى استهل بهـا المؤلـف تباكياتـه علـى اليمـن المبتلعـة، وقـد تبـين أن القضيـة مبنيـة علـى مغالطـة تاريخيـة شـاعت مـن قديـم .. علـى أيـدى المتعصبين وذوى الأهـواء، ولفـرط شـيوعها صدقهـا مـن أشـاعوها. كمـا تبـين أنـه ليـس هنـاك ابتلاعـاً كمـا زعـم المؤلـف باختيـاره لهـذا اللفـظ عنوانـاً للكتـاب، وإنمـا هـو بـاكورة تجمُّـع وتوحيـد لمنـاطق وسـط شـبه الجزيـرة العربيـة، المفتتـه منـذ عـدة قـرون، وإعـادة لتجمُّعهـا السـابق فـى صـدر الاسـلام حينمـا كـانت تضمهـا ولايـة واحـدة، ووالٍ واحـدٍ .. بالاضافـة إلى أسس ومعايير نشـأة الـدول فـى العصـر الحديـث.

*** ثـم يتـابع المؤلـف كلامـه فـى المقدمـه بالاتيـان بـرؤوس أقـلام علـى أنهـا تدخـلات فـى شـئون اليمـن أى ليـس ابتلاعـاً .. وبهـذا يتبـين أن عنـوان الكتـاب لايـدل علـى محتـواه .. ومـاهو إلا كثـوب فضفـاض إرتـداه قـزم .. وعمومـاً فـإن رؤوس الأقـلام التـى ذكرهـا، عـاد لهـا بنـوع مـن التفصيـل فـى ثنايـا الكتـاب، وسـوف نتتبعـه فيمـا بعـد لنـرى مايقولـه، غـير أننـا نجـده اتبـع**

**المقدمة بتمهيد بدأه بقوله: "تتميز العلاقات السعودية الخارجية بأنها تتغير وتتبدل فى أدوارها المختلفة حسب منطق القوة والامكانية .. فعندما يشعر النظام بضعف فى قدراته الداخلية، العسكرية منها أو السياسية، فإنه يعقد التحالفات، والمعاهدات، والاتفاقيات الثنائية والجماعية، ويقدم التنازلات، ويلهث وراء سبل دعم استقرار بلاده .. أما عندما تتعزز قدراته، ويشعر بتنامى قوته فإنه يسعى إلى التملص من الاتفاقيات، وعقد اتفاقيات أخرى تتناسب والحالة الجديدة التى يعيشها .. وإن هذه حالة النظام السعودى فى أدواره الثلاثة (أى خلال عهود الدولة السعودية الثلاثة) وأن علاقته مع اليمن لم تخرج عن هذا الاطار!!..**

أثار المؤلف بهذا قضية معروفة فى السياسة الدولية، وليست خاصة بالسعودية، فإن جميع دول العالم تبنى سياستها الخارجية على مدى إمكاناتها وقدراتها الداخلية، فكلما زادت قدراتها سعت إلى تعزيز علاقاتها الخارجية .. خذ مثلاً الدول العربية التى كانت خاضعة للاستعمار فقد كانت علاقتها محدودة، فلما زال الاستعمار ونمت قوتها شيئاً فشيئاً تبع ذلك النمو نمواً فى علاقاتها وسياستها الخارجية بما فى ذلك عقد المعاهدات والاتفاقيات وغيرها. وكذلك ألمانيا واليابان عقب خروجهما من الحرب العالمية الثانية، فقد كانت علاقتهما الخارجية محدودة للغاية بموجب مافرضه الحلفاء عليهما .. فلما نمت قدرتهما الاقتصادية تحللا من القيود المفروضة عليهما شيئاً فشيئاً .. وقد تبع مراحل نموهما

تغير فى سياستهما الخارجية مع الدول الأخرى، بما فى ذلك المعاهدات والاتفاقيات وغيرها .. ترى أيكون ذلك مدخلاً للعيب عليهما، أو الانتقاص من قدرهما؟! قطعاً لا.

ثم إن الدولة السعودية الأولى والثانية لم يعرف أئمتهما المعاهدات والاتفاقات الدولية .. بل إنه أُخِذ على معظم قادتهما أنهم لم يكن لهم دراية كافية بالسياسة الدولية، وأسلوب توازن القوى الدولى، ولو عرفوا ممارسة هذا الأسلوب لما انتهى بهم الأمر إلى ماحوبهوا به أنذاك.

أما الملك عبد العزيز فقد كان سياسياً ماهراً بشهادة خصومه، وكان صادقاً ووفياً فى تعاملاته مع الآخرين، لم يسبق له أن تملص (كما يقول المؤلف) من أية معاهدة أو اتفاقية عقدها مع غيره من الدول .. وليس أدل على ذلك من التزامه هو وأبناؤه من بعده بنصوص معاهدة الطائف لعام ١٣٥٣هـ، والعمل على استمرار سريانها إلى مالانهاية، بغرض استقرار الأوضاع الحدودية بين المملكة واليمن.

* **ثم تعرض المؤلف لعمل مقارنة لأوجه الاتفاق والاختلاف بين الحكم السعودى واليمنى، وكيفية نشأة كل منهما، ومنها قوله: بأن العرش (الحكم) السعودى قام بدعم من بريطانيا، بينما اليمن دخلت فى تحالفات معها.**

ومَرَدّ هذا القول أتى من أن حجم الأعمال والمنجزات التى حققها الملك عبد العزيز فى بداية تأسيس دولته، كانت من الضخامة فى تقديرات

المراقبين، بالقياس إلى مايمكن أن يحققه أى حاكم عربى فى ذاك الوقت، لموطنه وبلده، الأمر الذى دفع الكثيرين للاعتراف بعبقرية الملك عبد العزيز، وألف بعض المؤرخين ـ العرب والاجانب ـ مؤلفات تشيد بجهوده، وقدمت إليه ـ إعجاباً به ـ عقول ذات خبرة، عربية وأجنبية، تضع خبرتها فى خدمته .. وبعض المناوئين له خامرهم الوسواس، وجعلوا يشككون فى أن يكون قد حققها بمفرده، دون دعم خارجى، مشيرين إلى بريطانيا صاحبة النفوذ فى المنطقة .. والتى كان نفوذها يمتد إلى معظم المناطق والبلدان العربية .. وهم ـ بما فيهم المؤلف ـ يتجاهلون حقيقتين:

أولاهما: شخصية الملك عبد العزيز نفسه، ذات القدرات الفذة، والمواهب المتعددة ـ العسكرية، والسياسية، والادارية ـ فضلاً عن رسوخ العقيدة الإيمانية، التى كانت منبعاً لقوة عزيمته، ووفائه، ومراعاة الله فى كل عمل يقوم به.

ثانيهما: أنه من المعروف أن سياسة بريطانيا الخارجية منذ القرن السابع عشر الميلادى، وحتى قيام الملك عبد العزيز باسترداد الرياض عام ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) كانت تنحصر بصفة عامة، فى إنشاء المستعمرات، وبالتالى تأمين طرق المواصلات إليها، ولذا فإنها كانت تهتم بمضايق ومداخل المحيطات والبحار، ونقاط تلاقيهم، وتبعاً لذلك فإنها كانت تهتم بإيجاد علاقات مع الدول والشعوب المتواجدة فى تلك النقاط، وهى فى منطقة الخليج كانت مهتمة بشواطئه، وبالدول والامارات والمشيخات المقامة على تلك الشواطئ. و لم يكن يهمها وسط شبه الجزيرة العربية.

ولـذا نلحــظ أنهــا وطّـدت علاقتهــا بــالدول والامــارات والمشــيخات القائمة علـى شـاطئيه، و لم تحـاول الارتبـاط بعلاقـات مـع ابـن رشـيد، لأنـه بعيـد عـن منطقـة نفوذهـا .. وكـانت سياسـتها العامــة هــي الابتعــاد قــدر الامكــان عن وسط شبه الجزيرة، بمـا يشـمله مـن حكـام وقبـائل علـى حـد سـواء.

وعندمـا قـام الملـك عبـد العزيـز بفتـح الريــاض، وواصــل العمــل علــى اسـترداد ملـك آبائـه وأجـداده بمنطقـة نجـد، كـانت تراقبـه بإعجــاب. لكنهــا لم تفكر في تكوين علاقــات رسميـة معـه، أو مـد يـد المسـاعدة لـه بـالرغم مـن أنهـا تـراه يحـارب الدولـة العثمانيـة، منافســتها فــي المنطقــة، ويخــرج جنودهــا مــن القصيـم عـام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) وعندمــا اســترد الأحســاء عــام ١٣٣١هـ (١٩١٣م) وأطـل بذلـك علـى الخليـج، وجـدت بريطانيـا نفسـها مرغمــة علـى مـد يـد الصداقـة لــه، وعــرف مندوبوهــا طريقهــم إليــه .. برســي كوكــس، وشكسبير، وجـون فليبـي الـذى أعجـب بشـخصية عبـد العزيـز، وآثــر خدمتــه علـى خدمـة بـلاده .. وتوالـت بعـد ذلـك المعـاهدات والاتفاقيـات التـى كــانت بريطانيـا تمثـل فـي بعضهـا أطرافـاً عربيـة. وتحـاول فيهـا أن تحدّ مــن طموحــات عبـد العزيـز. وكـانت كفتهـا تميـل إلى الشـريف حسـين فـي نزاعــة مــع الملــك عبـد العزيـز، حتـى اللحظـات الأخـيرة، عندمـا تـأكد لهــا مقــدرة عبــد العزيــز علـى فـرض وجـوده فـي شـبه الجزيـرة، دون منـافس، فأعـادت تخطيـط سياسـتها على أساس مصادقتـه. وفـي الوقـت نفسـه الحـد مـن طموحاتـه..

ترى هل يمكن بعد كل هذا وغيره أن يقال: إن عرشه قام بدعم من بريطانيا؟! .. إنها مقولة يفضحها التاريخ .. فما قيلت إلا بغرض التشنيع، مثلما أُطْلِقت من قديم كلمة "الوهابية" على الدعوة الاصلاحية.

*** في الفصل الأول[1] يتعرض المؤلف لموضوع النزاع حول عسير، ويصدرها بلمحة تاريخية عن اليمن وعسير، معتمداً في معظمها على كتاب "المطامع السعودية" وهو كتاب مشابه لهذا في أسلوب التلفيق، وهدفهما واحد، وهو إشاعة الفتنة، وإثارة الأحقاد .. وسنتعرض لما يحتويه عقب هذا.**

**يقول: "وكان الاحتلال التركي الأول لليمن قد دام مائة عام تقريباً (١٥٣٨-١٦٣٣م)[2] ـ كانت القوات التركية قد دخلت اليمن منذ عام ١٥١٧م (٩٢٣هـ) ولكنها لم تسيطر عليها إلا بعد عام ١٥٣٨م ـ وقامت بعده (أي بعد رحيل العثمانين) دولة الأئمة القاسميين، التي وحّدت اليمن من أقصى عسير في الشمال إلى عدن في الجنوب، وعمان في الجنوب الشرقي .. إلخ" .**

وهذه المقولة كثيرة الترديد، وأقل ماتوصف به هي أنها مغالطة، فإن عسير خلال فترة التواجد الأول للعثمانين في اليمن، كانت بعيدة عن الصراعات التي قامت على أرض اليمن، بين الأئمة والأتراك، وحتى خلال

---

[1] يبدأ من ص١٩-٤٨.

[2] الصواب إلى عام ١٦٣٥م (أي خلال الفترة من ٩٤٥هـ ـ١٠٤٥هـ).

الفترة السابقة لذلك. فقد كان يحكم عسير أمراء البلدان، ورؤساء القبائل فيما يشبه الاستقلالية عن الإمارات والدول التى قامت فى اليمن .. كما أنها لم يدخلها العثمانيون خلال فترة تواجدهم الأول فى اليمن .. حتى أن منطقة فيفا الجنوبية لها ـ بما فيها جبالها ووديانها ـ ظلت هى الأخرى تعيش فى استقلالية عن تلك الصراعات، و لم يمتد إليها نفوذ أى منهم، وكانت أول مرة يدخلها جيش من قبل الإمام المؤيد محمد بن القاسم عام ١٠٣٥هـ (١٦٢٦م)[1].

غير أنها مالبثت أن رفضت هذا التدخل، وعادت إلى عزلتها .. أما عسير فظلت فى عزلة إلى أن دخلتها الدعوة الإصلاحية فى بداية القرن الثالث عشر الهجرى. كما سبق أن أوضحنا ذلك عندما ذكر المؤلف قدوم قوات حزام بن عامر العجمانى إلى المنطقة من قبل الإمام عبد العزيز ابن محمد، نجدةً لأنصار الدعوة الإصلاحية.

أما تهامة عسير (المخلاف السليمانى) فقد كانت مجاورة لمدينة زبيد شمالاً، تلك المدينة التى أنشأها ابن زياد عام ٢٠٤هـ، واتخذها مقراً لدولته، ثم اتخذها النجاحيون أيضاً مقراً لدولتهم، ونظراً لقربها من الساحل ولحصانتها، فقد كانت تتخذ أيضاً قاعدة لمعظم قادة جيوش الدول التى قدمت للمنطقة، ومنهم العثمانيون وبحكم مجاورتها لتهامة عسير، فقد كانت تهامة عسير ممراً للجيوش البرية الذاهبة إلى زبيد ثم الانطلاق منها

---

[1] انظر: د.سالم، السيد مصطفى، الفتح العثمانى الأول لليمن، ١٥٣٨-١٦٣٥م، ص٣٧١.

إلى بقية أراضى اليمن .. وكان الولاة المحليون لتهامة عسير ـ أو بالأصح المخلاف السليمانى ـ يعطون الولاء والطاعة لقواد تلك الجيوش مخافة البطش بهم .. وكانوا أحياناً يتعاونون مع أئمة اليمن فى التصدى لتلك الجيوش عندما يشعرون بضعفهم. لكن هذا الولاء للقواد، أوالتعاون مع الأئمة لم يفقدهم ماكانوا يتمتعون به من استقلالية فى الإدارة والحكم، بدليل استمرار بعض الأسر فى الحكم وتوارثه عدة قرون. كالقطبيين، والخواجيين، وآل خيرات. وبنى حرام فى حليٍّ بن يعقوب وغيرهم.

وعندما آل الأمر إلى الإمام القاسم بن محمد (١٠٠٦هـ) مؤسس دولة الأئمة القاسميين[1] كان العثمانيون مايزالون فى اليمن، وتوفى وهم متواجدون فيه، وتولى بعده ابنه الامام المؤيد محمد بن القاسم، فحاربهم حتى اضطرهم إلى عقد صلح خرجوا بعده من اليمن فى جمادى الأولى ١٠٤٥هـ (١٦٣٥م) وبالطبع فإن المؤيد وضع يده على ماكان بحوزة العثمانيين، وكان آخرها زبيد. ولم تذهب قواته إلى المخلاف السليمانى .. وفى عهد أخيه اسماعيل بن القاسم (١٠٥٢هـ-١٠٥٤هـ) قيل إن نفوذه امتد إلى المخلاف ، بينما لم يذكر ذلك من تتبعوا فتوحاته من المؤرخين[2]

---

[1] دولة القاسميين نسبه إلى الامام القاسم بن محمد، من ولد الناصر بن الهادى يحى، من ذرية الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، ولد القاسم عام ٩٦٧هـ، وتولى عام ١٠٠٦هـ، وتوفى عام ١٠٢٩هـ، وظل الحكم فى أبنائه تتوارثه ذريته حتى كان آخرهم أسرة الامام حميد الدين، الذين انتهى حكمهم لليمن عام ١٩٦٢م.

[2] لم يذكر امتداد نفوذه إلى المخلاف كل من الجرافى، المقتطف من تاريخ اليمن، ص٢٢٥-٢٣٥، والواسعى، تاريخ اليمن، ص٣٥٥.

وأيا كان فقد انحسر نفوذ الأئمة بعد ذلك في كثير من أرض اليمن نفسها نتيجة للفتن والخلافات. حتى دخلت إلى المنطقة الدعوة الصلاحية. كما سبق أن ذكرنا ذلك. وذلك ابتداء من عهد المنصور على ابن المهدى عباس (١١٨٩هـ ـ ١٢٢٤هـ) إذاً فمن المغالطة أن يقال إن توحيد اليمن خلال تلك الفترة المليئة بالفتن والصراعات ـ إذا كان قد تم فعلاً ـ قد شمل تهامة عسير (المخلاف السليماني) فضلاً عن عسير التى ظلت بمنأى عن أى تدخل كان، و لم تخضع لنفوذ خارجى غير نفوذ أبنائها، حتى دخلتها الدعوة الاصلاحية برغبة أبنائها، وبناء على رغبتهم أيضاً قدمت قوات الدولة السعودية الأولى، بقيادة حزام العجماني. ثم تبعه القواد الذين وُكِل إليهم الأمرُ بعده كعبد الوهاب بن عامر.

*** ويذكر المؤلف ثلاثة أمور يزعم أنها هى التى دفعت الدولة السعودية الأولى إلى التفكير فى ضم أجزاء من أرض اليمن ـ مصرّاً على أن عسير من أرض اليمن ـ وهى:**

**١- الضعف السياسى لحكم الأئمة الزيديين.**

**٢- ازدياد قوة الدولة السعودية الأولى بصورة سريعة ومتلاحقة.**

**٣- وجود تعاطف من قِبَل بعض علماء اليمن مع الدعوة الوهابية.**

**ويقول:يبدو أنه حصل نتيجة الوعود المغرية لهم، ويذكر صاحب كتاب الدولة السعودية الأولى[1] شعراً كتبه أحد علماء صنعاء، وهو الشيخ محمد بن اسماعيل الصنعاني، وأرسله إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول فيه:**

**سلامي على نجد ومن حل في نجد ∴ وإن كان تسليمى على البُعد لايجدى**

**وهى قصيدة طويلة تبلغ سبعين بيتاً، أورد المؤلف منها ثلاثة أبيات.**

ولنا هنا وقفة على إرجاعه سبب تعاطف بعض علماء اليمن مع الدعوة الاصلاحية، من أن سبب ذلك التعاطف كان نتيجة للوعود المغرية لهم .. ومستشهداً بتلك الأبيات على ذلك.

فالعلامة الشيخ محمد بن اسماعيل الأمير من أبرز علماء أهل السنة باليمن، المعاصرين للشيخ محمد بن عبد الوهاب. ومؤلفاته العديدة تغنى عن أي ثناء يضاف إليه، وكما يقول ابن بشر عنه: صنّف عدة كتب فى الرّد على المشركين المعتقدين فى الأشجار والأحجار، وفى الرّد على أهل وحدة الوجود، وغير ذلك من الكتب النافعة، وله شرح بلوغ المرام فى الحديث لابن حجر العسقلاني، وكتاب تطهير الاعتقاد عن درن

---

[1] لم يذكر مولفه، لكنه هو الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. وقد أورد جزءاً من القصيدة فى ص١٦١ من الكتاب المشار إليه.

الالحاد.الخ. ولما بلغه ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومادعا إليه من التوحيد .. كتب إليه قصيدة يمدحه فيها، على القيام بالتوحيد، وإقامة شرائع الاسلام، ويذكر ماعليه الناس من الجهل والضلال، والتبرك بالقبور والاشجار والأحجار[1] .. وذكر جزءاً من هذه القصيدة .. ومن هذا يتضح أن التوافق فى التوجهات الدينية، والعمل على تخليص العقيدة مما شابها من الخرافات والبدع هى نقطة التلاقى بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ محمد بن اسماعيل الأمير، وكانت هى أيضاً مبعث التعاطف بين عالمين جرّدا أنفسهما من مباهج الدنيا لخدمة دينهما .. لكن أصحاب الفكر الضحل، والنفوس المريضة لايدركون هذه المعانى الجليلة، والمواقف التى سمت إليها نفوس ذوى الهمم العالية .. فيفسرون تلك المواقف حسب هواهم.

ثم إن ابن الأمير توفى عام ١١٨٢هـ (١٧٦٨م) وكانت الدولة السعودية الأولى لم تبلغ فى ذاك الوقت أشدها، حتى تملك الوعود المغرية توزعها هنا وهناك..مع أنه لم يكن سبيلها ذلك، حتى بعد أن بلغت أشدها.. وإنما كان منهجها إنطلاق شعاع الدعوة، والدعاة، فإن وجدت تحدياً احتكمت إلى السيف .. ثم إن ابن الأمير لم يكن بحاجة إلى وعود فقد منحه الله الثراء والجاه، فكان بمثابة الوزير وقاضى القضاء فى عهد الإمام المنصور الحسين بن القاسم (١١٣٩هـ ـ ١١٦١هـ) حيث قام بدور

---

[1] ابن بشر، عنوان المجد فى تاريخ نجد، ج١، ص١٠٧.

المصلح بين الإمام والمناوئين له، وعمل على إخماد كثير من الفتن بجهوده السلمية، كما قام بالدور نفسه فى عهد ابنه الإمام المهدى عباس بن الحسين (١١٦١هـ ـ ١١٨٩هـ) وكان نشاطه المتعدد فى سبيل الخير والإصلاح قد ألّب عليه بعض الحاقدين، فاتهموه بإنه غيّر مذهب أهل البيت (المذهب الزيدى) فرد عليهم هو وأصدقاؤه من العلماء المنصفين، وخطاؤوهم فيما قالوه وبينوا لهم جهلهم، وكان ذلك فى العام الذى توفى فيه ابن الأمير (١١٨٢هـ)[1].

*** وعاد المؤلف فذكر الأحداث التى استدعت وجود القائد حزام ابن عامر العجمانى بمنطقة تهامة وعسير، وهو ماصدر به كلامه فى مقدمة كتابه، واستدعى منا توضيحه هنالك.. لكن الجديد فى كلامه هنا..والغريب أيضاً !!. أنه يقول : إن أمير "أبو عريش" حمود بن محمد، أبى مسمار ، الذى ظل رافضاً للدعوة، أغرى به[2] الإمام عبد العزيز ابن محمد قبائل عسير بمحاربته، ورد هو عليها، ولما ظل رافضاً أغرى الإمام عبد العزيز[2] إمام صنعاء المنصور ليهاجم أبا مسمار وعندما فعل الأول (أى إمام صنعاء) مال حمود إلى الإمام عبد العزيز وأعلن له الولاء..**

---

(١) انظر: الجرافى، المقتطف من تاريخ اليمن، ص٢٤٨-٢٥٦، و.د.العمرى، حسين عبد الله، مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، ص٢١،٣٣.

(٢) قالها فى المرتين: أغرى الأمير سعود، والصواب أن الذى كان معاصراً لتلك الأحداث، وإماماً فى الدعوة هو الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود، المتوفى عام ١٢١٨هـ.

إنه قول بلغ من السذاجة شأواً بعيداً.. فكيف يتفق الحاكم في الدرعية مع الحاكم في صنعاء على أمير في تهامة عسير رفض الدخول في طاعة الدرعية، وبماذا يا ترى أغراه ؟!. إن العقل السليم يرفض قبول تلك المقولة، كما أن وقائع التاريخ تناقضها . فإن أمير أبي عريش (حمود أبو مسمار) كان في موقف مناوئ للدعوة في البداية، وعندما أحاطت به جيوش الدعوة، كتب إلى المنصور إمام صنعاء يستنجده، فوعده بنجدة لكن ظروفه الداخلية لم تمكنه من تقديم أي عون له، حتى تغلبت عليه جيوش الدولة السعودية الأولى بقيادة عبد الوهاب بن عامر الرفيدي (المعروف: بأبي نقطة) في رمضان ١٢١٧هـ، فبذل حمود الطاعة، وتعهد بالجهاد لمناصرة الدعوة، وكان من أثر ذلك تجهيزه جيشاً تحت قيادة ابن أخيه علي بن حيدر فاستولت على اللحية، ومور، والقحري، وسهام، وبيت الفقيه وغيرها من تهامة اليمن، باسم الدولة السعودية الأولى[1] ثم امتد النفوذ عام ١٢٢٣هـ إلى جبل كوكبان، وإلى قرب باب المندب[2].

*** ثم يخلط المؤلف الوقائع التاريخية،وتداعيات حدوثها،فيذكر اختلاف حمود، وأبي نقطة وأن الإمام سعود أغرى هذه المرة الشريف حمود بقتال أهل صنعاء عام ١٢٢٤هـ (١٨٠٩ - ١٨١٠م) فرفض أبو مسمار وعمل صلحاً مع إمام صنعاء علىأساس اعتراف الإمام بما تحت**

---

[1] نفح العود في سيرة الشريف حمود، للبهكلي، ص١٤٦-١٥٢ومابعدها. وتاريخ المخلاف السليماني، للعقيلي، ج١، ص٤٥٢-٤٥٥ الطبعة الثالثة.

[2] المرجع السابق، ص٢٤٢، وحاشية ص٢٣٨.

**يد الشريف من الأراضي اليمنية (يقصد زبيد واللحية ومابعدهما جنوباً) فأرسل له الامام سعود قوات ضخمة سارت إليه بقيادة غصاب العتيبي فألحقت به هزيمة في قلعته بأبي عريش .. ثم عين الامام سعود على تهامة طامي[1] بن شعيب ابن عم عبد الوهاب أبو نقطة بعد أن قتل الأخير في المنطقة .. إلخ.**

والواقع أنه كانت هناك خلافات شخصية بين كل من حمود، وعبد الوهاب أبى نقطة، أمير عسير، وتطورت إلى عداء سافر عام ١٢٢٤هـ، وحاول الإمام سعود الإصلاح بينهما، فاستدعاهما إلى الدرعية فخامر الشك حمود فبعث ابنه أحمد مندوباً عنه، وذهب عبد الوهاب[2] بنفسه فتنازعا فى مجلس الإمام فى الدرعية و لم يتفقا، فما كان من الإمام إلا أن عهد إلى حمود بواسطة ابنه الذى قدم إلى الدرعية، أن يركز جهوده فى البلدان التى سيطر عليها، والتى امتد نفوذ الدولة السعودية إليها باليمن، أى زبيد وما خلفها جنوباً .. واستمر عبد الوهاب أميراً على عسير، وطلب الإمام سعود من حمود أن يلاقيه فى موسم الحج عام ١٢٢٤هـ بمكة المكرمة .. فلم يحضر حمود إلى مكة، وتراسل مع الشريف غالب سراً، وعلم منه أن الدولة العثمانية قد عهدت إلى محمد على باشا والى مصر بتجهيز حملة إلى الحجاز، فكان ذلك من أقوى الدوافع لعصيان

---

[1] وردت فى الكتاب: كامى، بدل طامى فى كل نص ورد فيه ذلك الاسم، ويبدو أنه نقلها من مؤلف أجنبى، و لم يصوبها، وهذا دليل على جهله بتاريخ المنطقة.

[2] انظر ابن بشر، ج١، ص٣٠٢.

حمود، وخلع الطاعة، وعمل اتصالات بامام اليمن للوقوف بجانبه .. وبلغ ذلك القيادة في الدرعية، فعهدت إلى عبد الوهاب بن عامر أمير عسير بمحاربة حمود، وكان غصاب العتيبي من بين القواد الذين بعثتهم القيادة في الدرعية لمساعدة عبد الوهاب في مهمته .. فلما توفى عبد الوهاب في أول معركة بينهما بوادى بيش عام ١٢٢٤هـ، تولى غصاب القيادة، حتى جاء الأمر من الدرعية بتولية طامى بن شعيب، ابن عم عبد الوهاب، مكانه قائداً وأميراً على عسير[1] فواصل محاربة حمود حتى انتزع منه "أبو عريش، واللحية، والحديدة" وعندئذ طلب حمود من الامام سعود العفو، فعفا عنه[2] وكان ذلك عام ١٢٢٦هـ.

وانتهز إمام صنعاء تلك الخلافات، وشعر بضعف موقف حمود، فأراد ضربه ونزع مافى يده من بلاد تهامة اليمن ـ اللحية وغيرها ـ فبعث جيشاً لمهاجمته في مقره ببلدة مختارة، لكن جيشه منى بخسائر جسيمة، ثم عاد من حيث أتى[3].

*** ويقول المؤلف: "وتمكن السعوديون من الوصول حتى نجران ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م) دون أن تتمكن الفصائل السعودية من الاستقرار فيها.."**

---

[1] ابن بشر، ج١، ص٣٠٢،٣٠٣، ونفح العود، هامش ص٢٣٨،٢٣٩.

[2] البهلكى، المصدر السابق، ص٢٥٥-٢٧٧. وابن بشر،ج١، ص٣٠٢-٣٠٤.

[3] تاريخ المخلاف السليماني، للعقيلي، ج١، ص٤٧١.

والصواب أن الفصائل السعودية تمكنت من الوصول وكسب الغنائم بقيادة مبارك بن هادى بن قرملة القحطانى عام ١٢١٠هـ (١٧٩٥م) كما سار إليهم أمير عسير عبد الوهاب بن عامر الرفيدى، يقود ثلاثين ألفا عام ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م) ومعه فهاد بن شكبان أمير بيشه، وأهل سنحان، وعبيدة، ووادعة الجنوب، وأهل وادى الدواسر، وأوقع بهم، ثم بنى حصناً مقابل بلدة بدر بنجران وصير فيه مرابطة[1] وكان من أثر ذلك أن بعث بعض رؤساء نجران وفداً منهم إلى الإمام سعود الكبير، للدخول فى الطاعة، وأنه بعث معهم رسالة إلى بقية رؤساء نجران، كما دخلت يام وبواديها فى الطاعة، وأدوا إليه الزكاة[2].

*** ثم يقول المؤلف: "وكمكافأة على وقوف الادريسى مع بريطانيا جعلته الحاكم فى منطقة عسير، وأصبحت حدودها ـ أى يقصد عسير ـ تمتد من القنفذة شمالاً حتى المخا فى الجنوب، ونجد فى الشرق، والبحر الأحمر فى الغرب.**

ويلاحظ أنه يوجد هنا خلط واضح فى التعبير، وخطأ فى الحكم. فأما التعبير فهناك فارق بين عسير، وتهامة عسير (جازان) التى كان يشملها حكم الادريسى، ثم امتد حكمه إلى المخا بتهامة اليمن، وغيرها جنوباً .. وأما عسير فقد كان بها متصرفية عثمانية، قاعدتها مدينة "أبها"

---

[1] ابن بشر، ج١، ص٢٩٠.

[2] ابن بشر، ج١، ص٣٥٤.

وعند خروج العثمانيين منها عقب الحرب العالمية الأولى، آلت إلى الحسن ابن على بن عائض، الذى كان نائباً لمتصرف عسير. فبسط آل عائض نفوذهم على عسير. وهى إمارة تختلف عن إمارة الادريسى. وأما الخطأ فى الحكم فإن بريطانيا ليست هى التى جعلت الادريسى حاكماً على تهامة عسير، مكافأة له على وقوفه بجانبها إبان الحرب العالمية الأولى، وإنما اعترفت به حاكماً على المنطقة المذكورة وفرق كبير بين التعبيرين: جعلته .. واعترفت به .. وكذلك فى النتيجة المترتبة على كل منهما، وإلا فإن الادريسى بدأ منذ عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) العمل على تجميع قبائل تهامة عسير حوله، وفرض وجوده على الدولة العثمانية حتى اعترفت به حاكما على تهامة عسير (المخلاف السليمانى) بالاتفاق الذى وقعه معه سعيد باشا،مندوب الدولة العثمانية إليه عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) ومنحته رتبة قائمقام. مقابل الاعتراف بالتبعية العثمانية. لكنه مالبث أن خلع طاعتها، وحالف الايطاليين واعترفت به ايطاليا حاكما على المنطقة نفسها. وذلك كله قبل محالفته لبريطانيا، واعترافها به حاكما على المنطقة المذكورة والممتدة جنوباً حتى الحديدة وغيرها بتهامة اليمن.

ومع أن هناك خلطاً آخر حين تحدث المؤلف عن الاتفاقية الأولى بين الملك عبد العزيز والادريسى الموقعة عام ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) والمشار إليها فى الاتفاقية الثانية الموقعة عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) والمعروفة باسم: معاهدة مكة المكرمة. وقال: "تنص الاتفاقية على تخلى الادريسى عن يام ـ أى نجران ـ [هكذا قال المؤلف] وعن بنى جماعة وسحار لصالح ابن سعود"

فإن ذكره لهذا فيه دليل على أن تلك المناطق لم تكن مرتبطة باليمن ولا لها علاقة بها لا قبل هذا التاريخ ولا بعده، علماً بأن الادريسى لم يكن يمتد نفوذه إلى نجران، وإنما كانت السلطنة النجدية قد امتد نفوذها إلى كثير من قبائلها .. والمهم أنه لم يكن لليمن نفوذ فى نجران وقت عقد هذا الاتفاق.

كما أنه خلط بين الأحداث التى وقعت فى عسير وبين تلك التى وقعت فى تهامة عسير خلال الفترة من عام ١٣٣٨هـ ــ ١٣٥١هـ (١٩٢٠م ــ ١٩٣٢م).

* **ويقول[1]: ولقد رأينا كيف أن اليمن بعد أن كانت موحدة من أقصى عسير فى الشمال إلى عدن فى الجنوب، وعمان فى الجنوب الشرقى، سقطت هذه الدولة، مما أغرى الدولة السعودية الأولى على الهجوم عليها، فهجموا عليها، فما صمد لهم غير أمير "أبو عريش" بعد تبدل التحالفات، وهنا حدث مايمكن اعتباره التّماس الأول بين الدولة الوهابية فى الجزيرة العربية، والزيدية فى اليمن.**

وهذا القول فيه الكثير من المغالاة والمغالطة، فقد سبق أن أتينا بصورة موجزة عن الأوضاع التى عاشتها اليمن، والصراعات التى انتابتها، والإمارات أو الدول التى تداولت أرضها ومزقتها فى مختلف العصور، ولأسباب مختلفة ومتنوعة، بحيث يصعب أن يقال بانصاف: إنها توحدت

---

(1) فى ص٣٧.

سياسياً أو إدارياً فى أي عهد من العهود، منذ ضعف النفوذ العباسى منتصف القرن الرابع الهجرى، وحتى نهاية العهد الأول للدولة العثمانية، الذى انتهى عام ١٠٤٥هـ، وكان ذلك فى عهد الإمام المؤيد محمد بن القاسم (١٠٢٩هـ ـ ١٠٥٢هـ) ومن الإنصاف أن نقول إنه كان ذو همة عالية، أقلق مضجع العثمانيين، وساعدته ظروف الدولة المتداعية على رحيلها عن اليمن .. وخلال حروبه للعثمانين مد يده إلى بعض أمراء المخلاف السليماني للوقوف معاً فى محاربة جنودها المتمركزين فى تهامة اليمن، وفى المخلاف أيضاً، وكان هذا أمل أمراء المخلاف فتجاوبوا مع دعوته لمحاربتهم. وبعث الإمام المؤيد قوة يقودها صلاح المؤيدى إلى أبى عريش وبندر جازان، فانضم إليه أمراء آل القطبى بمن جمعوه لهذا الغرض من أبناء المنطقة، واستولوا على صبيا وأبى عريش، وأخرجوا الجنود العثمانيين المتمركزين فى المخلاف، وذلك عام ١٠٣٦هـ، أى قبل رحيلهم عن اليمن بتسعة أعوام، وكان أمراء المخلاف خلال تلك الأعوام هم الذين يديرونه كما كانوا يديرونه تحت إشراف ممثلى الدولة قبل رحيلهم عنه .. ثم استنهض الامام المؤيد أمراء المخلاف عام ١٠٤٤هـ لمحاربة العثمانيين فى زبيد، وكانت تعتبر آخر تحصيناتهم فى أرض اليمن، فقاد عز الدين بن أحمد القطبى قبائل المخلاف وسار إلى زبيد، وأسهم بدور متميز فى إخراج العثمانين منها، وعقب ذلك أصبح الإمام المؤيد هو المسيطر على معظم أرض اليمن[1] فأراد الاطمئنان على ولاء حلفاء الأمس،

---

[1] ونقول معظم أرض اليمن، لأن هناك بعض المعارضين له، أو المناوئين، لم تخل منهم اليمن فترة حكمه الذى --

المجاورين له فى الشمال، وهم أمراء المخلاف، فبعث لآل القطبى أحمد بن محمد الشرفى لأخذ البيعة له، فأعطوه البيعة مخافة بأسه وبطشه، فليس بمقدورهم معارضته، لكنهم مالبثوا أن تحللوا منها فى عهد ابن أخيه المؤيد محمد بن اسماعيل (١٠٩٢هـ - ١٠٩٧هـ) الذى بدأ الوهن يستشرى فى جسم الدولة فى عهده، حتى أنها قسمت إلى مايشبه الاقطاعيات، موزعة على من لهم نفوذ من أبناء الأئمة يديرونها، ولم يبق للامام من حظ فى الحكم إلا الدعاء فى خطبة الجمعة[1] .. وانحسر النفوذ عن المخلاف، بل عادت الفتن والصراعات تجتاح اليمن حتى عهد الامام المنصور على ابن المهدى عباس (١١٨٩هـ - ١٢٢٤هـ) الذى امتد نفوذ الدولة السعودية الأولى فى عهده إلى تهامة اليمن، ابتداء من مور، واللحية، وزبيد، وبيت الفقيه، والحديدة حتى قرب باب المندب، بواسطة رجالها من أبناء تهامة عسير، وعسير السراة، والنجدات التى كانت تمدهم بها القيادة فى الدرعية .. فليس من الانصاف نسيان التاريخ الطويل للمنطقة، منذ العصر الجاهلى، وصدر الاسلام، والدولتين الأموية والعباسية، وغيرهما من دول حتى خروج العثمانيين الأول من اليمن عام ١٠٤٥هـ، ولايذكر إلا فترة يسيرة من عهد المؤيد!! .. وينسى أيضاً تلك الفتن والاضطرابات والصراعات التى مزقت أرض اليمن خلال هذه الحقب الطويلة من التاريخ .. ويقال: إنها كانت موحدة!! .. وامتد نفوذها إلى كذا .. وكذا.!!

--- يعد أول حكم شمل أوسع مساحة من أرض اليمن.

[1] العقيلى، محمد بن أحمد، تاريخ المخلاف السليمانى، ج١، ص٣٥٥

* **ويقول[1] أما أثناء حكم الدولة السعودية الثانية (١٨٢٤ ـ ١٨٩١م) (١٢٤٠ ـ ١٣٠٩هـ) فلم يستول السعوديون على جيزان وعسير أو نجران، نظراً لانشغال العائلة بالصراعات الداخلية فيما بين الأمراء.**

الواقع أنه خلال عهد الدولة السعودية الثانية كان هناك وجود عثمانى فى منطقة جازان، وعسير منذ حملة محمد على باشا على المنطقة، وإن كانت الادارة الفعلية، وتصريف الأمور الداخلية بيد أبناء المنطقة، ورؤساء القبائل فيها، أما نجران فلم يصل إليها الوجود العثمانى خلال هذه الفترة، وكانت القبائل بتلك المناطق موالية للحكام من آل سعود، وعلى صلة بهم بشكل غير رسمى، أو ظاهرى، بدليل أن الامام سعود بن فيصل عندما نافر أخاه الامام عبد الله بن فيصل توجه إلى عسير ليستنهضهم معه ضد أخيه، لكنهم رفضوا المشاركة فى الفتنة بين الأخوين، عن طريق ابن عائض أمير عسير فى ذاك الوقت، وكذلك الشأن فى قبائل نجران، فقد كانت قبيلة يام بنجران موالية للامام عبد الرحمن بن فيصل[2].

* **ويُرْجِع المؤلف سبب نشأة الإمارة الادريسية ـ فى تهامة عسير ـ إلى ضعف حكم الأئمة فى اليمن[3] وليس هذا صواباً فإن الوجود**

---

[1] ص٣٨.

[2] انظر كتاب "مثير الوجد فى أنساب ملوك نجد" لراشد بن على الحنبلى، ص٥٣.

[3] ص٣٨،٣٩.

**العثماني** كان هو المهيمن على كل من منطقة جازان وعسير واليمن أيضاً خلال محاولات الادريسى[1] إنشاء إمارته، فهادن الدولة العثمانية حتى تمكن من جمع قبائل المخلاف السليمانى حوله، وكان المخلاف قد انفصل عن الادارة العثمانية فى الحديدة، وارتبط بمتصرفية عسير العثمانية، واجتاحته الفتن والاضطرابات. فعمل الادريسى على تهدئة القبائل والصلح بينها، حتى التفت حوله، وبايعته حاكما عليهم عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) واعترفت به الدولة العثمانية حاكما على منطقة جازان بموجب الاتفاق الذى وقعه معه مندوب الدولة العثمانية سعيد باشا عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) ومنحته رتبة قائمقام. مقابل الاعتراف منه بالتبعية العثمانية، لكنه مالبث أن خلع طاعتها، وتحالف مع إيطاليا للوقوف معه، فاعترفت به إيطاليا حاكما على جازان، ثم تحالف بعد ذلك مع بريطانيا للوقوف ضد الدولة العثمانية، وكان خلال ذلك امتد نفوذه حتى شمل الحديدة وغيرها من تهامة اليمن.. انتزعها من الدولة العثمانية. وليس من إمام صنعاء.

وإذاً فإن الإدريسى أسس إمارته فى جازان أولاً، وهى لاتعد بحال من الأراضى اليمنية، وانتزعها من العثمانين أصحاب النفوذ فى المنطقة بكاملها. ثم امتد نفوذه جنوباً فى تهامة اليمن لينتزعها أيضاً من العثمانيين، وليس من أئمة اليمن .. وذلك تحت المفهوم الذي كان سائداً منذ عدة قرون: الأرض لمن غلب عليها .. والحكم لمن أرتضته الرعية.

---

[1] هو محمد بن على بن محمد بن أحمد الادريسى، ولد بصبيا عام ١٢٩٣هـ، وتوفى عام ١٣٤١هـ.

*** ثم إن اعتراف المؤلف[1] بأن الادارسة التجأوا إلى السعودية خوفاً من التهديد اليمني**، يفيد أمرين: الأول الاعتراف بالواقع الذى كان معروفاً وقتها، من حيث تهديد اليمن للإمارة الادريسية لابتلاعها بمفهوم المؤلف. للابتلاعات .. وكانت الإمارة تتكون من جزئين: تهامة عسير (المخلاف السليماني) والجزء الثاني: تهامة اليمن (حتى الحديدة) الأمر الثاني: فات المؤلف أن كثيراً من أعيان وقبائل المخلاف كان هواهم منذ فترة طويلة مع آل سعود، وقد قاموا بدور بارز في دفع الأدارسة للالتجاء إلى الملك عبد العزيز لحماية بلادهم من التهديد القادم إليهم من اليمن .. فالتقت بذلك رغبة الحكام والمحكومين، مع السعودية.

**ويقع المؤلف في اضطراب من حيث تسلسل وقوع الحوادث تاريخياً[2] فيذكر إلتجاء أحد الأدارسة إلى اليمن كأحد الأسباب التي أدت إلى بداية توتر العلاقات بين البلدين، ثم يذكر حادثة "تنومة" بينما العكس هو الصحيح تاريخياً، ويعرض حادثة "تنومة" بصورة تبرز فيها الملامة على السعودية بشكل واضح، وكان الأحرى به استعراض ماقيل فيها ولو بصورة موجزة.**

والواقع أن حادثة "تنومة" أحاطت بها ـ وقتها ـ ظروف وملابسات عديدة، ثم استغلت من قبل البعض بغرض الاثارة، واشعال الفتنة بين

---

[1] ص٣٩.

[2] ص: ٣٩

الطرفين، ومازال البعض يثيرها للغرض نفسه، ومن المفيد تحسس بعض تلك الملابسات حتى تتضح الحقائق، وبالتالى لا تستغل هى أو غيرها للإثارة والتوتر، وتعكير المياه الصافية .. تلك الملابسات تمثلت فى الآتى:

- دخلت عسير تحت نفوذ الملك عبد العزيز فى شعبان سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) اعتماداً على ماكان لآل سعود من هيمنة سابقة عليها، والارتباط بسكانها وبقبائلها دينياً وتاريخياً، ورغبة الأهالى والقبائل فى إعادة هذا الارتباط .. وكان من نتيجة امتداد هذا النفوذ أن تلاقت وتماست الحدود بين البلدين فى منطقة عسير، بنهاية أرض قحطان الجنوب، وغيرها من القبائل التابعة للمملكة، ولم يثر هذا الوضع الجديد فى ذاك الوقت أية اعتراضات، أو خلافات، أو حتى مجرد استفهام حول الملتقيات الحدودية بين البلدين، ذلك لأن إمارة عسير كانت أواخر عهد العثمانين، إمارة مستقلة عن الحكم، أو بالأصح الحاكم العثمانى لليمن، وكانت حدودها الجنوبية معروفة ومحددة إقليمياً وإدارياً[1] لذا لم يكن هناك وجه للاعتراض، أو حتى مجرد الاستفهام كما قلنا.

- كان الشخص الذى تضايق لامتداد هذا النفوذ وقت ذاك، هو الشريف حسين، فعمل على إثارة الفتن والاضطرابات فى عسير، والتقت أهدافه مع أهداف الحكام السابقين لعسير من آل عائض، فشجعهم على

---

[1] تشير إلى هذا بعض الوثائق العثمانية فى استانبول، الأرشيف السلطانى، وانظر أيضاً مذكرات الوالى العثمانى لعسير سليمان شفيق كمالى، ص١١١، ومابعدها.

التمرد، وفى الوقت نفسه كان يمد بعض القبائل بالمال والسلاح، لينضموا إلى الحسن بن عائض[1] وللانصاف فإن بعض الأمراء الذين تولوا إمارة عسير من قبل الملك عبد العزيز فى ذاك الوقت، قد اساؤا التصرف الإدارى، مما أثار شكوى وتذمر بعض القبائل منهم[2] ورغم محاولة الملك عبد العزيز اصلاح ما أفسده هؤلاء، لدرجة أنه استبدل ثلاثة أمراء، واحداً بعد الآخر، خلال فترة وجيزة، لكن ابن عائض استغل تذمر بعض القبائل وركب الموجة، وكانت أموال الشريف لها بريق أخاذ، فاندفعوا خلف ابن عائض، الذى تحرك من معقله فى جبل "حرملة" إلى أبها، قاعدة عسير، وحاصر أمير عسير، فهد العقيلى، والحامية السعودية بها. وعمد إلى حرق بيوت بعض الموالين لآل سعود، ومن بينهم بيت الشيخ سعيد بن مشيط، ولأن ابن عائض كان متوقعاً رد الفعل من جانب الملك عبد العزيز على هذا التصرف فقد سارع ببعث رسالة عاجلة إلى الشريف لتزويده بقوة تسانده فى حال المواجهة، وببعض المال لكسب المزيد من الأنصار.

وكان الملك عبد العزيز مشغولاً فى ذاك الوقت بحصار حائل، وضمها إلى دولته، وعندما وصلته أخبار عسير كان قد أوشك على الانتهاء من أمر حائل، فجهز ابنه الأمير (الملك الشهيد) فيصل بن عبد العزيز، على رأس حملة لوأد الفتنة التى ظهرت فى عسير، فتحرك فيصل من الرياض أوائل شهر ذى القعدة سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م) فأسرع فى

---

[1] انظر كتاب "الأمير عبد العزيز بن مساعد" تأليف حسن سليمان.

[2] كتاب "عسير فى العلاقات السياسية السعودية اليمنية" للدكتور عصام ضياء الدين، ص٤٩.

مسيره حتى دخل عسير، واسترد أبها، وعين الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم، أحد قواده المشهورين، أميراً على عسير[1]، ثم عاد إلى الرياض، وترامت إلى اسماعهم أن هناك قوات بعثها الشريف حسين لنجدة ابن عائض، وأنها تتجمع فيما بين بلاد بلحمر وبلسمر في عسير، وذلك أواخر ذى القعدة سنة ١٣٤٠هـ (يوليو سنة ١٩٢٢م) فسارعت معظم القوات السعودية ـ التى تركها فيصل مع أمير عسير ـ بالالتحام معها، وفيما رحى الحرب مشتعلة تداعت إلى الاسماع أيضاً أن هناك قوات أخرى بعثها إمام اليمن لمساعدة ابن عائض، بناء على مراسلة تمت بينه وبين الشريف حسين للتصدى للملك عبد العزيز[2] ومعاهدة وقعت بينهما، و لم يكد هذا الخبر يستقر فى الآذان حتى شاهد أمير عسير قافلة كبيرة قادمة من جهة اليمن عن طريق عسير مروراً بأبها، لكنهم عندما تفحصوها من بُعد شاهدوا المحمل يتقدمها، فقد كان موسم الحج قد حل موعده، وكل من اليمن، والشام، ومصر، ترسل محملاً فى موسم الحج[3] لذا سارع أمير عسير، الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم، باستقبال القافلة على مشارف أبها، وأكرم وفادة الحجيج، وبعد أن استراحو قليلاً، وعزموا على مواصلة المسير إلى مكة، أدرك الأمير مايتهدد القافلة من مخاطر الطريق، فيما لو مرت بالقرب

---

[1] قيل عين سعد بن عفيصان أولاً، ثم خلفه ابن حيفان، ثم ابن ابراهيم، انظر: تاريخ الدولة السعودية لأمين سعيد، ص٩٧، وقيل كان الأمير فيصل مايزال فى عسير وقت حادث تنومه، أمين الريحانى، تاريخ نجد، ص٣٠٣.

[2] فى ثنايا عرض المؤلف ص٤٠ لم يملك أن قال: إن الامام تحالف سراً من الشريف حسين للتصدى للملك عبد العزيز.

[3] وهى عادة مبتدعة فى الاسلام. ليس لها أصل.

من المعركة الدائرة رحاها في ذاك الوقت بين الجيشين، فبادر باسداء النصح لرؤساء القافلة بأن يسلكوا طريقاً آخر أكثر آمناً، حدده لهم، ودلهم عليه، لكنهم لم يستمعوا إلى نصيحته، وأصروا على سلوك الطريق المحفوف بالمخاطر، فما كان من الأمير إلا أن أخذ منهم كتابة خطية بأنهم يسلكون هذا الطريق بمحض إرادتهم واختيارهم وعلى مسئوليتهم، وأن السعوديين ليسوا مسئولين عن أى خطر يحيق بهم، أو شر ينالهم، ثم سمح لهم بالتحرك والعبور، وكانوا فيما قيل ثلاثه آلاف نفس. بعضهم يحمل السلاح، ربما للحراسة لكنه على أية حال يثير الشك لدى المقاتلين فى الميدان.

ووقع ما كان يخشاه أمير عسير، المعروف بحنكته وبُعد نظره، فقد ظنهم المقاتلون السعوديون أنهم مدد ونجدة لقوات الشريف حسين بموجب المعاهدة الموقعة بينهما عام١٣٤٠هـ والتى لم يجف مدادها بعد، وإنها قوة تتخفى بلباس الحجيج، وأن عددهم الكبير يؤيد ذلك، خاصة وأن الاسلحة التى كانوا يحملونها كانت ظاهرة وشاهرة، مما أثار الشك فى أمرهم، فأسرع البعض بتطويقهم فى وادى تنومه بين بلاد بلحمر وبلسمر، وأصلوهم ناراً[1] هذه هى خلاصة حادثة "تنومة" ومن السذاجة استغلالها للتشنيع، أو إثارة الفتنة، لأنه معروف فى الحروب الحديثة أن

---

[1] انظر "اضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث" للشيخ محمد بن أحمد العقيلى، ص١٩٢،١٩٣، وتاريخ العلاقات السعودية اليمنية للدكتورة فتوح عبد المحسن الخترش، ص١١٦-١١٩، التى ذكرتها بتفصيل، وكان ضمن مراجعها فى ذلك ص١١٨ تاريخ الواسعى، الذى لم يتعرض لذكر تلك الحادثة، وكذلك المقتطف للجرافى الذى أوردها فى ص٣٠٤ فى ثلاثة أسطر فقط، و لم تلتزم بروح الانصاف فى عرضها للحادثة.

المدنيين الذين يزحون بأنفسهم فى ميدان الحرب، أو ساحة القتال مهدورو الدم، خاصة إذا ما أنذروا بالأبتعاد عن ساحة المعركة، وهذا مشاهد فيما نراه فى عصرنا الحاضر فى كل بقاع الدنيا المصطلية بالحروب .. ومع ذلك فقد اعتذر الملك عبد العزيز للامام يحيى عن هذا الخطأ غير المقصود، وأمر برد كل ما كان بحوزة هؤلاء من مال ومتاع .. ورغم ذلك استغل المغرضون هذا الحادث للإثارة، وتعكير الصفو.. ومايزالون!..

*** وتحت عنوان "الحرب اليمنية السعودية"[1] لم يشر إلى التداعيات الحقيقية التى أدت إلى نشوبها، وإنما أشار بصورة مبهمة ومبتسرة إلى توقف سلسة المداولات، ثم قال: "...ولذلك فإن السعوديين بدأوا الهجوم .." مع أنه قال فى الصفحة السابقة[2]: ".. فى مايو ١٩٣٣م (١٣٥٢هـ) دخلت قوات يمنية إلى نجران بحجة إقرار السلام، وتعليم أهلها أصول الاسلام .."**

والصواب أن نشوب الحرب سبقته تداعيات متلاحقة، يأتى فى مقدمتها قيام قوات يمنية ـ تحت إشراف وقيادة ولى عهد اليمن أنذاك ـ بمطاردة بعض قبائل نجران، واحتلال أجزاء من أرضها، فى محرم ١٣٥٢هـ/مايو ١٩٣٣م، ثم بعد عدة أشهر من نفس العام تقدمت قوات أخرى واحتلت أرض العبادل وبنى مالك (بجبل فيفا) وأخذت منهم

---

[1] ص٤٣.

[2] ص٤٢.

رهائن، كما هاجمت بعد ذلك بلاد الحرث ومركز العرضة[1] وغير ذلك من استفزازات وتحرشات .. بالرغم من وجود معاهدة صداقة وحسن جوار، وقعت عام ١٣٥٠هـ (١٩٣٢م) وكان الدافع لهذا هو احتلال أكبر مساحة من الأرض والهيمنة عليها، ثم إجبار الملك عبد العزيز على التسليم بالأمر الواقع .. كما حدث في جبل العرو .. فقد كان كل من جبل "منبه" وجبل "العرو" تابعين للامارة الادريسية التى انضمت لحماية الملك عبد العزيز، وتقدمت قوات يمنية واحتلتهما فى ٢٩ ربيع الآخر ١٣٥٠هـ (١٩٣١م)، وبعد سلسلة من المباحثات، تنازل الملك عبد العزيز عن جبل منبه والعرو حسماً للخلاف، ورغبة فى استقرار الأوضاع الحدودية. ونتج عن ذلك التوصل إلى عقد معاهدة صداقة وحسن جوار فى ٥ شعبان ١٣٥٠هـ/١٥ يناير ١٩٣٢م التى تضمنت التسليم بابقاء الوضع الراهن الحدودى على ماهو عليه .. لكن رغبة الامام يحيى فى حسن الجوار وتحسين العلاقات لم تكن مخلصة، كما تقول الدكتورة فتوح الخترش[2] مستشهدة على ذلك بما قاله سفير هولندا فى جدة عندما زاد الامام يحيي فى صنعاء عقب توقيع تلك الاتفاقية، وهنأ الامام بتوقيعها، فرد الامام: إنها مفاوضات، واتفاق عمل بين أميرى جيزان وميدى تمت بينهما على إنهاء حالة معينة كانت تسود الحدود بينهما .. وقالت: إن الامام لم يكن صادق النية فى وضع حد للنزاع اليمنى السعودى حول

---

[1] أضواء على تاريخ الجزيرة العربية، محمد أحمد العقيلى، ص٢٥٠.

[2] تاريخ العلاقات السعودية اليمنية، ص١٤٣-١٤٥.

عسير، وأنه وافق على هذه الاتفاقية كسباً للوقت حتى يستعيد قوته، ويتمكن من اعداد جيوشه على النحو الذى يمكنه من مواجهة عملية حاسمه مع ابن سعود. وأنه بتوقيع الاتفاقيه أراد أن يصرف نظر ابن سعود عما ينويه، ويتخذه ستاراً لوثبته.

وبالفعل كان من نتيجة عدم صدق النوايا تقدم قوات الامام واحتلال المناطق المذكورة، وهو فى حد ذاته يعطى مؤشراً ودلالة واضحة على أنها لم تكن قبل تابعة لليمن، ولاجزءاً منها .. بل سبق للامام الاعتراف بها ضمناً أنها ليست من اليمن، ولا من مناطق نفوذه، عندما وافق على معاهده الصداقة وحسن الجوار، التى أشرنا إليها، والتى أقرت التسليم بابقاء الوضع الحدودى على ماهو عليه.

ثم ألا ترى أن احتلال هذه المناطق هو الذى يمكن أن يطلق عليه "ابتلاع" بمفهوم المؤلف!.. ومع ذلك فإن الملك عبد العزيز أرخى حبال الصبر إلى أقصى مداها، حتى أن بعض أهله كادوا يتهمونه بالخور .. بينما هو لا يفقد زمام الحكمة حتى وسط الأعاصير المفزعة .. ذلك لأنه لم يكن يحب الدخول فى حرب مع اليمن، ولا مع الامام يحيى، فإن اضطرته الظروف لدخولها فليكن مستعداً، ولتكن إلى حدٍ معين .. ثم تتوقف .. وهذا مافعله عندما نشبت الحرب فعلاً .. وقد رفض رفضاً قاطعاً فكرة تقدم قواته إلى صنعاء .. بل كان بمقدوره أن يرمى بكل ثقله لاحتلال مساحات أكبر .. لكنه رفض كل ذلك .. لأنه يريد اليمن دولة مستقلة ذات سيادة، يربطه بها حسن الجوار، ويعرف تماماً أن حكم الزيدية منهم

وفيهم، فلا يرغب الدخول فى صراعات مذهبية، كما أنه يعى جيداً موازين القوى والسياسة الدولية .. وأنها تقف غالباً بجانب المعتدى عليه حتى يسترد حقه .. وقد تقدمت قواته، جناح منها بقياده ابنه سعود فاستردت نجران وتقدم قليلاً فى الجبال بأرض اليمن. وآخر بقيادة ابنه فيصل فى تهامة وعسير فاستردت المناطق التى سبق أن احتلت (فيفا وغيرها) وواصلت تقدمها إلى الحديدة ثم إلى مشارف تعز .. وجاءها الأمر بالتوقف .. بعد أن تلقى الملك عبد العزيز برقية عاجلة من الامام يحيى، بموافقته على ماسبق أن طرحه الملك عبد العزيز من شروط الصلح، قائلاً: يأخى كفى ماكان!.

* **ويقول المؤلف: فى ١٥يونيو ١٩٣٤م (١صفر ١٣٥٣هـ) سمح ابن سعود لمبعوث الامام ـ عبد الله بن الوزير ـ بالعودة إلى وطنه اليمن، بعد أن كان قد احتجز فى السعودية للضغط على إمام اليمن، وذلك خلافاً للمواثيق الإسلامية والانسانية.**

نحن هنا لايعنينا تقييم شخصية عبد الله بن الوزير، التى اختلف المؤرخون فى تحليل أبعادها، بين قادح ومادح، بقدر مايعنينا البحث عن حقيقة الوضع أنذاك، لاظهار مدى الصواب، أو الاختلاف فيما يزعمه صانع هذا الكلام، بهدف الاثارة، والمزيد من الفرقة.

كان التوتر قد بلغ مداه على الحدود فى النصف الأول من عام ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) عقب احتلال بعض القوات اليمنية لأجزاء من نجران، ومنطقة الجبال جنوب عسير ـ فى أرض بنى مالك والعبادل

وغيرهم ــ وأوشك لهيب الحرب أن يندلع، وشررها أن يتطاير هنا وهنالك، وتوقف كل شئ فيما عدا البرقيات المتبادلة بين عاهلى البلدين، فى محاولة لتجنب الصدام المرير .. كان فى الجانب اليمنى ولى العهد سيف الاسلام أحمد متحمساً لاحتلال أجزاء أكثر بعد أن احتل ناحية من نجران والجبال، ووَضْع السعودية أمام الأمر الواقع، ومن ثَمّ التسليم بابقاء الوضع الراهن الجديد على ماهو عليه فى أية مفاوضات قادمة .. أما فى الجانب السعودى فقد كان الاستعداد والحشد يتم على مقربة من الحدود، تحسباً لكل شئ .. وفى هدوء تجنباً لأية إثارة، طالما هناك مكاتبات دائرة بين العاهلين .. ومفضلين الحل السلمى على الحرب .. ومن خلال المكاتبات المتبادلة اقترح الملك عبد العزيز بتاريخ ١٣٥٢/٩/٢٥هـ، انعقاد مؤتمر لوفد البلدين فى مدينة أبها، ووافقه الامام يحي بتاريخ ١٣٥٢/٩/٢٩هـ، وعين عبد الله الوزير رئيساً للوفد اليمنى، الذى ذهب وقابل ولى عهد اليمن بمعسكره بالقرب من صعدة، ليأخذ تعليماته، قبل أن يواصل سيره إلى أبها.

وحينما أُشعر الملك برقياً بتحرك الوفد اليمنى من صنعاء، أمر بتشكيل الوفد السعودى المفاوض من كل من: فؤاد حمزة، والشيخ عبد الله بن زاحم، وتركى بن ماضى، وعبد الوهاب أبو ملحة، ودليم بن محمد بن دليم .وكلف تركى بن ماضى بالتوجه إلى ظهران الجنوب لاستقبال الوفد اليمنى عند عبوره الحدود، ومن ثمّ مرافقته إلى أبها، وكانت الموضوعات المتفق على بحثها فى المؤتمر هى : موضوع التعدى

على نجران، والحدود، ومشروع معاهدة بين البلدين، وكف التدخلات من كلا الطرفين[1].

وقد سجل الشيخ تركى بن ماضى فى مذكراته انطباعاته عن ابن الوزير منذ أن استقبله على الحدود، قائلاً : كان كعادته يتظاهر بالقوة والشجاعة، ويضع الأمور فى غير موضعها، وكان متغطرساً متكبراً ، وقد سبق لى به معرفة قبل هذه الآونة، وذلك حينما انتدبه الامام لمفاوضتنا فى صنعاء عام ١٣٤٦هـ، ولم يكن انتدابه هذه المرة إلا دليلاً على عدم حسن النية من حكومته.. وكان خلال الاجتماعات فى أبها متوتر الأعصاب، مسرفاً فى تفوهاته وعباراته، ورفض البحث فى موضوع نجران، وكان لايتسم بالمرونة فى الحوار والمناقشة. فكان من الطبيعى أن تتوقف المفاوضات بعد ست جلسات، بدأت الأولى يوم ١٣٥٢/١١/٢هـ، والأخيرة كانت يوم ١٣٥٢/١١/١٨هـ، وعادت البرقيات المتبادلةبين الملك والامام تنشط مره أخرى، لتذليل العقبات أمام المفاوضين، كما تبودلت كتب بين الوافدين دون أن يجتمعا. وذلك خلال الفترة من ١٣٥٢/١١/١٩هـ (١٩٣٣/١٢/٣١م) حتى ١٣٥٢/١٢/١٨هـ، أى لمدة شهر ولم تصل هى أيضاً إلا إلى طريق مسدود.. وعندها صدرت الأوامر للقوات السعودية فى جميع الجبهات بالتحرك فجر الثلاثاء ١٣٥٢/١٢/١٨هـ (٥ابريل ١٩٣٤م) وتلقى عبد

---

[1] أضواء على تاريخ الجزيرة العربية، للعقيلى، ص٣٥٠.

الله بن الوزير من الامام برقية تأمره بالعودة هو ومن معه، فرغب فى العودة عن طريق ظهران الجنوب، لكن الوفد السعودى تلقى تعليمات من الملك بأن يعرضوا على ابن الوزير العودة عن طريق البحر من أحد الموانئ بالساحل السعودى إلى أحد الموانئ اليمنية أماناً وحفظاً لحياته هو ومن معه، لأن طريق البر ممتلئ بالجنود، وسيعرض نفسه للخطر هو ومن معه إن سلك طريق البر إلى ظهران الجنوب..

ولعل ملابسات حادث "تنومة" لم يغب عن الأذهان.. لكن العجيب أن ابن الوزير لم يحمل هذه النصيحة محملاً طيباً من الوفد، وكتب إلى الملك عبد العزيز، عن طريق فؤاد حمزة، يقول: إن العودة عن طريق البحر صعب علينا لأن معنا خيل وذلول يتعذر ركوبها البحر.. وفى الامكان إصدار أوامركم لجندكم بمراعاة خطة عودتنا بالبر.. فكتب له الملك عبد العزيز خطاباً حاول فيه أن يوضح له مخاطر الطريق فى هذه الظروف، فإن أمن الجند فلا يأمن بعض الهاربين فى الجبال.. ورجاه أن يثنى قصده عن السفر براً، لأنه ضيفه هو ومن معه، والحفاظ على حياتهم من مسئوليته.. وأبدى استعداده باعداد مركب خاص ينقلهم إلى أحد الموانئ اليمنية، وتعهد بالعمل على ايصال الدواب إلى المكان الذى يريدونه[1]. واقتنع أخيراً ابن الوزير، وذهب هو ومن معه بصحبة الوفد السعودى إلى مكة المكرمة، ونزلوا ضيوفاً على المملكة، و لم يطلبوا العودة،

---

[1] انظر بيان العلاقات السعودية اليمنية، ص١٧٠،١٧١.

وظلوا بمكة بمحض اختيارهم، وكانوا على اتصال بالامام يحيى.. إلى أن جاءت برقية من الامام بتاريخ ١٣٥٢/١٢/٢٨هـ (١٢ ابريل ١٩٣٤) جاء فيها: يا أخي كفى ماقد كان، ونعوذ بالله من شرور المتربصين بالإسلام الدوائر، لتحقيق مطامعهم،وتفضلوا بطلب السيد/ عبد الله بن الوزير إلى حضرتكم لإكمال المعاهدة الأخوية .. وكان بالفعل عبد الله ابن الوزير هو ممثل اليمن فى معاهده الطائف. وبهذا كله يتضح أن ابن الوزير لم يكن محتجزاً .. وأنه أقام بمكة بمحض اختياره .. وأنه لم يستغل كوسيلة ضغط على الامام لقبول الصلح .. وان ماحدث فى ساحة القتال هو الذى عجل بقبول الصلح والشروط .. وأن .. وأن .. ثم إن جرأة المؤلف فى رفع المبادئ الاسلامية والانسانية واستغلالها فى هذا الموقف المختلق من أساسه .. هو أمر يدعو إلى العجب!.. فالداعية الصادق هو الذى يطبق المبادئ الاسلامية، والقيم الأخلاقية على نفسه قبل أن يدعو غيره للالتزام بها .. قال الله تعالى: "أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم"[1]

* **وعن نتيجة الحرب السعودية اليمنية يستعرض مايعقب الحروب دائماً من خروج غالب ومغلوب مستشهداً بما حدث فى الحربين العالميتين الأولى والثانية .. ومن أن المنتصر يفرض شروطه على المنهزم .. ثم يقول[2]: ".. وهذا ماحدث مع اليمن، فقد أرغمت على**

---

[1] سورة البقرة، آية ٤٤.

[2] ص٥١.

**قبول معاهدة الطائف، التى تنظم الحدود بين البلدين، وتعطى شرعية السيطرة السعودية على عسير، ونجران، وجيزان ..".**

والواقع أن هذا الكلام له وجه اتفاق واختلاف، فأما اتفاقه فمن حيث تمخض الحروب عن منتصر ومهزوم، وأن المنتصر غالباً مايفرض شروطه .. وأما وجه الاختلاف فمن حيث تشبيه ماحدث هنا بما حدث فى الحربين العالميتين الأولى والثانية .. للظروف والتداعيات التى أدت إلى نشوبِ كل منهم، وكذا الشمولية والحجم والنتائج .. فقياس مع الفارق.. وذلك بالاضافة إلى مغالطة فى التعبير، حين قال: إن المعاهدة أعطت شرعية السيطرة السعودية على عسير، ونجران، وجيزان .. ذلك لأن السعودية لم تفقد سيطرتها على تلك المناطق منذ تماست الحدود بين البلدين، فى عسير منذ عام ١٣٣٨هـ (١٩٢١م) وفى جيزان منذ معاهدة مكة المكرمة عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) مع الادريسى، وقبل ذلك بقرون بالنسبة لنجران !.

وحين نقصت تلك السيطرة الشرعية، باحتلال اليمن لأجزاء من نجران، وبعض الجبال (فيفا) بأرض بنى مالك والعبادل وغيرهم، كان ذلك سبباً مباشراً من أسباب قيام الحرب بين البلدين، فلما انتهت كان من نتائجها إعادة السيطرة والنفوذ والشرعية للأجزاء التى كانت قد انتقصت شرعيتها .. إذا فلم يتم اكتساب شرعية جديدة، وإنما إعادة شرعية كانت قد انتقصت من بعض أجزاء المناطق المذكورة .. وبالتالى فإن معاهدة الطائف لم تأت بجديد، بالنسبة للشرعية على تلك المناطق، وإنما أقرت

وضعاً كان موجوداً بالفعل، وكانت تدور المباحثات حول إقراره سلمياً، قبل الحرب، وهو الوضع الحدودى نفسه الذى ورد فى معاهدة الصداقة بين البلدين فى ٥ شعبان ١٣٥٠ هـ السابقة لمعاهدة الطائف، وأيضاً فى بعض المباحثات بين الوفود عند إقرارهم له، والمعبر عنه بقولهم "إبقاء الوضع الراهن على ما هو عليه".

ومن هذا كله يتبين أنه لم تكن من نتائج تلك الحرب، خروج منتصر ومهزوم، ولم يكن من نتائجها اكتساب أرض جديدة، ولم يتم فرض أو اكتساب شرعية على مناطق جديدة كما يزعم المؤلف، وما معاهدة الطائف إلا إقرار للوضع الذى كان راهناً وسائداً قبلُ، وكانت تدور حوله المباحثات .. وكان من أهم فوائد معاهدة الطائف أنها أعادت الهدوء والاستقرار الحدودى بين البلدين، ورسخت مبادئ الاسلام والأخوة بين الدولتين .

***يقول[1] :" بعد أن استقر أمر الحدود أصبح من اهتمامات السعودية المحافظة على هدوء واستقرار جارته، ولم يعد فى صالحها حدوث اضطرابات أو قلاقل فيها، لأن من شأن ذلك التأثير على الوضع الداخلى من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تغير شكل الحكم فى اليمن يعنى أن مرحلة جديدة ومختلفة من العلاقات بين البلدين قد تبدأ، مما قد تدفع بنظام الحكم الجديد إلى إعادة النظر فى معاهدة الطائف،**

---

[1] ص٥٢

**الأمر الذى يعيد النظام السعودى إلى دوامة أخرى من عدم الأستقرار.."**

وهذا القول مبنى على افتراضات خاطئة، لذا فإن النتائج المترتبة عليها تكون خاطئة أيضاً، لهذه الأسباب:

أولاً : أن معظم دول العالم ــ وليس السعودية فقط ــ تلك التى يساس الحكم فيها بيد عقلاء، يهمها استقرار الأوضاع فيما يجاورها من دول، ولذا تعقد بينهم تحالفات، وتتبادل المساعدات كيفما كانت، مادية أو معنوية، بغرض دعم هذا الاستقرار .. ونلحظ هذا واضحاً فى دول غرب أوربا التى عانت الويلات فى الحربين العالميتين، الأولى والثانية .. فنجد من بينها دولة صغيرة فى حجم مساحتها وعدد سكانها، وتجاورها دولة كبيرة ذات شأن وصولة، لكنهما يعيشان فى وئام وتآلف، وكل منهما يهمه استقرار الأوضاع فى جارته ..

إذاً فاهتمام الدول المتجاورة بالأستقرار لأي منهما أمر تسعى إليه الدول، وهو مبدأ يحسب فى ميزان الفضيلة .. ولايعد منقصة ..

ثانياً: أن حدوث قلاقل داخلية فى بعض الدول لايترتب عليه بالضرورة تسرب أثر تلك الاضطرابات والقلاقل إلى الدول المتجاورة، فمثلاً : لم يتغير نظام الحكم فى بريطانيا على إثر ما حدث فى فرنسا عقب الثورة الفرنسية، ولا فى بلجيكا عقب ماحدث فى ألمانيا، ولا فى اليابان عقب ماحدث فى الصين .. ولِمَ نذهب بعيداً، فقد حدثت

صراعات فى اليمن، فى مختلف مراحل التاريخ، حتى أنها مزقت أرضها إلى دويلات متعددةفى وقت واحد، وكل منها تدعى أنها صاحبة الحق، وأن الحكم والسلطة لها وحدها .. فهل تسرب أثر تلك الصراعات والاضطرابات إلى ما جاور اليمن من أقاليم بوسط شبة الجزيرة العربية ؟!.. قطعاً لم يتأثر، فقد كان لكل إقليم، حكمه الذى ارتضاه، أو ارتضته الدولة المهيمنة فى كل عصر .. ثم إنه حدث أن تغير نظام الحكم فى كثير من دول المنطقة، بل فى بعض الدول المجاورة للسعودية، كالعراق مثلاً، ولم يكن له تأثيرعلى الوضع فى السعودية، فلماذا اليمن بالذات!!؟. إن أيّ تغيير لنظام الحكم يحدث فى أية دولة تكون تلك الدولة حريصة على أن تذيع على العالم أنها ملتزمة بكافة المعاهدات والاتفاقيات الدولية، حتى يجد هذا النظام مكاناً له فى المجتمع الدولى، ولو حدث وأنه ألغى معاهدة من جانبه، لوقف العالم ضده، وعاد الوضع إلى ماقبل المعاهدة، وفى معاهدة الطائف كان الوضع قبلها: حالة حرب!! وعندها سيكون البادئ أظلم!.. فهل يدرك المؤلف ذلك!..

ثالثاً : فى العصر الحديث حدث فعلاً أن تغير نظام الحكم فى اليمن، بعد ثورة سبتمبر١٩٦٢م /ربيع الثانى١٣٨٢هـ، وأعقبها وجود صراعات داخلية فى اليمن .. وكان يهم السعودية بالدرجة الأولى ألا يكون هناك نفوذ خارجى، يستولى على مقاليد السلطة فيها، ويوجهها حيثما يريد، لامن حيث يريد أبناء اليمن، وعندما اتفق أبناء اليمن، وارتضوا النظام الذى يلائمهم، مدت لهم السعودية يد الدعم والمساعدة،

وحدث تفاهم وتقارب فى العلاقات بين البلدين أقوى مما كان .. وهذا مانشاهد نتائجه فى وقتنا الحاضر .. غير أن ذوى الأهواء كثيراً مايصابون بعشى فى أعينهم، فلا يرون الضوء إلا ظلاماً .. ولا الخير إلا شراً .. ولايظنون إلا سوء الظن .. وبهذا المعيار فإن صاحبنا ينسب كل حدث سياسى وقع على أرض اليمن إلى تدخلات سعودية!!.. وكأن اليمن إحدى المناطق التى تتكون منها السعودية .. أو أنها مستعمرة، تصرف أمورها كيفما شاءت!!.. وأى عاقل يربأ بنفسه عن هذا الكلام، فى حق دولتين مسلمتين يحكم علاقاتهما رباط الأخوة الاسلامية، والمواثيق التى حث الاسلام على الالتزام بها.

**فمثلاً من ادعاءاته[1] قيام السعودية بدور فى قمع انتفاضة عام ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ) التى أودت بحياة الامام يحيى[2] وتعيين عبد الله الوزير إماماً وحاكماً، وقيام الإمام أحمد بن الامام يحيى بالعمل على استرداد الحكم، والقضاء على الانتفاضة، وذلك بدعم مادى وعسكرى من السعودية!!..**

وهذا ادعاء كاذب، ولعل أكبر دليل على كذبه، هو ماأورده المؤرخ اليمنى عبد الله الجرافى، حين أرخ لتلك الواقعة بالتفصيل[3]، عن

---

[1] ص٥٣.

[2] تولى الامام يحيى بن محمد حميد الله الأمامة فى اليمن عام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) عقب وفاة والده الامام المنصور محمد بن يحيى، واستمر حتى اغتيل يوم ٧ ربيع الثانى ١٣٦٧هـ (١٩٤٨/٢/١٧).

[3] انظر المقتطف من تاريخ اليمن ص٣٢٧-٣٣٨.

كيفية التدبير لها، وتنفيذها، وكيف قام ولى العهد الامام أحمد بن يحيى بالتصدى لها، من حيث الاستعانة بالقبائل والعشائر وبعض قادة الجيش الذين هالهم وقوع هذا الحدث، وتحفزوا جميعا للوقوف خلف الامام أحمد منذ اللحظة الأولى، ولما شعر ابن الوزير بضعف موقفة فى صنعاء نتيجة لحصارها من قبل أنصار الامام أحمد، بعث برقيات إلى بعض الدول العربية، يطلب منها التدخل لايقاف المذبحة التى ستقع فى صنعاء إذا دخلتها القبائل الموالية للامام أحمد، فبعثت الجامعة العربية وفداً "لتقصى الحقائق، فدخل صنعاء وخرج منها قبل أن يضيق الخناق عليها، ثم خرج وفد آخر من الجامعة العربية تحت رئاسة أمين عام الجامعة: عبد الرحمن عزام. على إثر الاستغاثات المتوالية من ابن الوزير. وفى الطريق عرف أن صنعاء محاصرة وأنه لايمكنهم دخولها، فعرج الوفد على الملك عبد العزيز، فى جدة، لاستطلاع رأيه فى الموقف، وأثناء ذلك حضر إلى الملك عبد العزيز وفد من طرف عبد الله بن الوزير، يطلب منه التدخل، فرفض، وأنب الوفد .. خاصة عندما وجده يتطاول على وفد الجامعة العربية، لعدم تدخلها لانقاذ هذه الحركة باليمن ..

الجامعة العربية فى سجلاتها تقارير عن وقائع هذا الحدث، وتقارير البعثات الأجنبية فى المنطقة، وكذا تغطية الصحف ووكالات الأنباء لهذا الحدث، جميعها لم يشر من قريب أو بعيد لأى تدخل سعودى لنصرة طرف على الآخر .. ورغم ذلك فحائكو الأكاذيب لايتورعون عن حبكها فى أية مناسبة !..

**ومثل هذا أيضاً مانسبه إلى السعودية من قمع التفاضة١٩٥٥م (١٣٧٤هـ) مع أنه يقول: إنها تعتبر انتفاضة داخلية بين أبناء الأسرة المالكة، ولم يكن للشعب دور فيها، بل يمكن عدها شكلاً من أشكال الصراع على الحكم[1] بين أبناء الأسرة . قادها أحمد يحي الثلايا، قائد حامية تعز يوم ٣٠ مارس١٩٥٥م (١٣٤٧هـ) ضد الإمام أحمد الذى كان مقيماً بتعز، وقد تغلب الإمام على الثائرين عليه يوم ٥أبريل١٩٥٥م، وأعدم الثلايا وبعض معاونيه ..**

فأى دخل للسعودية فى حركة قامت بين أبناء الأسرة الحاكمة كما يقول؟!.. حركة لم تستمر سوى أسبوع واحد ثم انتهت لصالح الحاكم الشرعى .. وحتى لو كان فإن الأسبوع الواحد لايكفى لأعظم الدول شأناً ـ فى عصرنا الحاضر ـ التدخل لصالح طرف ضد الآخر، فى دولة مستقلة، فيما إذا قبلت الدولة العظمى القيام بهذا الدور!. ومعروف أن السعودية منذ عهد الملك عبد العزيز، ترفض رفضاً قاطعاً القيام بهذا الدور.. وهذا مبدأ معروف لديها .. ويعرفه عنها المتبعون سياستها، لكن المؤلف مايفتأ خلال ذكره للأحداث من تلفيق الاتهامات ضد السعودية دون أدنى دليل!..

وعندما يعجز عن إثبات الأدلة للتهم التى ألصقها بالسعودية، خلال فترة زمنية معينة، يرجع أسباب عجزه إلى ندرة المصادرالسياسية والتاريخية

---

(1) ص٥٤-٥٧

للعلاقات السعودية اليمنية، كما أطلق ذلك على الفترة من عام ١٩٣٤-١٩٦٢م (١٣٥٣-١٣٨٢هـ)[1] وهو بالتالى يشير إلى تلفيقاته فيما ذكره خلال هذه الفترة، لأنه قول بغير دليل .. ودعوى تفتقر إلى البرهان.

*** وفى الفصل الثالث يتحدث عن الحرب الأهلية خلال الفترة مابين عامى ١٩٦٢-١٩٧٠ (١٣٨٢-١٣٩٠هـ)[2] وهى الحرب التى أعقب ثورة ٢٦ سبتمبر، بين الجمهوريين والملكيين. قائلاً: إن السعودية وقفت بجانب الملكيين، بحجة الدفاع عن الشرعية فى اليمن، ودرء الأخطار الماركسية عن الجزيرة العربية .. ثم يقول: وانضم الأردن إلى السعودية فى دعم الملكيين، ضمن تحالف عسكرى بينهما وقع فى ٤نوفمبر ١٩٦٢ (٧ جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ)[3]**

وهذا يعنى أن السعودية لم تكن وحدها بجانب الملكيين!. على حد قوله.

لكن تعالوا بنا ـ بعيداً عن صدى المزايدات الكلامية، وما تثيره من غبار قد يحجب الرؤية عن بعض العيون، وبخاصة إذا لم تكن فاحصة ومتعمقة ـ لنرى الموقف يومذاك.

---

(1) ص٥٩.

(2) من ص٦٣ إلى ص٨٦.

(3) ص٦٧.

إن التاريخ قد سجل أن ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م ــ حين قيامها ــ لم تقض مباشرة على نظام الحكم السابق للأئمة، وإنما أعقبتها حرب أهلية، كما يعترف المؤلف بها فى العنوان الذى وضعه فى بداية الفصل الثالث[1] وكانت هناك حرب أهلية بين طرفين: أحدهما ثائر على الأوضاع السابقة، وثانيهما يدافع عن شرعية وجوده، واستمرارية بقائه، ولكل منهما دواعى ومبررات جعلته يتصدى للطرف الآخر، وانقسم الشعب إلى شطرين، كل منهما يؤازر طرفاً ويناصره على الآخر .. وسعى كل طرف منهما لكسب التأييد الدولى لوجوده، والاعتراف به وحده دون خصمه، وترددت كثير من دول العالم فى الاعتراف بالوضع الجديد نتيجة لعدم معرفة حقيقة ماحدث ويحدث داخل اليمن .. وبخاصة فى الأسابيع التالية للثورة .. وشد انتباه العالم مايحدث من صراع داخل اليمن، ومايهال عليه من تعتيم بالغ .. وتسابقت الدول الكبرى فى الكشف عن الحقيقة!.

كانت السعودية من بين دول العالم التى شد انتباهها ماحدث فى اليمن، منذ اللحظات الأولى، وكان مبعث ذلك عدة أسباب من بينها:

- أن ماحدث وقع داخل دولة مجاورة لها، تربطها بها علاقات جوار، وأخوة، وحدود مشتركة، ولو أنه وقع فى دولة مجاورة غير اليمن، لنال الاهتمام نفسه، فهذا شأن الدول المتجاورة، فى نظام المجموعة

---

[1] العنوان هكذا: الحرب الأهلية (١٩٦٢-١٩٧٠).

الدولية، وهـو أوضح فـى النظـام الإسلامى، مـن حيـث حـق الجـار علـى جـاره بصفة عامـة.

- أن السـعودية دولـة عربيـة إسـلامية، لم تقـف فىيـوم مـن الأيـام بمعزل عـن العـالمين العربـى والإسلامى، وإنما لها مشـاركات إيجابيـة ومؤثـرة فى القضايـا العربيـة والإسـلامية، علـى السـاحتين العربيـة والدوليـة.

- أن الدولـة السـعودية منـذ أنشئت علـى يـد محمـد بـن سـعود عـام ١١٥٧هـ (١٧٤٤م) وهـى تقـوم بتطبيـق الشـريعة الإسـلامية، فـى منهجهـا للحكـم، وسـار الملـك عبـد العزيـز علـى نفـس المنهـج عندمـا قـام بتأسـيس الدولـة السـعودية المعـاصرة عـام ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) فـى وقـت كـان يمـر فيـه العـالم العربـى بنهايـة مرحلـة كـاد يفقـد فيهـا هويتـه العربيـة نتيجـة لتغـير موقـف الدولـة العثمانيـة، قبيـل اسـتيلاء الاتحـاديين علـى الحكـم فـى اسـتانبول عـام ١٩٠٩م (١٣٢٦هـ) وقيـام حركـة تدعـو إلى النزعـة الطورانيـة[1] وإلى الجنسـية التركيـة، وأظهـرت معاداتهـا للعـرب، والعمـل علـى دمجهـم فـى جنسـيات أخـرى. إن لم يدمجـوا فـى الجنسـية التركيـة، وكذلـك العمـل علـى نشـر اللغـة التركيـة فـى جميـع الأقطـار العربيـة .. ثـم مـافتئت أن خلعـت ثـوب الاسـلام علـى يـد كمـال أتـاتورك .. وغـير ذلـك ممـاهو معـروف تاريخيـاً، هـذا بالاضافـة إلى امتـداد النفـوذ الاستعمارى إلى كثـير مـن الأقطـار العربيـة .. وفـى

---

(1) الطورانية: نسبة إلى طوران جبل فى أواسط أسيا، نسبت إليه القبيلة التى ينسب إليها عثمـان أرطـاغلى، جـد آل عثمان، الذى نزح بقبيلته إلى الجنوب إبان غارة المغول على العلم الإسلامى.

الوقت نفسه اجتاح التيار الماركسى كثيراً من الدول الإسلامية فى وسط أسيا، وأحكم قبضته عليها، وبدأ يتحرك نحو العالم العربى .. متوافقاً مع أصوات تصدح فى سمائه تدعو للإلتقاء بالفكر الماركسى .. أو للتغنى بالاتجاه نحو الغرب للتحلى بمباهجه، والتخلى عن القيم والتقاليد التى كانت فى رأيهم سبباً فى التأخر!!..

فى هذا الجو الذى يتمزق فيه نسيج الأمة العربية، وتوشك على الوقوع فريسة للطامعين، تقوم الدولة السعودية الثالثة وتطبق الشريعة الاسلامية وتجعل من نفسها داعية وحامية لمذهب أهل السنة وتتفوق فى ايجاد الصيغة الملائمة للجمع بين التمسك بالشريعة، والأخذ بأساليب التحضر الحديثة، ولم تقف عند هذا الحد وإنما دعت غيرها للاقتداء بها .. ووطدت نفسها لتكون نصيراً للمسلمين المستضعفين فى الأرض .. وزادت مسئوليتها خطورة وجسامة برعايتها للأماكن المقدسة، والكعبة المشرفة، قبلة المسلمين فى شتى بقاع الأرض .. مسئولة عن سلامة هذه المقدسات التى تهم المسلمين، وتوفير الأمن فيها، والأمان للوافدين عليها.. وعلى كل مامن شأنه أن يبعث الراحة والاطمئنان، ووافر العيش والإقامة، والحل والترحال، على مدار العام لضيوف الرحمن.

من منطلق هذه المسئولية الشرعية المتزايدة، فإن أخشى ماكانت تخشاه السعودية ـ وسط هذا التيار الجارف للأمة العربية والإسلامية ـ هو أن يتسرب التيار الماركسى، ويعشش ويفرخ فى شبه الجزيرة العربية، فوجوده كالوباء إذا تمكن من عضو انتشر فى الجسم، ولايهدأ حتى يقضى

عليه ومن مبادئ الماركسية العمل على محو الأديان، ويأتي الإسلام في مقدمتها.

وقفت السعودية حارساً أميناً على المقدسات الإسلامية في وجه التيار الماركسي الجارف، ألا يتسرب إلى إحدى حاراتها، مخافة أن يدعم وجوده، وينمو كيانه، على أيدى من انبهروا به من أبناء الأمة العربية، وعندها سيتكرر حتماً ماأحدثه القرامطة في هجمتهم الشنيعة على مكة المكرمة عام ٣١٧هـ (٩٢٩م) وقتلهم آلاف الحجيج، واقتلاعهم باب الكعبة، وخلع الحجر الأسود .. ومن المؤكد ألا يدع قرامطة العصر الحديث شيئاً من معالم الأماكن المقدسة، بل ربما تتبدل الأرض غير الأرض !. وليس هذا من قبيل المبالغة، فاقرأوا كيف احتاح الماركسيون الدول الإسلامية وسط آسيا، وكم قتلوا من المسلمين وهدموا من مساجد، واحرقوا المصاحف والكتب الإسلامية .. وهنا ستكون الكارثة أعظم !. لاقدر الله .

من هنا وقفت السعودية حارساً على الأماكن المقدسة، حتى لايقربها مشرك، أو ملحد، أو وثني، أو يعكر أمنها، أويروع الأمنين فيها، أحد من ذوى الأهواء والمغرضين، وأصحاب الملل والنحل، المعادية للإسلام.

وقفت تدافع وتنافح .. وحق لها أن تفعل ذلك .. وما ينبغي لأحد أن يلومها .. حتى لو تخطى دفاعها حدودها الإقليمية لمحاربة التيارات الماركسية والإلحادية .. بمختلف ألوانها :. فأمان الأماكن المقدسة يحتاج

إلى أكثر من سد منيع كى يمنع الطوفان الجارف لخصوم الإسلام المتعددين، الذين جمعهم الاتفاق على عداوته ومحاربته ..

حساسيتها مرهفة إلى حد بالغ من هذه الناحية، لضخامة مسئوليتها، لذا شد انتباهها منذ اللحظات الأولى، ما حدث فى اليمن يوم ٢٦سبتمبر١٩٦٢م (١٣٨٢هـ) لأنها أحست بيد أجنبية خلف هذا العمل، وخشيت أن تكون يداً ماركسية، أو منقادة لها، ولم تمر ساعات إلا وصدق حسها، فقد اعترف الاتحاد السوفيتى بالنظام الجديد فىاليمن، ثانى يوم[1] واعترفت به مصر ـ تحت قيادة عبد الناصرـ ثالث يوم .. وكما يقول المؤلف : "..حتى لايثير الشكوك بتورطه فى الانقلاب .. " ثم امتد جسر بحرى وجوى للجنود والمعدات وكافة الاسلحة فيما بين مصر واليمن، بالاضافة إلى أسلحة ومعدات من دول المعسكر الشرقى .

كانت هوية وملامح الحركة تؤكد أنها ماركسية !. وتختفى تحت مسمى "الإشتراكية" كما هو حالها . حتى لاتثير مشاعر المسلمين المحافظين من البداية .. وفى الوقت نفسه وصلت للسعودية استغاثة من الطرف الآخر، وهو صاحب الحق الشرعى فى الحكم، ومعه تأييد قطاع كبير من رؤساء القبائل .. وعندها تبين أن الشعب نفسه انقسم إلى شطرين : شطر مع الثائرين الجمهوريين، وآخر مع الملكيين .. وأخذ كل فريق يسعى إلى

---

[1] يقول المؤلف ص٦٥: إن الاتحاد السوفيتى اعترف بالنظام الجديد فى اليمن بعد يومين، بينما اعترفت به الجمهورية العربية المتحدة (مصر) فى اليوم الثالث. حتى لاتثير الشكوك بتورطها فى الانقلاب.

المجتمع الدولى للتعاطف معه، والاعتراف به دون الطرف الآخر .. وقامت الحرب الأهلية لثمان سنين ١٣٨٢هـ ــ ١٣٩٠هـ ــ (١٩٦٢م ــ ١٩٧٠م)، وتوقفت كثير من الدول عن الاعتراف بالنظام الجديد..

– من المعروف عن سياسة السعودية أنها لاتندفع فى مثل هذه الأمور ــ عند الاستجابة لاستغاثة من هذا القبيل ــ وإنما تتخذ القرار بعد تأنى وتروى، ودراسة مستفيضة .. رأت أن هناك خطورة بالغة فى هوية الحركة، وانتماءاتها، وأن أحد السدود لأمان الأماكن المقدسة أوشك على الانهيار .. وأن واجبها التصدى للطوفان .. ومع ذلك رأت ألا ترمى بثقلها فى هذا الموقف إلا بمقدار، حتى تتضح الأمور، انطلاقاً من مسئوليتها التى أشرنا إليها، واستجابة للأخلاق العربية فى تلبية المستغيث .. وكان القدر الذى سمحت لنفسها التدخل به هو السماح للأسلحة والمعدات التى ترد للملكيين أن تعبر إليهم من أراضيها .. وكذلك الأموال التى ترد إليهم .. وتَبنّى وجهة نظرهم سياسياً فى المحافل الدولية ..

ولم تكن السعودية وحدها هى التى اتخذت هذا الموقف تجاه الملكيين، وإنما دول عربية وأجنبية .. والشعب اليمنى نفسه انقسم على نفسه .. إبان هذه المشكلة التى طال مداها، وطال الصراع فيها بين أبناء اليمن أنفسهم .. ومن غير المقبول إلقاء العذر عن الإطالة فى هذا الصراع بالتدخلات الخارجية .. بدليل أنهم عندما اتفقوا على شكل الحكم الذى يجمعهم تحت مظلته، اعترفت بهم كافة الدول، ومن ضمنهم السعودية

التـي اعـترفت رسمياً بـاليمن فـي ٢٣يوليـو١٩٧١م (٢٠جمـادى الأولى١٣٩٠هـ) كمـا يقـول المؤلـف[1].

المهـم أن موقـف السـعودية ــ خـلال تلـك الحـرب الأهليـة ــ كـان معروفـاً على السـاحة الدوليـة وقتهـا، وهـو : العمـل علـى اسـتقلالية اليمـن، وعـدم خضوعـه لأيـة دولـة أجنبيـة، أيـاً كـانت .. والحفـاظ عليـه مـن الفكـر الماركسـي، لأن اليمـن فـي اعتبارهـا أحـد السـدود لأمـن الأمـاكن المقدسـة .. ولو حدث مثل هذا فـي دولـة مجاورة لهـا غـير اليمـن لكـان موقفهـا هـو الموقـف نفسه .. وذلـك انطلاقـاً مـن مسئوليتها الضخمـة التـي أشـرنا إليهـا ..

أتُـرَى المؤلـف يـدرك ذلـك ؟!.. ولايهمنـا إدراكـه .. أو إدراك غـيره مـن المغرضـين الذيـن نقـل عنهـم مـا نقـل فـي كتابـه، فتلـك نتيجـة للتيـارات الفكريـة التـي اجتـاحت العـالم العربـي، منـذ منتصـف هـذا القـرن، تحـت شـعار الفكر المسـتنير .. وهـي دعـوى حـق أريـد بهـا بـاطل .. لأنهـم دعـوا إلى التمـرد علـى الجمـود، والخـروج عـن العـادات والتقـاليد، والتحلـل مـن القيـم والمبـادئ الإسـلامية .. كخطـوة أولى تتبعهـا خطـوات .. تنتهـي بتقويـض الإسـلام نفسه !. لكـن أنّـى لهـم ذلـك !!.. فالعـالم العربـي يعيـش حاليـاً مرحلـة مراجعـة لمافـات، وتقييـم المواقـف الماضيـة .. وإعـادة الحسـابات .. فـي ظـل الظـروف التـي يعيشـها المجتمـع الـدولي، بعـد انهيـار النظـام الماركسـي .. وقـد تنفـس المسـلمون الصعـداء .. وكفـى الله المؤمنين القتـال ..

---

[1] ص٧٥،٨٦.

المهم أن المؤلف فى بقية هذا الفصل (الثالث) وإلى نهاية الكتاب[1] يتحدث عن بعض الاجتماعات والمؤتمرات، والتفاوضات حول ايقاف الحرب، وأحداث مقتضبة لاتمثل أهمية تاريخية ولاسياسية، أوردها على صورة يحاول من خلالها إعطاء انطباع بأن السعودية تتدخل فى شئون اليمن، متناسياً الصراعات والتيارات الفكرية وغيرها التى كانت هى السبب المباشر لعدم الاستقرار فى أطوار التاريخ اليمنى، وهو منطق معوج، يفتقر إلى الفكر والروية، قبل طرحه على هذه الصورة، لأنه يسئ إلى اليمن بأكثر مما يسئ إلى السعودية، فلا السعودية معدودة ضمن الدول الاستعمارية، التى كانت تتدخل فى اختيار الشخصيات عند اسناد المناصب إليها .. ولا اليمن مقاطعة أو إقليم من أقاليم السعودية .. وإنما هما دولتان عربيتان مسلمتان متجاورتان .. تجمعهما أسس الوحدة الإسلامية .. العقيدة .. والأصل .. واللغة .. والتاريخ المشترك ..

من هنا أعطت السعودية مما أفاء الله عليها .. ولم تبخل .. وفسر المؤلف عطاءها ودعمها بغرض الهيمنة على اليمن .. كما وصم كل مسئول يمنى حاول العمل على تحسين العلاقات بين البلدين، بأنه رجل السعودية، وعميل لها .. ولم يسلم من قلمه ورأيه هذا حتى الرئيس على

---

[1] ينتهى بصفحة ١٥١، تتلوها ملاحق : تضم معاهدة الطائف، وعهد التحكيم الملحق بها، وملحق ثالث عن الاقسام الادارية فى اليمن، لم يأت فيه بغير صفحة العنوان ثم الصور للحكام والرؤساء ..

عبد الله صالح ا.[1] ومن هذا يتبين أنه مغرق فى الحقد، بحيث لايرى أمام عينه إلا ماهو مُعتم، أو ما يتخيله كذلك ..

ولقد شاهدنا على الساحة العربية خلال تزاحم وتصارع التيارات الفكرية ـ أن هناك أقلاماً تمارس أسلوب الضغط لهدف معين، دون أدنى مسئولية أو التزام أدبى أو وازع خلقى .. ثم ينتقلون الى ممارسة الارهاب الفكرى للتأثير على صانعى القرار فى موطنهم .. للإقدام على اتخاذ قرار معين، أو الإحجام عنه .. فإذا ما انكشفت نواياهم، وزحروا بغرض الالتزام .. أقاموا الدنيا .. و لم يقعدوها .. وأثاروا العامة، والفوغائية.

ومن هذا القبيل هؤلاء الذين يصنعون مؤلفات مشحونة بالأكاذيب والتلفيقات .. يزعمون أنها هى الحقيقة الغائبة، التى لم يكتشفها سواهم .. أو لم يجسر غيرهم على ذكرها .. أو التاريخ الذى لم يؤرخ .. إلى آخر تلك المزاعم .. وعند وضعها فى ميزان النقد، يظهر ما فيها من تلفيق واختلاق .. وأنها صنعت لهدف معين ..

ومن هذا النوع الكتاب الذى بين أيدينا، فقد تبين بعد أن أوضحنا ما أوضحناه، أنه ليس هناك "ابتلاع" إلا فى مخيلة المؤلف .. وأن المشكلة الحدودية بين البلدين مثلها مثل المشاكل الحدودية التى وقعت وتقع بين كثير من دول العالم المتجاورة .. وأنها ليست مستعصية الحل .. أمام

---

[1] انظر ص١١٤، ١١٩ وما بعدها..

المخلصين من أبناء البلدين، بدليل أنه وقع فعلاً الاتفاق والوفاق هذه الأيام بين زعماء ورؤساء البلدين والمسئولين فيهما .. على حلها حلاً جذرياً حتى يوصدوا الباب أمام المغرضين على مختلف أهوائهم .. بحيث لايجدون لهم مجالاً أو مكاناً يرتعون فيه .. فقد أسفر الصبح لذى عينين .. وهذا من فضل الله وتوفيقه ..

# كتاب

# "المطامع السعودية التوسعية فى اليمن"

## تأليف: د. محمد على الشهارى

هو كتاب من نفس النمط، يسير على خطى سابقه، من حيث إيراد الأحداث التاريخية بقصد وتصور معين، يجانب فيه الحقيقة، أو يعمل على طمس معالمها، ويختلق البديل، المزخرف بالأباطيل، الذى يتوافق مع شطله فى الادعاء والحكم معا، مختفياً وراء قناع الوطنية، المرهف الحساسية لدى العامة، لإثارة حميتهم، والاستحواز على عاطفتهم، على دأب مايرمى إليه المثل القديم "حرك لها حوارها تَحِنّ"[1] يعرفون الطريق إلى إثارة مشاعر العامة، وفى الوقت نفسه يهدفون إلى إلقاء الروع بقلوب الذين يفكرون فى الإقدام على أي عمل لايتفق مع هواهم .. ومع التيار الفكرى الذى يعتقدونه .. لأنهم خصوم لكل أخوة ومودة، وحرب على كل مايؤدى إلى الهدوء والاستقرار فى المنطقة .. بل وفى الدول العربية والإسلامية جميعها .. لايعيشون إلا فى جو التداعيات، والتوترات، وسوء العلاقات.. فاللهم اهدهم، وأنر بصيرتهم إلى الخير، وامح الشر من نفوسهم.

---

[1] الحوار: ولد الرضيع للناقة، يضرب للناقة التى حبست لبنها فى ضرعها، وامتنعت عن إدراره لحالبها، وعندها يؤتى بولدها نحو ضرعها فتحن له، ويدر لبنها لولدها ولحالبها.

وآيّاً ماكانت النزعات المبثوثة بين أسطر هذا الكتاب، فلن نستبق الأحداث في الحكم عليها، مع أنه قد أبان عن نواياه وأغراضه ومآربه مسبقاً، في اختياره عنوان الكتاب، الذي صدّره بكلمة "المطامع ..." كاشفاً عن منهجه وأسلوبه الذي سيسلكه في التصنيف .. وأن هدفه الإثارة، لاخدمة التاريخ .. والنزعة السياسية المعوجة القائمة، لاالمستقيمة التي لاعوج فيها.

*** نراه يتحدث في المقدمة[1] بايجاز عن الصراع السياسي الذي عاشته اليمن فيماقبل الاسلام، حتى قيام ثورة ٢٦سبتمبر ١٩٦٢م، مشيراً إلى أن تلك الصراعات كانت هي السبب المباشر في فقدان اليمن وحدتها السياسية في كثير من الأزمان، وأنها ارتدَت في معظم الأحيان اللبوس الدينية والطائفية، بين اليهودية والمسيحية، قائلاً: كما عبرت عن ذلك حادثة الأخدود الشهيرة في نجران، التي فتك فيها الملك ذونواس الحميري ـ اليهودي المعتقد ـ بالمتمردين عليه من أمراء المقاطعة الإقطاعيين، واتباعهم من معتنقي الديانة المسيحية ..الخ مردداً ماقاله البعض، واشتهر ذلك بين المؤرخين، من أن "ذي نواس" اعتنق اليهودية، وطلب من مسيحي نجران اعتناقها، والرجوع عن ديانتهم المسيحية، فلما رفضوا خدّ لهم الأخدود، وما فعل بهم ذلك إلا لأنهم رعيته، ونجران تدخل تحت نفوذه .. إلى آخر ذلك الكلام.**

---

[1] ص٥،٦

وكل هذا القول مجرد تخمينات ، لاترقى إلى اليقين .. لأنها فى غالب الظن منقولة عن الإخباريين، الذين كانوا يعتمدون على الإسرائيليات فيما ينقلون.

وحين نستعرض ما جاء فى القرآن الكريم عن حادثة الأخدود[1] نلحظ الآتى:

- أن الله سبحانه وصف أهل الأخدود ـ وهم مسيحيو نجران ـ بأنهم مؤمنون، وفى هذا إشارة إلى أن اعتناقهم للديانة المسيحية كان قبل أن يدخلها التحريف، فقد كانوا يدينون بوحدانية الله، واستمروا على ذلك إلى وقت وقوع الحادثة (عام ٥٢٣م) ويبدو أن التحريف لحقهم بعد ذلك .. لأنه لوحظ فى حوارات الرسول ﷺ، معهم عندما قدم إليه وفدهم قبيل الهجرة، أن الرسول أخذ يعيب عليهم تحريف ديانتهم، وما أدخلوه عليها من تبديل[2]

- أن أصحاب الأخدود ـ ذو نواس وغيره ـ كانوا غالباً وثنيين[3] ولم يعتنقوا الديانة اليهودية، بدليل قوله تعالى: "ومانقموا منهم إلا أن

---

[1] سورة البروج، الآيات: ٤-١٠.

[2] طبقات ابن سعد ٢٨٨/١، والطبرى ٢٣٩/٣.

[3] قيل كانت هناك أخاديد أخرى، فى بلاد الكنعانين والآراميين، سابقه لهذه، وأن الجمع بكلمة أصحاب يشملهم الدعاء والوعيد من الله سبحانه إليهم جميعاً، وقيل: المقصود ذو نواس وأنصاره.

يؤمنوا بالله العزيز الحميد"[1] فإذا كان ذونواس قد اعتنق اليهودية، لكان هو أيضاً من أهل الكتاب، الذين يؤمنون بالله، وبالتالى فلا ينقم على غيره ممن يؤمن بالله، حتى لو كان على غير ديانته وإنما ينقم على من لايؤمن بالله كوثنى العرب .. فهذا يرجح أنه كان وثنياً، و لم يعتنق اليهودية.

- أنه لو كان اعتنق اليهودية، ويريد أن يدخل إليها بقية رعيته، لكان العرب اليمنيون الذين يدينون بالوثنية ويعبدون الأصنام، هم أولى بدعوته، والتنكيل بهم عند رفضهم .. سيما وأنه كانت هناك أصنام للقبائل بأرض اليمن، كتلك التى كانت بوسط شبه الجزيرة.

- أن هناك رواية أوردها الطبرى[2] مفادها أن رجلاً يهودياً كان يعيش بنجران، فعدا عليه بعض النصارى وقتلوا ابنه، و لم يجد الرجل نصيراً له بينهم، فانطلق إلى ذى نواس يستغيث به، ويستنجده عليهم، فأغاثه، وقدم إليهم وفعل بهم مافعل .. وأسلوب النجدة والإغاثة كان معروفاً ومشهوراً بين العرب فى ذاك الوقت.

- كان هناك إتصال بين مسيحى نجران وبين الحبشة التى كانت تدين بالمسيحية، وذلك فى المجالات التجارية والدينية، وربما فى التوجهات السياسية أيضاً، مما أحنق ذو نواس عليهم، فلما أتيحت له الفرصة عند طلب الاستغاثة، قدم إليهم ونكّل بهم، عندما أقام لهم الأخدود.

---

[1] سورة البروج: آية ٨

[2] تاريخ الطبرى، ١٢٣/٢.

- أنه انسحب إلى موطنه بعدما فعل بهم مافعل، وعاد إلى الموضع نفسه من كان قد فرّ منهم، وزاولوا طقوسهم إلى أن قدمت جيوش الحبشة مع من ذهب منهم يستصرخها.

- أنه كانت توجد قبائل عربية أخرى تعيش فى مدن نجران، وفى باديتها، و لم يعتنقوا المسيحية، و لم يكونوا خاضعين لهيمنة أيّ من ملوك اليمن، وإنما شأنهم شأن القبائل التى تعيش وسط شبه الجزيرة العربية من حيث الاستقلالية فى إدارة شئونهم، و لم يتعرض لهم ذو نواس.

- أن كل تلك المؤشرات تفيد بأن مسيحى نجران لم يكونوا خاضعين لذى نواس، وأن قدومه إلى موطنهم كان عبارة عن غزو، يعود بعده الغازى إلى موطنه، دون أن يترتب عليه تعديلات إدارية للمنطقة المغزوة .. وهو نفسه ماكان يحدث من هؤلاء الملوك خلال تاريخ غزوهم لقبائل وسط شبه الجزيرة .. وأن نجران كانت بعيدة عن نفوذ الممالك التى قامت على أرض اليمن، ابتداء من مملكة معين (١٣٠٠-٦٣٠ ق.م) حتى الدولة الحميرية الثانية (١٦٤-٥٢٥م) والتى كان منها ذو نواس .. وانتهت فى عهده بدخول الحبشة .. وقد تعاصرت أكثر من دولة منهم فى وقت واحد، وتقاسمت أرض اليمن، وقامت بينهم حروب، وكانت نجران بعيدة عن كل تلك الصراعات .. بدليل أن الحملة الرومانية، المعروفة بحملة "أليوس جالوس" التى قدمت إلى اليمن عام ٢٤ ق.م بغرض السيطرة على طريق التجارة، وسلكت طريق الساحل إلى الحجاز، حتى

أتت نجران، ثم أصيبت بوباء ومرض عادت على إثره إلى موطنها[1] لم تجد فى نجران أى نفوذ لممالك اليمن المعاصرة للحملة .. واستمرت نجران هكذا بعيدة عن أى نفوذ لهم.

*** وفى تحمس وعاطفة جياشة ينطلق فى التعبير عما عاناه اليمن من صراع وتفكك سياسى وإدارى وسكانى، فى مختلف المراحل التاريخية، وما نتج عنه من تباغض بين الحكام، وتناحر طائفى نابع من صراعاتهم على السلطة، مما عرض اليمن إلى حملات خارجية، وغزوات استعمارية، من قبل الدول الأوربية، واحدة بعد الأخرى (هكذا ..) ثم من قبل الامبراطورية العثمانية، والامبراطورية الانجليزية آخر الأمر[2]**

وهذا السرد يحتاج إلى رزانة فى الآداء، ودقة فى التعبير، فالحقيقة أن من يقرأ تاريخ اليمن بتمعن يلحظ أنه كان هناك صراع متنوع فى مختلف المراحل التاريخية، وأن هذا الصراع أدى إلى التفكك السياسى والادارى، والسكانى، مما أفقد اليمن وحدتها السياسية، وجذب إليها الحملات الخارجية .. لكن لم يكن من بين تلك الحملات غزو استعمارى من قبل الدول الأوربية، واحدة بعد الأخرى كما يقول، فالدولة الاستعمارية

---

[1] د. جواد على، تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٢، ص٢٨٨، والدكتور السيد عبد العزيز سالم، دراسات فى تاريخ العرب قبل الاسلام، ص١١٤،١١٥.

[2] ص٦

الوحيدة التى وضعت أقدامها فى اليمن هى انجلترا، باحتلالها عدن عام (١٨٣٨م) ثم امتد نفوذها إلى المحميات بعد ذلك.

وإذا كان المؤلف ينظر إلى الوجود العثمانى على أنه احتلال، واضعاً إياه فى مرتبه متساوية مع الدول الاستعمارية، فإن كثيراً من المؤرخين ينظر إليه على أنه تواجد أخذ الصبغة الشرعية، كالأيوبيين والمماليك وغيرهم، من حيث تلاقى شعوب عربية وإسلامية بغرض خدمة الاسلام، وكانت القيادة فى يد الأقوى منهم، وقت هذا التلاقى، فالقيادة كانت بيد العرب حين كانوا هم الأقوياء، منذ عهد الرسول ﷺ، حتى الدولة العباسية، فلما ضعفوا، وتفرقوا انتقلت القيادة إلى جنسيات أخرى تعتنق العقيدة نفسها، للعمل على استمراريتها وبقائها .. وعندما بدأ العرب يفيقون من سباتهم العميق، عادت القيادة إليهم، وإن كانت موزعة وفق توزع شعوبهم، وتنوع دولهم .. ومع ماصاحب القيادة العثمانية للدول العربية من ظلم وإجحاف، وسوء إدارة، إلا أن أيّ منصف لايستطيع أن ينكر الدور الذى اطلعت به الدولة العثمانية فى تصديها للدول الأوربية، وإدخالها العديد من شعوب شرق أوربا فى الاسلام، ومطاردتها الأساطيل الأوربية التى عرفت طريقها إلى الدول العربية عن طريق رأس الرجاء الصالح، وكان غرض الكثير منها الاستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن) وغيرها من الأماكن الاستراتيجية التى تمر بها التجارة العالمية .. فضلاً عن طمعها فى الوصول إلى الأماكن المقدسة بعد فشلها فى الحروب الصليبية .. وذلك كله مسجل فى كتب التاريخ.

وبالحماس أيضاً الذى يخرج بالمرء غالباً عن طور الاعتدال فى الآداء بموضوعية من حيث إيراد الحوادث التاريخية كما هى، وكما يجب أن تكون، لاكما نحب لها أن تكون .. يقول[1]

*** ولم تقم دولة الأئمة القاسميين التى وحدت اليمن من أقصى عسير فى الشمال إلى عدن فى الجنوب، وعمان فى الجنوب الشرقى (هكذا ..!) ولم تنهض إلا بعد حركة تحرير جامحة كاسحة، كان اليمن يعتبر بها القطر العربى الوحيد الذى أمكنه ــ بمثل هذا النضال الأسطورى ــ أن ينفض نير القهر العثمانى عن كاهله، وأن يستعيد سيادته، وينتزع حريته السياسية من يد الأجنبى (يقصد بالأجنبى: الدولة العثمانية).**

وعند التمعن فى هذا الكلام، نجد أن دولة الأئمة القاسميين التى ابتدأت بالامام القاسم بن محمد عام ١٠٠٦هـ (١٥٩٧م) وانتهت بأسرة حميد الدين عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) قامت أثناء الوجود العثمانى فى اليمن، ودخلت معه فى حروب، وعُقدت مصالحات بينهما، وانتُقضت أكثر من مرة من كل منهما، وفى عهد ابنه المؤيد محمد بن القاسم (١٠٢٩-١٠٥٢هـ / ١٦١٩-١٦٤٢م) طلب من كثيرمن القبائل الوقوف معه لمحاربة العثمانيين، عقب انتقاض الصلح بينهما عام ١٠٣٦هـ، فاستجاب له كل من أهل صبيا وأبو عريش وكانتا تحت إمرة الأمراء

---

[1] ص٦،٧.

القطبيين، وشاركوا في حصار العثمانيين في زبيد والمخا .. واستمروا في موالاة الامام المؤيد ضد العثمانيين حتى خرج العثمانيون من اليمن عام ١٠٤٥هـ (١٦٣٥م)[1] والتعاون بين أهل صبيا وابو عريش وبين الامام المؤيد لم يأخذ صفة الخضوع له، أو امتداد النفوذ .. بدليل أن النفوذ في المنطقة ظل بيد الأمراء المحليين يتوارثونه فيما بينهم، كالخواجيين والقطبيين، ونازعهم فيه الأشراف من آل خيرات الذين نزحوا من الحجاز إلى المخلاف في العقد الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، ويربطهم بأئمة اليمن نوع من التعاون والتحالف منذ التصدي للعثمانيين، وبالنظر لكثرة وقوع فتن واضطرابات بين هؤلاء الأمراء المحليين، فقد كان بعضهم يستنهض الأئمة للانتصار على خصمه، حتى دب الضعف في دولة المؤيد محمد بن اسماعيل بن القاسم (١٠٩٢-١٩٠٧هـ/١٦٨١-١٦٨٦م) وبلغ الضعف مداه في عهد المنصور علي بن المهدي عباس (١١٨٩-١٢٢٤هـ/١٧٧٥-١٨٠٩م) الذي واكب عهده دخول الدعوة الاصلاحية إلى المنطقة في عهد الامام عبد العزيز بن محمد آل سعود عام ١٢١٣هـ، هذا كله في حازان، أما عسير السراة ونجران فقد ظلت بعيدة عن تلك الصراعات، و لم تمتد إليها يد الأئمة خلال الفترة السابقة إلى أن دخلتها هي أيضاً الدعوة الاصلاحية عام ١٢١٣هـ (١٧٩٨م).

---

[1] المقتطف من تاريخ اليمن للجرافي، ص٢١٦-٢٢٣ ومايقوله الجرافي من فتح بلاد فيفا وبني مالك في ص٢١٣، فهو اجتهاد منه يحتاج إلى دليل، فهناك من يقول: إن جبال فيفا ظلت بعيدة عن أي نفوذ حتى العصر الحديث..، انظر أيضاً تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٣٥٣،٣٥٤.

وكان الموقف فى حضرموت وظفار شبيه بهذا، يأخذ صبغة التعاون والتحالف مع أئمة اليمن، خلال حكم الكثيريين لحضرموت، أما عمان فكانت ولاية لها نفوذها المستقل، لاتربطها باليمن والأئمة إلا علاقة الجوار.

ونلحظ أن المؤيد محمد بن القاسم مات عام ١٠٥٢هـ (١٦٤٢م) بعد رحيل العثمانيين عن اليمن، ومع ذلك فقد كانت هناك مناطق بأرض اليمن نفسه لم يمتد إليها نفوذه مثل: عدن، ولحج، وبلاد البيضاء، ويافع وغيرها.

وبهذا يتضح أن النضال الأسطورى الذى يدعيه المؤلف لم يوحد أرض اليمن نفسها، سياسياً إلا لفترة يسيرة فى عهد الامام اسماعيل بن القاسم (١٠٥٤-١٠٨٧هـ/١٦٤٤-١٦٧٦م) الذى يعتبر عهده من أزهى عهود الامامة، ثم أخذ فى الضعف بعده .. فضلاً عن أن ذلك التّوحُّد لم يشمل المناطق التى ذكرها: "من أقصى عسير فى الشمال .. وعمان فى الجنوب الشرقى".

ثم إن مايدعيه من أن أمير أبى عريش الشريف حمود بن محمد (أبو مسمار) كان يحكم المنطقة باسم إمام صنعاء، المنصور على بن العباس (١١٨٩-١٤٢٤هـ) فهو قول فيه الكثير من المبالغة، والبعد عن الحقيقة، فإن حكم حمود لم يشمل منطقة تهامة عسير كلها، وإنما كان على أبى عريش وما كان يدخل فى حوزتها ذاك الوقت، ثم إن الظروف وقتها هى التى هيأت إنتقال السلطة فى أبى عريش إلى حمود من ابن أخيه على بن

حيدر، عقب معركة "الحجرين"، عام ١٢١٦هـ، بموافقة كبار أسرة آل خيرات، وأعيان أبي عريش، دون الرجوع إلى الإمامة، أو أي جهة أخرى، فالإمامة كانت في حالة ضعف يصعب عليها أن تحول بينه وبين تقلد الإمارة، فضلاً عن أن تسندها إلى غيره، هذا على زعم أنه يحكم المنطقة باسمها .. فكل ماكان بينهما هو عبارة عن تفاهم وتعاون وتحالف، منذ التصدي للدولة العثمانية.. وكان هذا الوضع أيضاً بالنسبة للأمراء الآخرين في المنطقة، كالخواجين والقطبين .. ولم تدخل هذه المنطقة ضمن جهود الائمة الذين سعوا لتوحيد أرض اليمن سياسياً .. فقد كانت مدينة زبيد تعتبر هي بداية أرض اليمن التهامية .. ولذا كانت المحطة الأولى التي ينطلق منها قواد الجيوش التي قدمت لليمن .. وكان الأئمة في فترة الاستقلال يولون عليها أمراء من قبلهم، ويعزلونهم ويولون غيرهم وقتما يشاؤون.

هذا بالنسبة للمخلاف السليماني، أو تهامة عسير، أما عسير نفسها فقد ظلت بعيدة عن هذا الصراع، يحكمها أمراؤها المحليون ورؤساء القبائل، حتى دخلتها الدعوة الاصلاحية عام ١٢١٣هـ، كما سبق أن ذكرنا[1].

وأمام هذا الإلحاح في المغالطة من الذين دأبوا عليها، لامناص لنا من أن نذكّر بما سبق أن ذكرناه، من أن هذه المناطق: تهامة (جازان)

---

[1] انظر ص٤٠ من هذا البحث، وأيضاً التمهيد.

والسراة (عسير) ومايقع شمالهما، هي امتداد لأرض الحجاز منذ ماقبل الاسلام، ومن أقاليم وسط شبه الجزيرة العربية، واستمر وضعهم كذلك في ظل الاسلام، حتى منتصف عهد الدولة العباسية، عندما انتابها الضعف، وأخذت اطرافها في الانسلاخ عنها، يلحظ هذا فيما قاله البكري[1] من سكنى أبناء عدنان لها وتوزعهم فيها قبل انتقال الازديين إليها من موطنهم الأصلي باليمن. وفيما قاله ابن حزم[2] من أن ملوك حمير والتبابعة لم يملكوا غير اليمن، وفيما قاله الطبري وابن واضح[3] إن ملوك اليمن لم يكونوا يتجاوزون اليمن إلا أن يغيروا على البلاد، ثم يرجعون إلى دار ملكهم، ونجده أيضاً فيما قاله الهمداني، وهو لسان اليمن، والمتحدث باسمها في زمنه، فقد قال بالحرف ـ وهو يصف تفرق قبائل الأزد بعد انهيار سد مأرب ـ: "وصَلُح لهم طلوع الجبالِ، فطلعوها من ناحية سهام ورمع، وهبطوا منها على ذؤال، وغلبوا غافقاً عليها[4] وأقاموا بتهامة (أي تهامة اليمن، التي كانت تقيم فيها قبيلة عكّ) ماأقاموا، حتى وقعت الفرقة بينهم وبين كافة عكّ، فساروا إلى الحجاز فِرقاً، فصار كل فخذ منهم إلى بلد، فمنهم مَن نزل السروات، ومنهم مَن تخلف بمكة ..الخ"[5] وهذا

---

[1] معجم مااستعجم، ج١، ص٥-٤٠.

[2] الجمهرة، ص٤٨٧.

[3] الطبري، ج٢، ص٩٦، تاريخ اليعقوبي المعروف بابن واضح، ج١، ص٢٤٥.

[4] قبيلة غافق إحدى بطون قبيلة عكّ، وكان لها دور كبير في خدمة الاسلام إبان الفتوحات، من أبنائها عبد الرحمن الغافقي، وترجع إليهم قبيلة القحري الموجودة حالياً بتهامة اليمن، بالقرب من الحديدة.

[5] صفة جزيرة العرب، ص٣٧٢.

بوضوح يفيد بأن السراة هى من أرض الحجاز .. وقد ظلت كذلك فى ظل الاسلام، فإن الترتيبات الادارية فى عهد الرسول ﷺ، التى وضعها لنشأة الولايات فى عهده، جعل تهامة عسير مرتبطة بمكة المكرمة، حتى بداية أرض عكّ والأشعريين، ثم أضافهما بعد ذلك إلى ولاية مكة. أما عسير السراة، وبواديها وأحوازها فقد جعلها مرتبطة بامارة الطائف[1] وظلت تلك المناطق فى ترتيبها الادارى هذا فى عهد الخلفاء الراشدين وإن كانت انضمت الطائف بتوابعها إلى إمارة مكة المكرمة فى معظم الأحيان، كما استمرت هكذا فى عهد بنى أمية، ومنتصف عهد العباسيين، إلى أن استقلت الاطراف، وحكم تلك المناطق أبناؤها .. و لم يكن للدول التى قامت فى اليمن، وتصارعت فيما بينها أية سلطة عليها،حتى إن ابن المجاور عندما زار هذه المنطقة، وزار نجران إبان قيام دولة الأيوبيين فى اليمن، قال عن تهامة، وعسير ونجران: إن هذه المناطق يحكمها أهلها، وليس للغز (أى الايوبيين) نفوذ عليهم، ولالغيرهم[2].

وأيا كان فقد تعرض المؤلف فى المقدمة لذكر بعض الوقائع والأحداث التى عاد لها مرة أخرى فى ثنايا الكتاب وسوف نتقصاها عند إيرادها ضمن تسلسل الأحداث فى استعراض محتوياته.

---

[1] انظر كتابنا "البيان فى تاريخ حازان وعسير ونجران"، ج١، ص١٥٣.

[2] كتاب "المستبصر"، ص٢٦،٢١٠.

*** تحت عنوان "نبذة تاريخية عن النزاع اليمن ـ السعودى، على إقليمى عسير ونجران اليمنيين"[1] قال: مشكلة الحدود اليمنية ـ السعودية ليست مقصورة على منطقة الشرورة (شرورة) التى كانت السلطات الاستعمارية البريطانية فى عدن قد سلمتها إلى المملكة العربية السعودية مع نهاية عام ١٩٦١م بقصد خلق نزاعات حدودية بين الدولة التى ستخلفها فى جنوب اليمن، وبين السعودية، ولاهى مقصورة على منطقة "الوديعة" التى تمكنت السعودية من بسط اليد عليها عام ١٩٦٩م.**

- ونحب أن نؤكد أيضاً أن الغرض من هذه الدراسة هو تلمس الحقائق التى يحاول البعض طمس معالمها خدمة للتاريخ وللباحثين فيه، وبالتالى ليس الغرض إثارة الحفائظ، أو نبش رفات الماضى القتيم، الذى أذابت جليده المصالحة والوفاق والاتفاق الذى تم مؤخراً بين زعيمى البلدين الشقيقين، تأكيداً للأخوة الاسلامية، وتواصل المودة بين المتجاورين.

كما نشير إلى حقيقة تاريخية لاجدال فيها ـ مع كراهية بعضنا نحن العرب للحقبة التى وقعت فيها، لما عانيناه من الاستعمار ـ وهى أن

---

[1] ص١٢، يلاحظ هنا أنه حكم مسبقاً على عسير ونجران بأنهما يمنيتان قبل أن يورد الدليل على ذلك. وهومنهج معكوس فى طريقة البحث. ولايلجأ إليه إلا المراوغون فى الحوار لايهام الخصم بصحة دعواه، ومن ثم التسليم بصواب مايأتى به ولو كان اختلاقاً.

بريطانيا كانت فى يوم من الأيام لاتغرب الشمس عن مستعمراتها، وكانت صاحبة النفوذ فى المنطقة، وامتد نفوذها إلى معظم الدول العربية، إما فى شكل انتداب، أو حماية، أو غير ذلك. وبخاصة عقب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) على إثر هزيمة الدولة العثمانية، ورحيل قواتها عن البلاد العربية التى كان لها وجود فيها. وورث الحلفاء تركة الرجل المريض (الدولة العثمانية)، وكانت بريطانيا لها نصيب الأسد من تلك التركة، وذلك وفق شروط صلح "موندروس"[١] فى ٢٠أكتوبر ١٩١٨م، وعلى ضوء ماتم عليه اتفاق سايكس/بيكو[٢].

وقد استفادت اليمن (صنعاء) من هذا الصلح وهزيمة الدولة العثمانية، فرحل آخر الولاة العثمانيين بجنده عن صنعاء، وسلمها للامام فجعلت هى العاصمة، حيث كانت تعد ضمن الولايات العثمانية، وآخر ماربط اليمن بالدولة العثمانية هو اتفاقية "دعان" عام ١٣٢٩ (١٩١١م) التى تم فيها تحديد مناطق باليمن يحكمها الامام، ومناطق تخضع للادارة العثمانية، وذلك مقابل اعتراف الامام بسيادة الدولة على اليمن. كما

---

[١] موندروس: اسم الميناء الواقع فى جزيرة ليمينوس ببحر إيجه، الذى رست فيه إحدى السفن الانجليزيه، وعلى ظهرها تم توقيع شروط الصلح بين الحلفاء والدولة العثمانية، وأملت فيه انجلترا شروطها على الدولة العثمانية، والتى كان منها: استسلام قواتها فى البلاد العربية: العراق، سوريا (الشام) الحجاز، اليمن (الشمالية) فقد كانت عدن والمحميات تحت حماية انجلترا.

[٢] اتفاق حمل اسم وزيرى خارجية كل من انجلترا وفرنسا، ثم التفاهم بينهما عام ١٩١٦م على توزيع مناطق نفوذ كل منهما فى البلدان والاقاليم والأمصار التى كانت تابعة للدولة العثمانية، عندما أحسوا بقرب هزيمتها. وكان من بينها البلاد العربية.

قامت الدولة العثمانية وبريطانيا بتحديد نفوذ كل منهما فى المنطقة، عامى ١٣٣١، ١٣٣٢هـ (١٩١٣، ١٩١٤م) وشمل ذلك اليمن (صنعاء) ومحمية عدن.

ولم تستفد السعودية (سلطنة نجد وملحقاتها فى ذاك الوقت) من هذا الصلح لأنها كانت مستقلة منذ نشأتها عن هيمنة ونفوذ الدولة العثمانية، بل كانت فى عداء معها، لكنها بعد فترة ـ وبخاصة بعد ضمها للحجاز ـ وجدت السعودية أن بريطانيا قاسماً مشتركاً فى عملية تحديد حدودها مع جيرانها، فحدود السعودية تتماس وتشترك مع ثمان دول عربية، تخضع للنفوذ البريطانى، إما بالانتداب، أو الحماية. لذا كانت تنوب عن كل منهم أو تشاركهم فى بحث موضوع حدودهم مع السعودية.

وكانت بريطانيا هى التى صنعت المفهوم السياسى لتوازنات القوى فى المناطق بالعالم أجمع، وبالتالى فهى تقوم بتنفيذ هذه السياسة فى المنطقة العربية، ولاتود قيام دولة قوية فى بلاد العرب، ترث الامبراطورية العثمانية، ثم بعد فترة ـ طالت أم قصرت ـ تنافسها النفوذ، وتحول بينها وبين تحقيق مصالحها على الوجه الذى ترتضيه. وقد لاحظت فى شخصية الملك عبد العزيز، أنه مؤهل لتكوين دولة قوية فى المنطقة، قد ترث فى يوم ما نفوذ الأمبراطورية العثمانية، حتى لو لم يكن ذلك من مطالباته التى أفصح عنها، أو لمح اليها بمجرد تلميح ـ كما فعل الشريف حسين مثلاً ـ وبالرغم من أنه كان يعلن باستمرار أن هدفه مقصور على استعادة ملك

احداده. فالأمور السياسية جانب كبير منها يبنى على التوقعات، وعمل حسابات لتوقع مالم يكن متوقعاً، حتى لاتفاجأ به. فنظرتهم هذه جعلتهم يتبعون جانب الحذر فى تعاملاتهم مع الملك عبد العزيز، وللحد من طموحاته. وفى الوقت نفسه إظهار الصداقة والمودة إلى أبعد مدى، لكن اظهار الصداقة شئ، والأثر الايجابى لمدلول الصداقة شئ آخر، أظهرت بريطانيا الصداقة حتى لاتفقده حين ييأس فيضطر إلى اللجوء لغيرها، ولبت احتياجاته من الأسلحة وغيرها بقدر معين حتى لايقوى على جيرانه، ويشكل دولة قوية فى بلاد العرب، تتحداها وتنافسها، وحرصت على عدم توسيع نفوذه حتى لايطغى على نفوذها، ولذا نلحظ أنها كانت تستعمل كل أساليب المناورة والمماطلة فى المباحثات والمفاوضات الحدودية بينه وبين جيرانه، الذين تمثلهم أو تشاركهم المباحثات، نلحظ هذا فى مباحثات العقير، والمحمرة ومؤتمر الكويت، وبحرة،وحداء بل أقوى دليل على ذلك هى المباحثات التى جرت حول مشكلة "البريمى" واستمرت عدة سنوات.

والقصد من كل ذلك أن بريطانيا لم تكن سهلة فى مباحثاتها الحدودية مع الملك عبد العزيز، للاعتبارات التى أشرنا إليها، وكان حالهما معا بمثابة من انتزع حقه من بين أنياب الأسد .. لذا من السذاجة أن يقال " إن بريطانيا سلمت السعودية منطقة شرورة أواخر عام ١٩٦١م" فلولا أنها متأكدة كل التأكد من أحقيته لها لما قامت بتسليمها. أو غضت الطرف عن ذلك، إن الربع الخالى امتداد لأرض نجد، ويقع فى جنوبها،

وفى طرفه الجنوبى الغربى، منطقة فى الجنوب الشرقى لنجران يصب فيها مسيل الأفلاج، ووادى الدواسر، ووادى نجران، وتقطنها بطون من قبائل نجد، وترعى فيها باديتها، منها: الكثير، والمناصير، والصيعر، والدروع، والعوامر، وعقار وغيرهم. وذلك فى بلدان ومناطق: أم غريب، وعروق الذاهبة، ومثيور، وشرورة والوديعة وغيرها، بل كان للسعودية مطالبة فى "حصن العَبْر"[1] الذى سارعت اليمن "صنعاء" فضمته إليها. فعند خطى العرض ٤٦-٤٨، تقريباً، وخط طول ١٦ تقريباً تلتقى حدود السعودية مع كل من اليمن الشمالية (صنعاء) واليمن الجنوبية (عدن) سابقاً، وعرفت بمنطقة الحدود الثلاثية من قديم، والبلدان والمناطق التى ذكرناها تقع فى حيز نجد (أى السعودية) و لم تشملها بالطبع معاهدة الطائف لعام ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) التى حددت الحدود بين السعودية واليمن (صنعاء) بمناطق حيزان، وعسير ونجران، أما هذه المنطقة الحدودية الثلاثية، فكان الوضع فيها شبه مستقر إبان معاهده الطائف، وحالياً تدور مباحثات برعاية مسئولى البلدين لترسيم الحدود في جميع تلك المناطق، ويتمنى لها كل مسلم من أعماق قلبه أن تكلل بالتوفيق إن شاء الله. حتى توصد الذرائع أمام المرجفين.

---

[1] وقام الملك فيصل، إبان مفاوضات اليريمى، بتذكير بريطانيا بأن للسعودية حقاً فى "العبر" وسوف تطالب به فى الوقت المناسب.

**يقول المؤلف[1] من المعروف تاريخياً أن حدود اليمن الجغرافية تنتهي عند ميناء "الليث" في أقصى عسير تهامة، وأن عسير تهامة كانت جزءاً لايتجزأ من اليمن عبر التاريخ كله [!!] وان أقليم عسير بجزئيه الجبلي والتهامي كان يشكل إحدى متصرفيات اليمن التركية!.**

يلاحظ أن المؤلف يرسل هنا القول اعتباطاً، كسهم طائش، من حيث تحديد اليمن الجغرافية، وامتدادها شمالاً حتى الليث، وكأنها قضية مُسلّمة، بل ومعروفة تاريخياً لدى كافة المؤرخين، من قديم الزمن حتى العصر الحديث، وأن معرفتهم لذلك ينفي الجهالة عن تلك المعلومة، ويفيد اتفاقهم عليها، بحيث لا يعارضها أو يرفضها أحد منهم!.

وهي مقولة يرسلها أحياناً بعض الأخوة المصابين بنوع من الزهو والخيلاء، أو النزعة العرقية، أو المبتلين بآفة الهوى والغرض، فلو كان لديهم شئ من الانصاف لأوردوا ما قاله الجغرافيون العرب الأوائل المنصفين في آرائهم. أو ما أورده المؤرخون المنزهون عن الغرض.

ومبعث هذا الزهو وغيره قد أتى إليهم نتيجة للتمادي في التخمينات، من أن الأجداد الذين أقاموا الحضارة الشامخة في اليمن، كيف يغيب عليهم أن يبسطوا أيديهم، ونفوذهم على أكبر مساحة من شبه الجزيرة العربية؟. لاسيما وأن البعض قال إن غزواتهم امتدت إلى أقاصي

شمال أفريقيا، وإلى شرق أسيا، وأنهم حاربوا الفرس والروم، والصين، وأن ذو القرنين منهم؟!. فكيف لاتخضع تلك المناطق (تهامة عسير، وعسير السراة) لنفوذهم. ولماذا لاتكون امتداداً لأرض اليمن؟!.

ونشير إلى بعض الحقائق التى تكاد تكون بدهية، وهى أن كثيراً من البقاع على ظهر البسيطة لم تكن آهله بالسكان فى العصور السحيقة، وحتى قبيل عصر الميلاد، وأن عظمة الدول فى ذاك الوقت لم تكن تقاس بسعة أرضها، بقدر ماكانت تقاس بقوة بأسها، المتمثلة فى قوة الرعية، ومدى مبلغها من العلم، وتسخير هذا العلم فى بناء حضارات، والعيش فى رخاء .. ولو كانت على مساحات قليلة من الأرض .. فلم يكن يهمهم الاستحواز على القفار، أو الأراضى غير المأهولة، وكانوا يغزون غيرهم ثم يعودون إلى موطنهم بغنائم وأسلاب دون الأرض نفسها .. يروى ذلك تاريخ اليونان، والأشوريين، والفراعنة، والرومان فى مبدأ أمرهم .. وربما تكون الدولة الرومانية هى التى بدأت باتخاذ أسلوب الضم والتوسع فى البلدان والأراضى .. ونلحظ أن نبى الله سليمان عليه السلام، الذى دعا الله سبحانه أن يمنحه ملكاً لايحوزه غيره من الملوك من بعده، وذلك فى قوله تعالى: ".. وهب لى ملكاً لاينبغى لأحد من بعدى"[1] فأعطاه الله التفوق فى العلم، متمثلاً فى مخاطبة وتسخير الإنس

---

[1] سورة ص، آية ٣٥.

والجن والطير له، وأقيمت مملكته القوية هذه على مساحة قليلة من أرض فلسطين.

وكانت الملكة بلقيس معاصرة لنبى الله سليمان عليه السلام[1] وكانت ملكة على أرض سبأ فقط، وهى جزء من أرض اليمن الحالية. وكانت هناك أجزاء أخرى من أرض اليمن تسمى باسم الممالك التى أقيمت فيها كأرض حمير، وأرض معين، وذوريدان، وأرض ثمود .. وكان اسم اليمن فى البداية يطلق على الجهة، فكان اسماً لكل ماهو يمين الكعبة المشرفة، والشام اسمٌ لكل مايقع شمالها، ومن تلك الاستخدامات ماورد فى حديث مواقيت الحج والعمرة أن النبى ﷺ، وقّت لأهل اليمن موضع "يلملم" أى لكل قادم من جهة اليمن، وليس بالضرورة أن يكون قادماً من أرض اليمن بذاتها. وعلى هذا الوجه حملت بعض الأحاديث فيما ورد بشأن اليمن[2]. ثم بعد فترة صار اسم اليمن يطلق على جزء يسير من أرض اليمن الحالية.. بدليل أنه ورد فى قصة الهدهد مع نبى الله سليمان عليه السلام، عندما غاب عن أنظاره، فلما عاد خاطب سليمان عليه السلام قائلاً، كما جاء فى القرآن الكريم: "وجئتك من سبأ بنبأ يقين"[3] ولم يقل وجئتك من اليمن. لأن الهدهد ذهب إلى مملكة بلقيس فى أرض

---

[1] كانت الملكة بلقيس، من ملوك سبأ بأرض اليمن، عاصرت نبى الله سليمان الذى عاش فى الفترة من سنة ٩٦١ إلى سنة ٩٢٢ قبل الميلاد.

[2] انظر: تاريخ مدينة صنعاء، للرازى، بتحقيق حسين العمرى، ص٦، ٧.

[3] سورة النمل، آية ٢٢.

دولة سبأ و لم تكن مقامة على جميع أرض اليمن الحالية، وإنما على جزء منها.

وبدليل أن الملك شرحبيل بن يحصب، من ملوك سبأالحميرية، كان أول ألقابه "ملك سبأ وذوريدان" فلما توسع ملكه، وضم بعض الأراضى الأخرى إليه، صار لقبه "ملك سبأ وذوريدان ويمنت" فلما توسع أكثر، صار لقبه "ملك سبأوذوريدان ويمنت وتهامت" أى تهامة اليمن .. فهذه الألقاب تفيد أن أرض اليمن كانت مقسمة على حكامها، وأن كل أسرة حاكمة كانت تطلق اسمها على الأرض التى تخضع لنفوذها .. وأن جميع تلك الممالك كانت مقامة على أرض اليمن الحالية .. و لم يمتد نفوذهم إلى وسط شبه الجزيرة العربية، لأنها كانت قفاراً، ومعظم قبائلها بدو فيما عدا بعض البلدان القليلة التى لامطمع فيها. لذا كانت تغزوهم، أو تقوم بتأديبهم بالإغارة عليهم ثم يعودون إلى موطن حكمهم، دون أن يترتب على ذلك أى ضم لأرض، أو ترتيب إدارى.

ونخرج من ذلك أن كلاً من منطقة تهامة عسير، وعسير السراة لم تخضعا لأى من الممالك التى أقيمت على أرض اليمن فيما قبل الاسلام، و لم تكن بالطبع امتداداً جغرافياً لليمن، وأنها ظلت موطناً للقبائل العدنانية إلى أن نزحت إليها بعض القبائل القحطانية من موطنها الأصلى فى اليمن، عقب انهيار سد مأرب، وعند انتقالهم إليها خلعوا طاعة الحكام القائمين فى اليمن، وعاشوا مستقلين على أرضهم الجديدة، شأنهم فى ذلك شأن قبائل وسط شبه الجزيرة العربية. وظلوا هكذا إلى أن جاء الاسلام.

وفى ظل الاسلام كانت تهامة عسير، وعسير السراة، مرتبطتين بولاية مكة المكرمة، والطائف حتى منتصف الدولة العباسية، فلما ضعفت استقل الأمراء المحليون من أهلها بادارتها، وتوزعت أرض اليمن نفسها بين كثير من هؤلاء الأمراء المحليين، وعاشت فى صراعات طويلة، وخضعت اليمن لنفوذ بعض الدول التى قامت أثناء أو بعد الدولة العباسية، كالفاطميين، والأيوبيين، والمماليك الجراكشة، ثم أخيراً العثمانيون[1].

**ويستدل المؤلف بالترتيبات الادارية العثمانية على أن إقليم عسير بجزئيه الجبلى والتهامي كان يشكل إحدى متصرفات ولاية اليمن التركية.**

وهذا دليل ضده وليس فى صفه، ذلك أن قوله "متصرفية عسير" فيه دلالة على أن هناك متصرفية بهذا الاسم فى عهد الدولة العثمانية، هى خارجة عن الاطار الادارى لولاية اليمن، وكونها جعلت متصرفية دليل على أنها مغايرة لأرض اليمن، وتختلف عنها، فأرض اليمن نفسها كانت مقسمة إلى أقضية وليس متصرفيات، وكانت الإدارة العثمانية فى المنطقة قد جعلت هناك حدوداً لتلك المتصرفية (أى متصرفية عسير) فيما بينها وبين أرض اليمن، كما أورد ذلك سليمان شفيق كمالى باشا متصرف عسير فى مذكراته. بغرض تحديد معالم وحدود متصرفية عسير. وتحديد المسئولية الادارية فيها وغير ذلك من الأمور.

---

[1] أوضحنا ذلك كله فى كتاب "البيان فى تاريخ حازان وعسير ونجران"

وكان الشأن كذلك باقليم تهامة عسير (جازان) الذى كان مقراً لإمارة الإدريسى، فقد كان منفصلاً بحدوده الجنوبية المعروفة فى حينه عن الادارة العثمانية فى اليمن وكان جزءاً من متصرفية عسير قبل الإدريسى، وقد اعترفت الدولة العثمانية بولاية الادريسى عليه، مقابل اعترافه بخضوعه للدولة[1].

وقول المؤلف "ولاية اليمن التركية" هو اعتراف ضمنى منه بأن اليمن نفسها لم تكن لها شخصية اعتبارية مستقلة وقائمة بذاتها حتى تهيمن على تلك المناطق، فضلاً أن تكون تلك المناطق امتداداً لها، حتى يقال إن هذه من تلك، ولم تدَّع اليمن طوال عهد الدولة العثمانية أية مطالبة بهذه المنطقة، وإنما كانت مطالباتها منحصرة فى المناطق الجبلية اليمنية، وبالأخص تلك التى يقطنها الزيديون.

وإذا كانت الادارة العثمانية العليا قد رأت فى وقت من الاوقات ضم الادارة فى تهامة عسير، وعسير السراة إلى إدارة الوالى العثمانى فى اليمن، فما ذاك إلا لأمور إدارية تتحسس من ورائها حسن الإدارة، ودقة تصريف شئون المتصرفية، وكانت تصنع مثل هذا فى كثير من الولايات، كالشام مثلاً، الذى كان يضم سوريا، ولبنان، وفلسطين، بدليل إنه عندما وجدت ان الضم الادارى لم يأت بالنتيجة المرجوة، فصلت متصرفية عسير، وعينت عليها والٍ لم يكن خاضعاً للوالى العثمانى فى اليمن، وإنما

---

[1] وذلك وفق اتفاق سعيد باشا مع الادريسى عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م).

كان يخاطب استانبول مباشرة[1] فضلاً عن قيام الإمارة الإدريسية في جازان، التي استقلت عن الدولة العثمانية قبل استقلال اليمن نفسها.

ثم إن حادث الأخدود في نجران ليس دليلاً على التبعية السياسية، في حينه، وإنما كان بمثابة تأديب، أو غزو خارجي عاد بعده الغازي إلى موطنه دون أن يترك أثراً لغزوه[2].

**ويقول[3] بانسحاب الاتراك من اليمن بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، نشأت على امتداد الهضبة الوسطى والمنطقة الشرقية من اليمن (المملكة المتوكلية اليمنية) كما قامت على الجزء الشمالي الغربي (في عسير السراة، وعسير تهامة، وجزء من تهامة إلى الحديدة) الإمارة الإدريسية.**

وهنا خطأ تاريخي، وآخر جغرافي، فأما التاريخي فإن الامارة الادريسية نشأت في ظل الدولة العثمانية، وليس بعد نهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٨م) فالادريسي بدأ في تكوينها بمجرد قدومه إلى المخلاف السليماني في عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) وكان المخلاف مرتبطاً بمتصرفية عسير، فأستقل به الادريسي وبدأ في توسيع نفوذه على حساب الدولة العثمانية حتى وصل إلى مشارف الحديدة وغيرها من البلاد داخل اليمن،

---

[1] انظر مذكرات شفيق كمالي باشا، الوالي العثماني على متصرفية عسير.

[2] شرحنا هذه النقطة بالتفصيل في كتاب "البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران" ص٢٢-٢٨،٥٣-٥٧.

[3] ص١٤.

وانتهت الحرب العالمية الأولى وبحوزته تلك البلاد التى انتزعها من الادارة العثمانية، أثناء الحرب وقبلها، وهو فى وضع يتسم بالاستقلالية عن نفوذ الدولة العثمانية، بل فى عداوة معها.

وأما الخطأ الجغرافى الذى وقع فيه المؤلف فإن عسير السراة لم تكن من مناطق نفوذ الادريسى، بل كان بها متصرفية عثمانية، حاولت التصدى لطموحات الإدريسى فلم تستطع، وظلت متصرفية ترابط فيها قوات عثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ثم رحلت عنها بموجب اتفاق الصلح بين الحلفاء والدولة العثمانية، (صلح موندروس فى ٢٠/١٠/١٩١٨م) وسلمها محي الدين باشا ـ آخر الولاة العثمانيين ـ إلى معاونه من أهل البلاد الحسن بن عائض، حيث أقام فيها إمارة آل عائض.

**ومن هذا يتضح خطأه أيضاً فيما قاله عقب ذلك[1] من أن الادريسى وجد نفسه بين نار الامام يحي من جهة، والشريف حسين ، والحسن بن عائض من جهة أخرى، فاندفع إلى الاستعانة بابن سعود، وتنازل له عن عسير السراة، بمقتضى معاهدة صداقة بينهما فى ٣١/٨/١٩٢٠م.**

فالمؤلف يقصد معاهدة الصداقة الأولى الموقعة بين الادريسى والملك عبد العزيز فى ١٠صفر ١٣٣٩هـ، الموافق ٢٣/١٠/١٩٢٠م.

---

[1] فى نفس الصفحة ص١٤.

وهى التى حُدِّدت فيها بعض القبائل والأراضى التابعة لكل من إمارة جازان (الادريسية) وبين عسير السراة تحت نفوذ الملك عبد العزيز، وكانت عبارة عن ترتيب إدارى بين إمارتين متجاورتين لم يمس أرض اليمن، وكان نفوذ الادريسى فى وقتها يمتد إلى بعض الأراضى داخل اليمن كالحديدة وغيرها، فلم تشر له تلك المعاهدة (أي الأولى).

فالتاريخ الذى أورده المؤلف للمعاهدة الأولى (١٩٢٠/٨/٣١م) ليس صحيحاً، بالاضافة إلى أن عسير السراة (إمارة آل عائض) كانت قد دخلت بالفعل ـ قبل هذا التاريخ ـ فى حوزة الملك عبد العزيز، على إثر الحملة التى قام بها الأمير عبد العزيز بن مساعد فى شعبان ١٣٣٨هـ، وتماست حدود الامارتين مما استدعى تحديد المناطق والحدود بينهما، فكانت معاهدة الصداقة الأولى بين محمد بن على الإدريسى والملك عبد العزيز فى ١٠صفر ١٣٣٩هـ (١٩٢٠/١٠/٢٣م) ولم تكن عسير السراة ضمن نفوذ الإدريسى حتى يتنازل عنها.

وعندما أحس الأمير الحسن بن على الأدريسى ـ الذى كانت قد آلت إليه الإمارة ـ بتهديد مباشر من قبل إمام اليمن ـ بعد حوالى ست سنوات من المعاهدة الأولى ـ لجأ إلى الملك عبد العزيز طالباً حمايته، ومعه عدد من أعيان وأهالى الإمارة، فوقعت المعاهدة الثانية فى ٢٤ربيع الآخر ١٣٤٥هـ (١٩٢٦/١٠/٣١م) والتى بموجبها وضعت الإمارة الإدريسية تحت حماية الملك عبد العزيز، بغرض التصدى لتهديد إمام اليمن لها.

وعقب التوقيع عليها أبلغت إلى إمام اليمن، فأبدى موافقته عليها. دون اعتراض، كما أمر بايقاف كل التحركات ضدها.

وقد أشير إلى المعاهدة الأولى (١٠صفر ١٣٣٩هـ) فى المادة الأولى من المعاهدة الثانية هذه (٢٤ربيع الآخر ١٣٤٥هـ) للتأكيد على استمراريتها، ونفاذها، وأن الثانية لم تلغ الأولى وإنما هى مكملة لها بما كانت تشمله من تحديدات للقبائل والأراضى وغيرها .. وانتقال ذلك كله إلى حماية وسيادة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها (وفق نص المادة الأولى منها). كما قلنا أبلغت فى حينها إلى إمام اليمن فأبدى موافقته، دون اعتراض[1].

وكان الحسن الادريسى قد لجأ إلى حماية الملك عبد العزيز، لأن الإمام قد استغل فرصة الخلاف الذى نشب فى البيت الإدريسى، والضعف الذى انتاب الإمارة الادريسية، فانتزع كثيراً من أجزائها الجنوبية، ابتداء من الحديدة حتى ميدى .. وأراد الزحف شمالاً، لذا سارع الحسن إلى الملك عبد العزيز بعقد اتفاقية الحماية، لإنقاذ مايمكن انقاذه!.

وهنا أليس من حق سائل أن يسأل المؤلف: مَنْ كان يطمع فى من؟!! .. عفا الله عما سلف .. ورحمهم جميعاً.

---

[1] د. السيد عبد العزيز سالم، تكوين اليمن الحديث، ص٣٢٨.

**وما أورده المؤلف[1] من أن الملك عبد العزيز ـ في سبيل تخفيف وطأة هذه الخطوة ـ أبلغ الامام يحيى عقب توقيع معاهدة الحماية، بأن القصد إبقاء تهامة عسير[2] مستقلة، ودولة وسط بيننا (أى بين السعودية) وبين اليمن، لتجنب نشوب حرب، وتكون بها حكومة محايدة بين حكومة الامام يحيى وحكومتنا.**

كل هذا إدعاء لا أساس له، فكيف توضع الإمارة الادريسية، تحت الحماية، وفى الوقت نفسه تكون محايدة !! .. ولو طرح هذا فى حينه، لكان معروفاً وتمسك به الامام، وأثير فى احتماعات الوفود .. ولوُجدت تساؤلات حوله وردودا. لكن لم يحدث شئ من ذلك .. والحقيقة أن آثار انتصار الملك عبد العزيز على الشريف حسين، والقضاء على مملكته ذاك الوقت، كانت ماتزال تدوى فى الأسماع .. فكان إرسال صورة من معاهدة الحماية كفيلاً بردع الأطماع، وأقوى من أى تبرير لتخفيف الوطأة!. إن كانت هناك وطأة تحتاج إلى تخفيف.

بعث الملك نسخة من المعاهدة رفق خطاب رقيق بتاريخ ٢رجب ١٣٤٥هـ (٥يناير ١٩٢٧م) فأجابه الامام بخطاب رقيق أيضاً بتاريخ ٤شعبان ١٣٤٥هـ (٨فبراير ١٩٢٧م) بالعلم، ويطلب فيه إرسال مندوب

---

[1] ص١٥.

[2] أورد المؤلف عبارة "إبقاء عسير" والصواب: تهامة عسير (جازان)، وهى التى كانت تخضع لحكم الادريسى، وليست عسير السراة.

للتفاهم.. وبدأت الوفود بين البلدين تروح وتعود، وكذا المكاتبات بين عاهلى البلدين حوالى سبعة أعوام.

وفضلاً عما سبق فإن النفوذ السعودى كان قد امتد إلى عسير السراة، منذ عام ١٣٣٨هـ، وتماست الحدود بين البلدين ـ السعودية واليمن ـ فى بعض المناطق المجاورة لتهامة عسير، فكيف تجعل تهامة عسير فاصلاً بين البلدين!؟ .. بينما البلدان قد تماست حدودهما قبل ذلك فى المنطقة المجاورة!؟. وهى عسير السراة.

**كما خلط بين قبائل تهامة عسير، وقبائل عسير السراة، حين زعم أن قبائل عسير السراة لم تعترف بمعاهدة الصداقة الموقعة بين الادريسى والملك عبد العزيز[1] (وهو يقصد المعاهدة الأولى ١٠صفر ١٣٣٩هـ (١٩٢٠/١٠/٢٣م) وأنها لم تخضع إلا بعد عدة حملات عسكرية كان على رأس بعضها الأمير فيصل (الملك فيصل فيما بعد).**

وهو فى هذا لم يستطع أن يميز بين تهامة عسير، وعسير السراة، ولا بين القبائل فى كل منهما، ولا فى نسبة الحوادث إلى أي منهما!؟. ويحاول أن يتناسى أن قبائل عسير السراة ورجال أعيانها هم الذين بادروا إلى الذهاب للملك عبد العزيز طالبين منه التدخل لرفع الظلم والمعاناة التى يجدونها من ابن عائض، مذكرينه بتاريخ أجداده ورعايتهم للمنطقة

---

[1] ص١٤.

وأبنائها، وكانت هذه بداية التواجد السعودى في منطقة عسير السراة، أما ماحدث بعد ذلك من بعض القبائل، فكان نتيجة للدسائس والفتن التى حاكها الشريف حسين، وأغدق الأموال فى سبيلها .. ومعروف أن كثيراً من قبائل السراة لم تغرها تلك الأموال، وظلت ملتزمة، وكانت تنضم فوراً إلى تلك الحملات العسكرية، القادمة لإخماد الفتن .. وهى بالتالى لاعلاقة لها بمعاهدة الادريسى، لأنها لم تكن خاضعة لنفوذه.

**ويقول[1] وفى محاولة يائسة لاستعادة إمارتهم قام الأدارسة بانتفاضة ضد الإدارة السعودية، ولم يحاول الامام انتهاز الفرصة السانحة ويدفع بقواته لخوض المعركة إلى جانبهم، وظل بدلاً من ذلك أسير المفاوضات مع ابن سعود حول تبعية المنطقة له. وأسير المخاوف من احتمال تدخل قوى أجنبية فى النزاع بينهما.**

تُرى هل كان بمقدور الامام حقاً انتهاز الفرصة السانحة، كى يدفع بقواته لخوض المعركة إلى جانب الأدارسة، أعداء الأمس القريب، والتى دفعت شدة العداوة بينهما إلى لجوئهم للملك عبد العزيز طالبين الحماية!؟ إن الاجابة على ذلك يقولها المؤلف نفسه فى معرض سرده نتائج حرب عام ١٣٥٢هـ (١٩٣٤م) التى أدت لمعاهدة الطائف حين يقول[2].

---

(١) ص١٥.

(٢) ص١٦.

**وإذا كان الجيش المتوكلي قد استطاع خلال الحرب غير المتكافئة من ناحية التسليح، الصمود في المنطقة الجبلية، التي يجيد القتال فيها بأسلحته المتخلفة، فقد كان عليه ـ نظراً لفقدانه المعدات الحديثة التي كان يمتلكها الجيش السعودي ـ أن يخلي تهامة (أي تهامة اليمن) للزحف السعودي المجهز بالآليات المتقدمة نسبياً، والذي كان من السهل عليه أن يبلغ الحديدة .. دون أن يجرب الاقدام على اقتحام المنطقة الجبلية .. الخ.**

فمنطقة تهامة عسير (جازان) التي وجدت فيها الفرصة السانحة، هي غالباً منطقة سهلية، مثل تهامة اليمن، وليست جبلية، فهل كان بمقدوره فعلاً أن يحقق مايهدف إليه، عند انتهاز الفرصة السانحة؟!. فغالب الظن أنه لم يكن ليحقق شيئاً فيما لو أقدم لاستغلال الفرصة السانحة. بدليل أنه لم يحقق شيئاً أثناء اندلاع الحرب عام ١٣٥٢هـ، مع أنه كان هوالذي بدأ باحتلال بعض المناطق (جبال فيفا وبعض نجران) ومتأكد من أنه سيكون هناك رد فعل من الخصم، وأن الحرب قادمة لامحالة .. وأن عليه أن يكون على أكمل استعداد للمجابهة! .. ثم إن التبرير بالمخاوف من احتمال التدخل الخارجي .. هو تبرير غير منطقي، وغير موضوعي، بدليل أنه لم يحدث تدخل عند قيام الحرب بين الجانبين عام١٣٥٢هـ، و لم تكن هناك سابقة في هذا الشأن تبعث على التخوف.

وهذا لايعني بالتأكيد الإقلال من كفاءة الجندي اليمني، فهو جندي محارب شرس، وماعرف السلم إلا في فترات نادرة من تاريخه الطويل،

لكن القيادة لديه لم تؤهله تأهيلاً كافياً لخوض الحرب وقتها .. شأنه فى ذلك شأن الجندى المصرى فى حرب عام ١٩٦٧م. فلما تم تأهيله واستعداداته تغير الوضع فى حرب ١٩٧٣م.

ماكان أغنانا عن التعرض لمثل تلك المواضيع الحساسة، التى تؤلم النفس حين ترى مسلماً يحمل السلاح فى وجه أخيه المسلم، لولا تلفيقات المؤلف، ومقاصده المغرضة.

**ويقول[1] ومن هنا كان على الملك السعودى أن يعيد النظر فى خطته الأصلية، التى كانت تطمع فى أخذ اليمن كلها، وأن يقنع بالانسحاب من تهامة (اليمن) مقابل ترك عسير ونجران تحت سلطانه.**

والحقيقة المؤكدة أن الملك عبد العزيز لم يفكر فى يوم من الأيام فى الاستيلاء على اليمن كلها .. كما يقول المؤلف .. لأنه صرح أكثر من مرة، وفى مواقف مختلفة أن له حقوقاً تاريخية فى بعض المناطق، وسيعمل على استردادها، وكانت تعرف ذلك عنه الدول التى لها نفوذ فى المنطقة كانجلترا .. وكانت وجهة نظره بالنسبة لليمن تتمثل فى هذه العبارة الصريحة: حكم الزيدية فيهم ومنهم .. لذا كان عازفاً عن مجرد التطلع نحو أرض اليمن .. وكان يرى أنه لو اضطرته الظروف للدخول فى حرب معها، فلتكن محسوبة جيداً، ولتكن بمقدار معين، تنتهى بمجرد تحقيق

---

[1] ص١٦.

الهدف من قيامها .. ونلحظ أن هذا المبدأ هو ماالتزم به فـي حرب عام ١٣٥٢هـ، فقد قامت بسبب فشل المفاوضات السلمية، التى كانت تبحث مواضيع معروفة يومئذ، كاحتلال الجيش المتوكلى لبعض الأماكن، وترسيم الحدود بين البلدين، وتوقيع معاهدة يلتزم بها الطرفان .. ولذلك عندما وردته برقية الامام أثناء الحرب بقبول تلك المواضيع، أصدره أمره فوراً بايقاف الحرب، وأمر القواد بعدم التقدم فى أراضى اليمن .. وكان بمقدورهم أن يتقدموا لاحتلال مساحات أكبر، وتدخل هى أيضاً ضمن بنود المفاوضات على أساس أنها كانت امتداداً لإمارة الادريسى مثلاً .. وكانت قبل امتداداً للنفوذ السعودى فى عهد الدولة السعودية الأولى .. لكن ذلك لم يحدث لأنه لامطامع له فى أرض اليمن حقيقة.

**ويقول[1]: فرغم أن الامام يحيى كان فى موقف الضعيف خلال الحرب، مما دفعه إلى القبول بايقافها .. فإن من الملاحظ أنه لم يتخل نهائياً عن عسير ونجران، وإنما احتفظ بحق إعادة النظر فى المعاهدة فى الوقت الملائم، وفق نص المادة (٢٢) التى يتضح جلياً منه أن المعاهدة لم تكن (نهائية) وأنها لم تعط (حقوقاً ثابته ودائمة) للطرف السعودى.**

نحمد الله أولاً وأخيراً على ماتوصل إليه زعماء ومسئولو البلدين مؤخراً من الوفاق لإنهاء هذا الموضوع، وجعلها معاهدة نهائية ودائمة لقطع الطريق أمام ذوى الأغراض الذين لايملّون من إثارة الفتنة بين البلدين

---

[1] ص١٦.

الشقيقتين، ويتخذون من هذه النقطة مدخلاً لذلك .. وكفانا الله مؤنة تفنيد هذه المقولة علمياً وفى إطار التعاهدات القانونية، وبيان نتائجها فيما لو ألغيت من جانب واحد أو حتى توقف سريانها .. وآثار ذلك عليه محلياً ودولياً .. وبخاصة بعد استقرار تلك الأوضاع الحدودية مدة تكفى لثباتها ودوامها فى المفهوم الدولى .. ثم إن المادة الثانية من المعاهدة أكدت بوضوح على استقلالية البلدين وإسقاط أيّ حق يدعيه أيّ طرف فى أرض الطّرف الآخر خارج الحدود المبينة فى صلب المعاهدة .. وهو الأمر الذى يفند مزاعم المؤلف.

ولو أننا سايرنا المؤلف، وافترضنا أن أحد الطرفين لم يطلب تجديدها، فمعنى هذا العودة إلى الوضع الذى كانت عليه الدولتان قبل التوقيع، أى حالة الحرب، واحتلال مناطق وأراضى .. فإن قيل: تتوقف المعاهدة للدخول فى مفاوضات، يجاب بأن الحالة التى كانت قبلها مباشرة هى حالة الحرب، و لم تكن حالة مفاوضات .. لأن المفاوضات كانت قد توقفت، ونشبت على إثرها حرب .. فإن قيل: لو أغضينا الطرف عن حالة الحرب، وقلنا العودة للمفاوضات، يجاب بأن المادة الثانية تضمنت إسقاط أى حق يدعيه أى طرف فى أرض الطرف الآخر فيما هو خارج الحدود الموضحة فى صلب المعاهدة .. فلما نأخذ نص مادة ونترك أخرى؟. فلا معنى للايقاف، ولامعنى لإعادة التفاوض! .. لأن هذا النص أبطل ادعاء أيّ طرف مستقبلاً فى أرض الطرف الآخر، فيما هو خارج عن التحديد الذى حددته المعاهدة، ومهما طرحت من تساؤلات لأجيب

عنهـا بإيجابـات مقنعة وقانونيـة .. فضـلاً عـن فتـح بـاب يتسـرب منـه ذوو الأهـواء .. ليـس بمقـدور أحـد إغلاقـه، ويتسـع الخـرق على الراقـع .. لـذا أدرك المسئولون فـى كـلا الدولتين ذلـك .. ووفقهـم الله إلى منهـج التوفيـق والوفـاق .. فسـدد الله خطـاهم.

وقـد أشـار المؤلـف بطريقـة عفوية إلى واقعـة محـددة لكنهـا تحمـل فـى طياتها مغزى سياسى مؤثر فى هـذا المجـال، وهـى قولـه[1].

**وإذا كـانت الجمهوريـة العربيـة اليمنيـة، التـى قـامت علـى انقـاض المملكـة المتوكلية اليمنية قد أعلنت ـ مقابل اعتراف أمريكـا بهـا ـــ فـى ديســمبر ١٩٦٢م، اعترافهـا بجميـع المعـاهدات والاتفاقيـات التـى أبرمهـا العهـد السـابق.**

ذلـك أنـه مـن المعـروف أن أيـة دولـة تقـوم بتغيـير نظامهـا الداخلـى، تكـون حريصـة فـى الوقـت نفسـه علـى اثبـات استمرارية وجودهـا عضـواً فـى المجتمـع الـدولى، فتبـادر باعترافهـا، والتزامهـا بجميـع المعـاهدات والاتفاقيـات التىأبرمهـا النظـام السـابق مـع جميـع دول العـالم .. وإلا لوقفـت الـدول حيالـه موقفـاً متحفظـاً، يتضمـن عـدم الاعـتراف بـه، ونبـذه مـن المجتمـع الـدولى. واحاطتـه بسياج مـن العزلـة .. والمؤلـف يـورد تلـك الواقعـة وكأنهـا أسـلوب مسـاومة مـن أمريكـا .. بينمـا هـو المتبـع دوليـاً، وفـق القـانون الـدولى،

---

[1] ص١٧.

فالمعاهدات التى أبرمت سابقاً لم يبرمها أشخاص بذاتهم، واعتباراتهم الشخصية، وإنما باعتبارهم يمثلون الدولة، ويتقمصون شخصيتها وكيانها، والدولة بشخصيتها الاعتبارية فوضتهم القيام باعتماد ذلك والتوقيع نيابة عنها .. ومهما تغير الاشخاص لايترتب على ذلك أى انتقاص فى التزام الدولة بتلك المعاهدات والاتفاقيات، ومايترتب عليها مادياً وأدبيا.

وأمريكا وغيرها من الدول، يعرفون تماماً هذا الأسلوب المتبع فى السياسة الدولية، لذا توقفت عن الاعتراف حتى يعترف النظام الجديد بما أبرمه النظام السابق من معاهدات واتفاقيات دولية، والتزامه بتنفيذه .. وما أورده المؤلف تعقيباً على ذلك من أن القاضى الإريانى استثنى فيما بعد ــ عام ١٩٦٥م ــ معاهدة الطائف وأيده فى ذلك جمال عبد الناصر فى خطاباته .. فما ذاك إلا من قبيل الدعاية والإعلام السياسى لكسب التأييد فى موقف من المواقف السياسية .. ولا قيمة له فى معيار وموازين القانون الدولى.

وعموماً فقد انتهت النبذة التاريخية التى صدّر بها المؤلف كتابه، أو بالأحرى البابان اللذان انتزعهما انتزاعاً ــ كما يقول ــ من قلب رسالته التى نال بها درجة الدكتوراة من جامعة "كارل ماركس" فى ليبزج بألمانيا الديمقراطية (ألمانيا الشرقية، قبل اتحاد الألمانيتين، تلك الدولة التى كانت بها معسكرات لتدريب عصابات التخريب والتجسس على العالم وترويج الفكر الماركسى للكوادر الدارسين بها).

وقد طفحت هذه النبذة بالعديد من الاختلاقات والمغالطات كما رأينا دون أن يستند فيما قاله فيها إلى أى مرجع، أما البابان اللذان انتزعهما من رسالته فكان الأمر فيهما هينا نوعا ما، واتبع فيهما منهج البحث العلمى من حيث ذكر المراجع، لكن تنقصه الموضوعية والمصداقية فى إيراد الخبر، وبالتالى فى تحليله والنتائج المترتبة عليه. وسوف نرى ذلك.

**يتكلم فى الفصل الأول من الباب الأول[1] عن الشروط التاريخية والاجتماعية لظهور محمد على الإدريسى، وتعيين الأتراك (العثمانين) له قائمقام فى صبيا. معرّجاً على تاريخ جده الأعلى الشيخ أحمد بن إدريس، وكيف انتقل من موطنه "فاس" بالمغرب إلى تهامة عسير، وإقامته فى صبيا بعد عام ١٢٤٤هـ (١٨٢٨م) وظل بها إلى أن توفى فى ٢١رجب ١٢٣٩هـ (١٨٣٧م) واستمر أبناؤه بالمنطقة إلى أن كان حفيده الأدنى محمد بن على الإدريسى[2] الذى أنشأ الإمارة الإدريسية.**

**وعن ظروف نشأة الإمارة الإدريسية، يتحدث المؤلف[3] عن الوضع الاجتماعى فى تهامة عسير (جازان)، وعسير السراة، عند قدوم الإدريسى للمنطقة، بعد جولته الدراسية، فيصف الوضع فى المنطقة بأنه كان مرعباً، كما هو الحال فى جبال تهامة، ويرجع سبب ذلك إلى**

---

[1] ص٢١.

[2] هو: محمد بن على بن محمد بن أحمد ـ الجد الأعلى ـ الذى نزح إلى صبيا. ولد محمد عام ١٢٩٣هـ بصبيا، وهو الذى أنشأ الامارة الادريسية عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م).

[3] ص٢٩.

**حاجة سكان تهامة عسير، وعسير السراة إلى زعيم ديني، وقائد سياسي، يستطيع توحيد كفاحهم ضد الاتراك العثمانيين. وتحويل ذلك الكفاح إلى انتفاضه عامة. كما صنع الإمام يحيى وطائفته الزيدية.**

فالمؤلف يشير هنا إلى حاجة سكان المناطق الشوافع إلى زعيم شافعي - أو على الأقل سني - يقودهم، مثلما قاد الامام يحي طائفته الزيدية، وتلك كانت نقطة صراع مذهبي في كثير من الفترات التاريخية لليمن حالت بينه وبين التوحيد السياسي وخضوعه لحاكم واحد .. وذلك بالاضافة للطوائف المذهبية الأخرى التي كانت موجودة على أرض اليمن .. بجانب ما يتضمنه قوله هذا من تلاشي فكرة إقليمية الأرض وحدودها، أو الأصول العرقية للتكوينات السياسية، أمام التباين المذهبي .. وبذلك تبطل حجة القائلين بالتكوينات السياسية للدول على أسس من إقليمية الأرض وحدها، أو الأصول العرقية فقط .. الأمر الذي يهدم بعض مايهدف إليه المؤلف من تأليفه لهذا الكتاب.

**يقول المؤلف[1] بعد استعراضه نشأة الادريسي، وعودته من رحلته الدراسية واستقراره في صبيا: إن الإمام يحي زكيّ رغبة محمد بن علي الإدريسي بارشاد سكان هذه المنطقة، وهدايتهم إلى طريق الحق..؟!**

---

[1] ص٣٠. استند المؤلف في ذلك إلى الواسعي ص١٢٧، الذي قال إن الادريسي طلب من الامام الإذن بالاقامة في تلك البلاد، أي تهامة عسير.

وللمرء أن يتساءل لِمَ استأذن الإدريسى من الإمام يحي للإقامة فى صبيا، وهى بلدته التى فيها ولد ونشأ، وفيها أهله وبها أملاكهم، وأهل المنطقة يعرفونه جيداً، ويكنون له ولآبائه كل التوقير؟! ثم ماالذى يملكه الإمام من سلطة ـ ذاك الوقت ـ لإقراره أو منعه، فالمنطقة تخضع إداريا لمتصرفية عسير[1] وليس للوالى العثمانى فى اليمن، ولا حتى الإمام يحي سلطة عليها؟!. وإنما كانت سلطة الامام مقصورة على بعض المناطق الجبلية بأرض اليمن نفسها، وقد حددتها معاهدة "دعان" التى وقعت بين الامام والعثمانيين بعد هذه الأحداث بحوالى عام ونصف .. ثم لماذا يستأذن الإدريسى من الإمام لإرشاد الناس؟! وهل سيرشدهم إلى المذهب الزيدى أم سيتبع فى إرشادهم مذهب أهل السنة، الذى يعتنقه[2] ويعتنقه أيضاً كافة أهل تهامة عسير وعسير السراة؟! إن حساسية هذا الموضوع كانت دائماً مثار فتن بين سكان اليمن نفسها، على مختلف توجهاتهم المذهبية .. والادريسى وأهل تهامة عسير يدركون ذلك تماماً .. وربما كانت من بين الأسباب لعدم الارتباط السياسى والإدارى بالأئمة بمختلف مراحل تاريخ اليمن.

---

[1] كانت متصرفية عسير قد انشئت عام ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) مستقلة عن الادارة العثمانية فى اليمن، فى معظم الأحيان، وكانت تتبع السلطة العليا فى استانبول مباشرة، وبخاصة فى عهد متصرفها سليمان كمالى باشا، وظلت هكذا حتى انسحب منها العثمانيون فى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) وسلمتها للحسن بن عائض، فأقام فيها امارة آل عائض، أما تهامة عسير فقد أنشأ فيها الادريسى الإمارة الادريسية.

[2] قيل كان الادريسى مالكى المذهب، وقيل كان شافعياً.

ووقائع التاريخ تروى أن الإدريسى كان يخشى من الأتراك فى تهامة عسير، حين قدومه إليها بعد رحلته الدراسية، فأخفى مراميه السياسية، وأظهر الصلاح، والإصلاح بين القبائل، إلى أن وطد أقدامه، والتف الناس حوله، فثار على الأتراك .. و لم يضع فى حسبانه أى نفوذ للإمامة فى اليمن .. لأن نفوذها منعدم أصلاً فى منطقة تهامة عسير وعسير السراة، للاختلاف المذهبى .. ومن هذا يتضح وهن هذا الخبر، وتلفيقه.

**وبالأسلوب الحماسى يقول[1] خلاف ذلك (أى بعد أن وطد الإدريسى أقدامه) تفاهم الإمام يحي والإدريسى على القيام بانتفاضة يمنية عامة (هكذا) وفى أكتوبر ١٩١٠م، فجرها الإدريسى فى عسير، وتبعته إلى إشعالها تحت قيادة الإمام يحي جماهير المنطقة الجبلية من اليمن، لقد عبر هذا التعاون بين القائدين عن درجة عليا من الكفاح الثورى للشعب اليمنى، للقضاء النهائى على الاضطهاد الاستعمارى (هكذا..) للمملكة العثمانية.**

لقد ساوى المؤلف هنا بين التواجد العثمانى فى البلاد العربية، والتواجد الاستعمارى الأوروبى فيها، وسبق أن أوضحنا أن هناك فرقاً بينهما فى كثير من الوجوه، وأنه مهما قيل عن مساوئ التواجد العثمانى، من حيث سوء إدارة الولاة العثمانيين، وظلمهم للرعية وغير ذلك فإنه

---

[1] ص٤٧.

بانصاف، لاينبغي نسيان مواقفها في خدمة الإسلام، والدفاع عن الأراضي الاسلامية، وتصديها للغزو الأوروبي .. ومن هنا اختلف التواجد لكليهما في البلدان العربية.

ثم إن المؤلف يود أن يعطي انطباعاً لدى القارئ بامتدادية الأرض وإقليميتها، تبعاً للامتداد العرقي للمقيمين عليها، بينما الحقيقة أن الامتداد العرقي وإن استمر لكنه انفصل إدارياً وسياسياً منذ النزوح من الموطن القديم في اليمن، إلى الموطن الجديد في أرض الحجاز وغيرها، خلال الهجرات المتتابعة والتي كان من أشهرها ماحدث عقب انهيار سد مأرب.. واستمر الانفصال السياسي والإداري بين الموطنَيْن أو الإقليمين، في معظم الفترات التاريخية حتى عصر تسجيل تلك الأحداث .. هذا بالاضافة إلى أن التواجد العرقي على أرض اليمن نفسه شاركته عرقيات أخرى، ممثلة في بعض القبائل العدنانية التي نزحت إلى اليمن واستوطنتها وإلى بعض الأحباش، والفرس، وإن اكتسبت صفة المواطنة اليمنية لذوبانها في المجتمع اليمني .. وليس أدل على ذلك من أئمة اليمن أنفسهم فهم عدنانيون .. وكذلك الشأن في أهل تهامة عسير، وعسير السراة، هم تجمعات من القحطانيين والعدنانيين .. تآلفوا وتحالفوا على التعاون فيما بينهم، والتصدي للمصاعب التي مرت بهم خلال الفترات التاريخية. وتلاشت أمام ذلك كله النزعة العرقية لكل منهم .. وإن كانوا يحفظون أصول أنسابهم، حتى لاتختلط أو تضيع الأنساب، وهو شأن كل القبائل

فى بلاد العرب، وكذا القبائل التى نزحت إلى غيرها من البلدان العربية والإسلامية.

ونعود إلى معرفة مدى التفاهم الذى حدث بين القائدين كما يقول المؤلف.. فنجد أنه لم يكن لإقامة كيان سياسى موحد، وإنما لإقامة كيان لكل منهما على الأرض التى يبسط عليها نفوذه .. وأنها انتفاضة لتحقيق طموحات كل منهما، على أرضين متباينتين، ومختلفتين .. وفى هذا اعتراف ضمنى من كلا القائدين بأن يقيم كل منهما كياناً سياسياً له على الأرض التى يبسط عليها نفوذه أيا كانت .. وليس من حق أى منهما أن ينازع الآخر عليها فيما بعد.

**ولذا يقول المؤلف عقب ذلك مباشرة[1]: والآن أعلن الإدريسى استقلاله كأمير، واقامة إمارة مستقلة، تكون عاصمتها "أبها".**

ويبدو أن الادريسى أعلن ذلك فى بداية ثورته على متصرفية عسير أواخر ذى القعدة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)، لأن إمارته التى أقامها بدأت فى تهامة عسير وامتدت إلى بعض الأراضى اليمنية، وعاصمتها كانت "صبيا" حتى وفاته فى ٦ شعبان ١٣٤١هـ (١٩٢٣/٣/٢٣م).

وبعد أن يورد المؤلف بعض الوقائع التى حدثت بين الإدريسى من جهة، والتى ساعدته إيطاليا فى بعضها، وبين العثمانيين والامام يحيى من

---

[1] ص٤٧ نفسها.

جهة أخرى، وفى محاولة منه لتحليل نتائج تلك الوقائع والحروب، يعاود ترديد مسألة الامتداد العرقى كعنصر وحيد لتكوين الدول، دون النظر لإقليمية الأرض، واتجاهات المواطنين المذهبية، التى حتمت عليهم فى معظم الفترات التاريخية أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، ثم مدى رغبتهم فى الدخول تحت نفوذ تلك الدولة الموحدة التى يتحدث عنها المؤلف. وهو عنصر أساسى لنشأة الدول فى العصر الحديث .. فيقول، بالأسلوب الحماسى أيضاً[1]:

**لقد برهن كفاح الشعب اليمنى الذى بدأ محليا للتحرر من الاضطهاد التركى، والذى قاد طائفة الزيديين فيه الإمام يحي، وقاد طائفة الشوافع فيه محمد الإدريسى، برهن بشكل قاطع أن اليمنيين كانوا فى الوضع الذى يمكنهم بقواهم الخاصة من التحرر من نير العثمانيين، ولقد برهنت الانتفاضة اليمنية العامة فى عامى ١٩١٠-١٩١١م. والنتائج الكبرى التى تحققت مع بداية هذا الكفاح بوضوح كامل، أنه كانت توجد فى هذا الوقت امكانية لإقامة دولة يمنية موحدة، متحررة من الحكم الأجنبى (هكذا !) .. إلى أن يقول[2] .. ولقد أدى طموح الادريسى لتأسيس إمارة خاصة به فى جزء من اليمن (هكذا !) إلى انشطار عملية الكفاح الموحد، وبالتالى إلى إعاقة بناء دولة**

---

[1] ص٧٨،٨٠، ويلاحظ هنا أن صفحة (٧٩) بكاملها، وضعت مكان صفحة (٨٠) وهذه مكان تلك، أى أن كلا منهما مكان الأخرى، مما جعل الكلام منقطعاً، وغير متناسق، ولاريب أنه خطأ طباعى.

[2] ص٨٠، المفروض أن تكون هى ص٧٩. لولا الخطأ الطباعى المشار إليه.

**يمنية موحدة .. وحتى من أجل إقامة إمارة إدريسية خاصة، لم يكن يمتلك الإدريسي الشروط الموضوعية الكافية، لقد كان واجبه التاريخى يتمثل فى الكفاح تحت قيادة الامام يحيى (هكذا !) الذى كانت تدعمه جوهرياً قوى شعبية عريضة، وبهذا الشرط كان يمكن خلق دولة يمنية موحدة!..**

هذا الكلام ينم عن بساطة، وعدم مقدرة على تحليل الوقائع للوصول إلى نتائج موضوعية ومنطقية! .. فهل من المعقول أن يُطلب من الإدريسى، زعيم طائفة الشوافع كما يقول المؤلف، أن يكافح لتكوين دولة، أو حتى إمارة لايرأسها هو، وإنما يرأسها زعيم طائفة الزيدية؟!. مع إجلالنا لشخصية الإمام يحيى، وكافة الأئمة، ولرعاياهم من الزيديين، لكن الأمانى شئ والواقع شئ آخر .. فالواقع يقول إن هناك قديما صراعات مذهبية بين الطائفتين، وكذا الطوائف الأخرى التى عششت وأفرخت فى أرض اليمن .. وكانت من بين الأسباب لعدم وحدته سياسياً من قديم، إلى أن تغلب الحكام المعاصرون بحكمتهم الفائقة على تلك الحساسية المتوارثة.

وهل كان رؤساء القبائل الشوافع، الذين هبوا مع الادريسى لتحقيق هذا الانجاز يقبلون منه ذلك الذى يريده المؤلف؟ وهو هنا ينفى عن الادريسى توافر الشروط الموضوعية الكافية لتولى قيادة الدولة التى يسعى

لانشائها، بينما أقر له بذلك فى بداية هذا الفصل[1] وقال: كان الادريسى مستوفياً للشروط التاريخية والاجتماعية، وكان مهيأ لهذا الدور التاريخى فى عسير تهامة.

ثم إن كلاً منهما كان يسعى لإقامة دولة مستقلة يتولى رئاستها هو، والإمام وأتباعه يعرفون ذلك من البداية، والمنطقة التى أقام عليها الادريسى إمارته، كانت فى تهامة عسير، وهى لاتعد بأى حال من أراضى اليمن، لاإقليمياً ولا تاريخياً، وقد أوضحنا ذلك فيما سبق، وحتى عندما امتد نفوذه إلى تهامة اليمن، وبعض المناطق الجبلية فى اليمن الأعلى، انتزعها من العثمانيين، فيما عدا بعض المناطق المجاورة لصعدة كبلاد رازح، التى كانت تعد من نفوذ الإمام .. لكن ذلك لايستدعى خضوعه للإمام كما يود المؤلف بل على العكس زادت الخصومة والعداوة بينهما .. وقد رفض الإدريسى استقبال الوفد العثمانى / الإمامى[2] الذى قدم إليه فى ربيع أول ١٣٣١هـ (فبراير ١٩١٣م) للتفاوض لمنحه الاستقلال الذاتى فى تهامة عسير، ودفع راتب شهرى له، مقابل الاعتراف بالسلطنة العثمانية، لأنه كان فى وضع سياسى دولى شبه مستقل عن الدولة العثمانية، ويفوق فيه الوضع السياسى للإمامة المتوكلية، التى ربطت نفسها بالدولة العثمانية

---

[1] ص٣٠.

[2] كان على رأس هذا الوفد الوالى الجديد لليمن محمود نديم باشا، وعضوية: القاضى عبد الكريم أحمد مطهر، والسيد قاسم العزى، وحسين كامل أفندى، والسيد أحمد بن يحيى عامر نائب الإمام فى حجور، وأشار المؤلف لهذا الوفد، فى ص٨٠.

فى معاهدة "دعان" وتم فيها توزيع أرض اليمن نفسها رسمياً بين الإدارة العثمانية، والادارة الامامية المتوكلية .. بالإضافة إلى أجزاء مقتطعة ومغتصبة حقاً ـ من قبل ـ تتمثل فى عدن والمحميات .. لم يتعرض المؤلف لذكرها.

ويبدو أن الصدفة البحته لعبت دوراً فى وقوع ثورة الإدريسى، متزامنة مع ثورة الإمام .. وأن التداعيات المحلية والدولية هى التى دفعت بهما إلى الوقوع فى زمن واحد .. مما حدا بالمؤلف لأن يطلق عليهما انتفاضة، أو كفاح الشعب اليمنى .. وكأنهما على اتفاق مسبقاً، للقيام فى هذا الوقت بالذات، دليلاً على التفاعل والامتداد العرقى، الذى يتخذ منه المؤلف ذريعة لامتداد الأرض، ومن ثم التبعية، وقد سبق أن فندنا تلك المقولة.

فالإدريسى استغل معاناة قبائل عسير من ظلم الإدارة العثمانية، وقادها لرفع هذا الظلم عنها، وقد أهله لذلك مركز أبائه فى المنطقة، ودوره الاصلاحى بين القبائل، ثم تفاهمه مع إيطاليا لتدعيمه بكل احتياجاته للتصدى لجنود الدولة العثمانية فى تهامة عسير، وسراة عسير، كى يشغلها عن حشد هؤلاء الجنود وبعثهم إلى طرابلس الغرب لمحاربة إيطاليا، التى كانت تنوى احتلالها. وانتزاعها من الدولة العثمانية، وبدأت تعد لذلك فى أكثر من ميدان، وتفاهمت مع الادريسى على دعمه لتكوين إمارة، بغرض التصدى للعثمانيين فى المنطقة، وكان الادريسى لايعرف بالضبط نوايا إيطاليا تجاه الدولة العثمانية، ولامتى أو أين تحاربها؟ .. لكن

الخلافات السياسية كانت تزداد توتراً بينهما، وشيئاً فشيئاً أظهرت إيطاليا نواياها للاستيلاء على طرابلس .. ونظراً لتداعيات الوضع بين الادريسى، وبين متصرف عسير، ومحاولة الدولة العثمانية القضاء عليه قبل أن يستفحل أمره، قام بثورته وحاصر مقر المتصرف العثمانى فى عسير "أبها" فى شهر ذى القعدة ١٣٢٨هـ (ديسمبر ١٩١٠م) بينما لم تعلن إيطاليا الحرب ضد الدولة العثمانية إلا فى ٦ شوال ١٣٢٩هـ (٢٩ديسمبر ١٩١١م)[1] فإذا عرفنا أن حصار "أبها" قد دام أكثر من سبعة أشهر، فمعنى هذا أن هدف إيطاليا قد تحقق من شغل الدولة العثمانية عن إرسال قوات أكثر إلى طرابلس الغرب قبل بداية الحرب .. ونعرف أيضاً أن الأسطول الإيطالى تحرك فى البحر الأحمر، وساعد الإدريسى فى الاستيلاء على بعض البلدان والموانئ عقب إعلان الحرب مباشرة، ومنع أية امدادات تأتى عن طريق البحر إلى القوات العثمانية الموجودة فى المنطقة، مما دفع الإدارة العثمانية إلى الشعور بموقفها الضعيف، فحاولت التفاوض مع كل من الإمام، والادريسى.

---

[1] وتوقفت الحرب بينهما. بمعاهدة صلح (لوزان) التى وقعت فى ٨ذو القعدة ١٣٣٠هـ (١٨اكتوبر ١٩١٢م) وقبلت فيها تركيا الاعتراف بالامارة الادريسية بناء على إلحاح إيطاليا. والعفو العام عن الادريسى واتباعه على أساس أنه كان يحارب الدولة فى صف إيطاليا.

أما ثورة الامام يحيى فقد بدأت عقب تولى محمد على باشا[1] ولاية اليمن فى ١٢/٥/١٣٢٨هـ (٢١/٥/١٩١٠م) وأساء معاملة الناس، يقول الواسعي[2]: فى عهد ولاية حسن تحسين باشا (تولى عام ١٣٢٦هـ) صلحت اليمن، وسكنت الفتن، فقد كان رجلاً عاقلاً، و لم يتعرض للإمام وشيعته وأعوانه بأية أذية، وحصل بينه وبين الإمام صلح ودى،بحيث لايتعدى أحد على الآخر، كل واحد فى جهته[3] واستمر هذا الوضع هادئاً إلى عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) حين عزل حسن تحسين باشا، وتعين بدلاً منه محمد على باشا، الذى كان فظاً غليظاً متكبراً متجبراً ـ كما يقول الواسعي ـ وعامل الناس بالعنف والشدة والظلم، فقد كان فكره: أنه لايصلح اليمن إلا بالشدة والقسوة؟! فلا زال هكذا حتى ضاقت صدور الناس، فقام الامام بتأليب القبائل عليه، حتى حاصروه فى صنعاء.. ووقعت بينهما حروب، استمرت إلى أن قدم بدلاً منه عزت باشا والياً على اليمن فى ربيع ١٣٢٩هـ (١٩١١م) فهدّأ من روع الناس، وفتح بابه لسماع شكاياتهم، وعمل على رفع المظالم. وتفاوض مع الامام على عقد صلح .. وهو صلح دعان.

---

[1] هو غير محمد على باشا والى مصر المتوفى عام ١٢٦٦هـ (١٨٤٩م) الذى حارب الدولة السعودية الأولى بأمر من الباب العالى فى استانبول، فقد كانت مصر فى ذاك الوقت إحدى ولايات الدولة العثمانية.

[2] تاريخ اليمن، ص٣١٠-٣٢٢.

[3] معروف أن الوالى كان يقيم فى صنعاء، والامام مقره: قفلة عذر، وأحيانا: السودة وكانت مناطق تجمع الزيدية تترك لإدارة الامام. والمناطق السنية وغيرها تخضع للادارة العثمانية.

وواضح من هذا أن الظروف المتمثلة فى سوء معاملة الوالى، وظلمه للناس كانت السبب المباشر، للانتفاضة التى يتحدث عنها المؤلف، ويحاول الربط بينها وبين ماحدث فى تهامة عسير بقيادة الادريسى، ليخرج من ذلك إلى نتيجة ترضى غرضه فقط، بصرف النظر عن إظهار الحقائق التاريخية بشكل موضوعى ومنطقى.

**ويقول المؤلف[1]: ومن مركز القوة أرادت بريطانيا التفاوض مع الإمام يحيى بغية الوصول معه إلى اتفاق حول وضع الإمارة الإدريسية، وكانت الحديدة هى أهم مشروع لوحت له به، وأغرته بقبوله، مقابل التنازل عن مطالبه على بقية أراضى الامارة، وكان تسليم الحديدة إلى الادريسى بمثابة وسيلة ضغط عليه، ذلك أن انجلترا لم تتخل عن حقوقها الاستعمارية فى الحديدة، واستلام الادريسى للحديدة "مؤقت" إلى أن يتقرر مصيرها الأخير، وليست بريطانيا مرتبطة بأى شئ يحد من حريتها فى هذا الصدد، سوى مادة واحدة فى المعاهدة مع الإدريسى، تقره على أرض أخذها من الأتراك فى أثناء الحرب .. وفى ٨ يوليو ١٩٢٢م (١٤القعدة ١٣٤٠هـ) أعلن المعتمد البريطانى فى عدن: استعداده لترك الحديدة، وكل الشريط الساحلى لتهامة الذى كان فى يد الاتراك قبل استسلامهم، إلى الامام، على أساس أن يعترف هذا (أى الامام) بحكم محمد على الادريسى على عسير.**

---

[1] ص٩١، ٩٢.

وقد أشار المؤلف فى الهامش إلى المرجع الذى استند فيه إلى هذا الكلام، وهو كتاب "جزيرة العرب فى القرن العشرين" لحافظ وهبه، ص٣٧٠-٣٧٢، وقد رجعت إلى الكتاب المذكور فى الصفحات المحددة، فلم أجد فيها شيئاً يتعلق بموضوع الحديدة، وإنما عن مشروع تقسيم البلاد العربية فى العراق والشام، ووضعها تحت الانتداب، بناء على معاهدة سايكس/بيكو .. ولأيّ قارئ حاد البصر، أن يرجع إلى الكتاب المذكور ليفتش فيه عن موضوع الحديدة، فربما ضعف البصر لديّ حال بينى وبين اكتشافها .. مثلما اكتشفها المؤلف، وعرضها بهذا الأسلوب الجيد فى التلفيق.

ومرجع آخر أشار إليه أيضاً فى الهامش هو كتاب "ملوك العرب" لأمين الريحانى، ص٢٠٧-٢٠٨، وحتى نكون منصفين فى حق المؤلف سننقل ماقاله الريحانى فى هذا الشأن، ونترك القارئ يحكم على مدى مصداقية المؤلف، وأمانته العلمية فيما ينقل من نصوص.

ففى معرض الحديث عن تغير الانجليز فى معاملتهم للإمام يحيي، عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، يقول الريحانى[1]: .. وكانت النتيجة أن الإمام بادرهم إلى المعاملة بالمثل، بل سبقهم إلى ذلك، فلجأ ـ بعد أن نفد درع السياسة ـ إلى السيف، إذ أصدر أمره إلى جيش الجنوب بالزحف على النواحى التسع المحمية .. وكأن الامام فى هذه السياسة، أو الخطة

[1] انظر الكتاب المشار إليه أعلاه، ص٢٠٤،٢٠٥.

الحربية يقتدى بالإنجليز، فقد ضربهم فى ناحية هى قريبة منه، ليخرجهم من بلاد لايصل إليها سيفه، ضربهم فى نواحيهم المحمية، ليخرجهم من الحديدة، أو يضطرهم أن يسلموها إليه .. فزحفت الجنود واحتلت أربع من تلك النواحى .. ثم استؤنفت بعدئذ المفاوضات، وتبادل الهدايا بينهما.

كما يقول الريحانى، بعد نقده لأسلوب الانجليز فى تعاملهم مع العرب بصفة عامة[1]: أما الخلاف بين الفريقين فمحوره "الحديدة" ولكن مطالب الامام يحيى تجاوزتها إلى حدود رُفضت فى دار الاعتماد (أى عدن) إن موقفه تجاه النواحى التسع (المحميات) إذا كان مجرداً عن الغرض السياسى الخاص، لموقف وطنى شريف، ولكنى أظن أن السياسة تتغلب فيه على القومية العربية، فقد قَبِل الإمام أن يخرج جنوده وعماله من الضالع والشعيب .. وغيرها على شرط أن تكون إدارتها بيد أمرائها، وليس لحكومة بريطانيا ولالحضرة الامام حق التدخل فى شئونها، وعلى شرط آخر ـــ وهو أن يخلى الانجليز والإدريسى الحديدة، واللحية، والصليف، وأن تسلم هذه الأساكل (الموانئ) البحرية، وكل ماكان بيد الترك فى أثناء الحرب (أى لاقبلها) إلى الإمام تسليماً مطلقاً لاقيد فيه ولا شرط.

ويتبين من هذا النص الذى أورده الريحانى مايأتى:

---

[1] ص٢٠٧،٢٠٨.

- أن "الحديدة" لم تكن بيد الإنجليز، مثار مفاوضة مع الامام لاعترافه ـ كم يزعم المؤلف ـ بإمارة الإدريسى التى كانت تمتد من اللحية ـ فى ذاك الوقت قبل تسليم الحديدة إليه ـ ثم امتدادها إلى باجل، وبلاد الزرانيق، وأرض بنى قيس، وبنى حجور، واتجاها فى شمال غرب إلى أرض رازح قرب صعده. كما يقول المؤلف نفسه فى ص٩٠، هذا بالاضافة إلى تهامة عسير التى لاتعد مطلقاً من أرض الإمام الجبلية، التى انحصر على بعضها فقط نفوذه إبان الحكم العثمانى، أى قبل معاهدة دعان، وتأكد ذلك بعدها.

- ظلت الحديدة بيد الإنجليز للضغط على الإمام بشأن موضوع المحميات، فلما لم تتفق معه، سلمتها لخصمه فى ٢٠ربيع الثانى ١٣٣٩هـ (٢٩يناير ١٩٢١م)[1] فاستغلها الإدريسى كمركز له فى المنطقة، ونشط فى توسيع نفوذه فى تهامة اليمن، وبعض المناطق الجبلية التى كان الاتراك يهيمنون عليها.

- أن مطالب الإمام خلال مفاوضاته مع الانجليز ـ ذاك الوقت ـ كانت محددة بما ذكره الريحانى ـ مرجع المؤلف ـ فى أن يخلى الانجليز والإدريسى كلاً من "الحديدة" و"اللحية" و"الصليف"

---

[1] انظر كتاب "العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركى ١٩١٤-١٩١٩م" تأليف جون بولدرى، ترجمة وتقديم د. سيد مصطفى سالم، ص١٣٤.

و"السياكل" أى الموانئ التابعة لتلك البلدان .. ويسلموها للإمام دون قيد أو شرط .. ويعلق الريحانى فى هامش (صفحة٢٠٩) بقوله: مما يثبت هذا القول، ويؤكده أن الحكومة البريطانية لم تتعرض للإمام عندما احتلت جنوده فى (نيسان) أبريل ١٩٢٥م، الحديدة، والأساكل الأخرى التى كان يطالب بها فى اللحية والصليف.

- قام الانجليز ـ قبل تسليم الحديدة للإدريسى ـ باجراء استفتاء لأهالى الحديدة لمعرفة رغبتهم فى اختيار الحاكم الذى يحكمهم، فطلب بعضهم عودة الأتراك، فقال لهم الانجليز: هذا مستحيل وطلبوا طلبات أخرى رفضها الانجليز .. فقالوا: نريدها إمارة مستقلة عن الإمام فى صنعاء، وعن الادريسى فى صبيا، وينضم إلينا بعض النواحى والقبائل المجاورة، فلم يعمل الانجليز على تحقيق رغبتهم، لأنهم لايودون تعدد وتزايد الإمارات الصغيرة المستقلة فى المنطقة[1] لذا سلموها للإدريسى حليفهم نكاية فى الإمام.

---

[1] انظر "تكوين اليمن الحديث" للدكتور سيد مصطفى سالم، ص٢٦٠، ٢٦١، وتقرير المقيم البريطانى بعدن للمندوب السامى بالهند، فى ١١سبتمر ١٩٢٠م، برقم **F.O.118**. بالارشيف البريطانى، وانظر ايضاً"المقتطف من تاريخ اليمن" للجرافى، ص٢٩٨، و"تاريخ اليمن" للواسعى،ص٣٣٢.

- ثم إن الإمام كان يطالب بتسليمه البلدان الثلاث المذكورة سابقاً، وموانئها، وكما يقول الريحاني: .. وكل ماكان بيد الترك، أثناء الحرب .. وكلام الريحاني يفيد بأن الإمام يقصد المناطق التى كان قد احتلها القائد التركى على سعيد باشا أثناء الحرب فى المحميات، وهى لحج وغيرها.. لأن موضوع النزاع بينهما كان على المحميات .. أما الإدريسى، فقد انتزع كثيراً من البلدان من العثمانيين، وامتد نفوذه فى بعض البلدان فى تهامة اليمن، والجبال اليمنية، قبل بداية الحرب .. ثم إن الانجليز لايملكون أن ينزعوها منه ليسلموها للإمام، لأنه لم ينتزعها من الامام أو من الانجليز وإنما من الأتراك، لذا يتبين أن الامام يقصد من قوله هذا "المحميات" التى هى تحت يد الانجليز .. وهى التى كانت تدور حولها المفاوضات قبل تسليم الحديدة للإدريسى.

- أن استشهاد الريحانى بما قاله المعتمد البريطانى فى عدن لايؤيد ماذهب إليه المؤلف، وإنما يؤكد ماقلناه، من أن التفاوض مع الإمام كان حول المحميات، وأن الانجليز فى سبيل إرضائهم للإمام مستعدون لترك الحديدة له، وكل الشريط الساحلى لتهامة اليمن، الذى كان فى يد الأتراك قبل استسلامهم (وهى اللحية والصليف) بشرط أن يعترف بحكم الإدريسى على المناطق الأخرى التى بحوزته من أرض اليمن، خلاف اللحية والصليف.. ومعروف أن نفوذه كان قد امتد إلى بلدان ومناطق أخرى غير

الساحل فى أرض اليمن نفسها، قبل استسلام الأتراك كما أشرنا سابقاً.

ويلاحظ على المؤلف عدم الدقة فى فحص ورصد المعلومات التاريخية، وأنه يخلط بين الحوادث وتسلسل وقوعها الزمنى، بما يمكن أن يطلق عليه تداخل فى مجريات الحوادث.

فبينما يتحدث عن آل عايض، ووضعهم فى عسير السراة عقب رحيل العثمانيين عنها عام ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) بمقتضى شروط الهدنة فى الحرب العالمية الأولى، والخلاف بين آل عايض والإدريسى حول ملء الفراغ الذى تركه الأتراك فى عسير السراة، وخشية الإدريسى من خصومه فى الجنوب والشمال (الإمام والشريف)، إذ به يوجه نداء إلى عبد العزيز آل سعود، سلطان نجد وملحقاتها، يطلب صداقته، واستجابة سلطان نجد لرغبة الادريسى، وارساله بعثة إليه، فى جيزان عاصمة إمارته[١] ثم يقول بالنص[٢]: ".. كان على رأسها نجله فيصل بن عبد العزيز، وخلال المفاوضات تمكن الوفد السعودى من تحقيق شروطه وأحلامه، ففى الحجة عام ١٣٣٨هـ (٢١أغسطس ١٩٢٠م) عقد فى صبيا ماأسمى بمعاهدة الصداقة بين الجانبين، موقع عليها من قبل محمد بن

---

(١) ص١٠١،١٠٢.

(٢) ص١٠٣.

على الادريسى، من ناحية، وعبد الله محمد الراشد، وناصر بن حمد الجار الله، وفيصل بن عبد العزيز، من ناحية أخرى.

وبعد أن يتحدث عن مضمون الاتفاقية، وتوزيع القبائل والأراضى بين الطرفين، يقول[1]: ".. بعد عقد الاتفاقية أرسل ابن سعود وفداً إلى ابن عايض طلب منه التوجه والعمل حسب نصائح ابن سعود، وأن يمتثل لأمره، وقد ردّ ابن عايض بالرفض .. بعد ذلك أعد ابن سعود فى مايو ١٩٢١م، قوة تحت رئاسة ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوى إلى ابن عايض .. ووقعت حروب بينهما.

فيلاحظ عليه الآتى:

- أنه أورد أن مدينة "جيزان" هى العاصمة للإمارة الإدريسية فى عهد محمد بن على الإدريسى المؤسس للإمارة، بينما الصواب أن العاصمة كانت مدينة "صبيا" طوال عهده، فلما توفى نقل ابنه محمد العاصمة إلى "جيزان" ثم مالبث أن عادت إلى "صبيا" فى عهد عمه الحسن الادريسى.. ولو كان المؤلف لديه الحس الواعى لما فاته ذلك، خاصة وأنه بعد حوالى عشرة أسطر ذكر أن صبيا كانت محلاً لتوقيع معاهدة الصداقة المشار إليها.

---

[1] ص١٠٥.

- ذكر أن نجل الملك عبد العزيز، وهو الأمير (الملك) فيصل بن عبد العزيز كان على رأس الوفد إلى الادريسي للتفاوض حول المعاهدة، وأنه من بين الذين وقعوا عليها .. والصواب أن الأمير (الملك) فيصل لم تطأ قدماه أرض تهامة عسير، أو عسير السراة، قبل قيادته للحملة التى قادها إلى عسير عام ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م)[١].

وإنما كان وفد المفاوضات يتكون من ثلاثة من رحالات وعلماء نجد، الذين رافقوا الحملة التى قادها ابن مساعد إلى عسير، وخرجت من الرياض فى شعبان ١٣٣٨هـ (مايو ١٩٢٠م)، وهم: الشيخ عبد الله بن محمد بن راشد بن جلعود[٢] والشيخ ناصر بن حمد الجار الله أما الثالث فهو الذى اشتبه اسمه على المؤلف وأوقعه فى لبس وخطأ فاضح، حيث جعله أحد أبناء الملك عبد العزيز، ورئيساً للوفد، لمجرد التشابه فى الاسم، وكان أولى به أن يتحرى الدقة فى ذلك، فهو الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك، الوائلى، العنزى، من بلد "حريملا" إحدى بلدان المحمل بالقرب من الرياض، وقد ترجم له ابن بسام، وقال: بعثه الملك عبد العزيز واعظاً

---

[١] انظر تاريخ نجد وملحقاته لأمين الريحانى، ص٣٠٢،٣٠٣ الذى يقول إنه كان موجوداً بالرياض يوم عودة الأمير فيصل من حملته تلك على عسير.

[٢] ترجم له ابن بسام فى علماء نجد، ج٢، ص٥٤١، وأشار إلى مشاركته فى حملة ابن مساعد، ونشر الشيخ محمد ابن أحمد العقيلى خطاباً بعثه هو وابن مساعد إلى السيد/ مصطفى النعمى، أحد قواد الادريسى، انظر تاريخ المخلاف السليمانى ج٢،ص٧٥٤.

ومرشداً إلى بلدان الحجاز وتهامة، وشارك فى كثير من المواقع والحروب[1] كما أورد أمين سعيد اسمه كاملاً "فيصل بن عبد العزيز المبارك"[2].

ومعروف أن المعاهدة المذكورة وقعت مع الادريسى بعد استقرار الأوضاع فى عسير السراة، نتيجة لحملة ابن مساعد، وأخذت تاريخ ١٠صفر ١٣٣٩هـ (الموافق ١٩٢٠/١٠/٢٣م) وأشير إليها بنفس هذا التاريخ فى نص المعاهدة الثانية، التى وقعت فيما بعد مع الحسن الادريسى بتاريخ ٢٤ربيع الآخر ١٣٤٥هـ (الموافق ١٩٢٦/١٠/٣١م) التى عرفت بمعاهدة مكة المكرمة .. وعلى ضوء ذلك فإن المؤلف كما خلط وأخطأ فى اسماء الاشخاص، أخطأ أيضاً فى تاريخ توقيع المعاهدة الأولى، وقال إنها كانت فى الحجة عام ١٣٣٨هـ (٢١ أغسطس ١٩٢٠م) كما أخطأ أيضاً فى تاريخ حملة ابن مساعد حين قال إنها كانت فى (مايو ١٩٢١م) بينما هى فى (مايو ١٩٢٠م).

وأما التداخل من حيث تسلسل الأحداث زمنياً، فهو أنه جعل توقيع المعاهدة سابق على حملة ابن مساعد، بينما الصواب أنه عقبها، وأن العلماء الثلاثة كانوا مصاحبين للحملة، واستمروا فى المنطقة للقضاء والوعظ والارشاد .. ثم أمدهم الملك عبد العزيز بتوجيهاته للتفاوض مع

---

[1] تراجم علماء نجد، ج٣، ص٧٥٤،٧٥٥.

[2] تاريخ الدولة السعودية، ص٩٨.

الادريسى، ومـن ثـم التوقيـع علـى المعـاهدة معـه، بعـد رجوعهـم إلى الملـك عبـد العزيز فى نصوصهـا كاملـة قبـل التوقيـع.

كمـا أنـه خلـط بـين وفـد العلمـاء الثلاثـة هـؤلاء، وبـين وفـد العلمـاء الذيـن ذهبـوا إلى ابـن عـائض قبـل حملـة ابـن مسـاعد، وجعـل الثلاثـة سـابقين زمنياً لؤلئـك[1] بينمـا الصحيـح هـو العكـس.

ويطلـق المؤلـف[2] علـى الملـك عبـد العزيـز، لقـب "سـلطان الوهـابيين" وعلـى رعيتـه "الوهـابيين" هـذا يذكرنـا بحملـة التشـوية السياسـية والدينيـة التـى دعـت إليهـا وقادتهـا الدولـة العثمانيـة ضـد الدولـة السـعودية الأولى، بغـرض إثارة المسـلمين ضـد الدولـة الناشـئة، مخافـة اتسـاع نفوذهـا علـى حسـاب الدولـة العثمانيـة فـى البـلاد العربيـة .. ثـم مـالبث المسـلمون أن عرفـوا حقيقـة الدعـوة التـى آزرتهـا الدولـة السـعودية، مـن أنهـا تدعـو إلى العـودة إلى ماكـان عليـه السـلف الصـالح، فـى معتقدهـم الخـالص مـن البـدع والخرافـات، التـى سـادت معظـم أجـواء العـالم الإسـلامى فـى مراحـل التـاريخ .. وأن روّادهـا وأنصارهـا مـن أهـل السـنة، وأشـدهم حرصـاً عليهـا، فتجـاوبت معهـا قلـوب الغالبيـة الغالبـة مـن أهـل السـنة، وهـم القـاعدة العريضـة لجماهـير المسـلمين فـى شـتى المعمـورة، وأصبـح لهـا أنصـار فـى كثـير مـن البلـدان العربيـة والإسـلامية، وكـان مـن أوائـل مـن تـأثر بذلـك هـى المنـاطق المحيطـة بنجـد، ثـم امتـدت إلى تهامـة

---

(1) ص١٠٥.

(2) ص١٠٦، وما بعدها.

عسير، وعسير السراة .. وبذلك سقطت الدعاية المبثوثة ضد الدولة السعودية الأولى من استخدام لفظ "الوهابية" بغرض التشويه، وأصبحت صفة لتميز طائفة من أهل السنة تتمسك بتعاليم دينها وتطبق الشريعة الاسلامية، وعلى هذا الأساس استخدمه كثير من المؤرخين المعاصرين لها فى العالم العربى والاسلامى، كالجبرتى المؤرخ المشهور فى زمنه، والذى يعد من أنصارها، وابن باديس فى المغرب العربى .. وفى أوائل هذا القرن محمد رشيد رضا، صاحب مجلة "المنار" وغيرهم كثيرون .. ممن استخدموا هذا اللفظ فى محل الثناء، لاالتشويه، كما كان القصد منه حين أُطلق.

وبالنظر لتقارب وسائل المواصلات بمختلف أنواعها، ومعايشة الشعوب، واحتكاك بعضها ببعض عرف العالم الاسلامى ـ بل كل مَعْنِى بشئون الاسلام ـ الدور الفعال الذى تبذله السعودية لخدمة الإسلام والمسلمين .. وتأكد لديهم أن هذا اللفظ أطلق فى وقت من الأوقات بغرض التشويه لاغير .. لأن المنجزات الباهرة فى مجال واحد فقط ـ وهو خدمة الحرمين الشريفين مثلاً ـ هو كفيل بالرد على ذوى النويا المغرضة.. وكشف خوافى الدعايات المضللة .. وفى أبلغ ردّ ملموس على أرض الواقع المشاهد، بأعين الملايين الذين يفدون إليه كل عام .. والعين أقوى مدارك الاحساس تأثيراً على النفس محجة واقتناعاً.

لذا فإن استخدام المؤلف لهذا اللفظ لغرض فى نفسه، قد فقد مؤثراته التى كانت مقصودة منه حين أُطلق، لكنه فى الوقت نفسه يعطى

دلالـه علـى مـدى مايحملـه المؤلـف مـن ضغـائن، وبالتـالى عـدم نزاهتـه ومصداقيته فيما يثيره من مسائل علميـة، يجنح فيهـا بنحـو مـا عـن حقيقتهـا.

**ويصف المؤلف[1] الحسن بن عـايض، بأنـه أمير يمنى!..**

ولا أدرى مـاذا يقصـد؟! فـإن كـان القصـد نسـبته إلى اليمنيـة القحطانيـة، فـآل عـايض ينسـبون أنفسـهم إلى معاويـة بـن أبـى سـفيان، ومعـروف أن الأمويين قرشيون مـن عدنـان، وإن كـان القصـد أنـه أمـير علـى أرض يمنيـة ـ وغـالب الظـن أن هـذا مقصـده ـ فقـد أوضحنـا مـن قبـل وضعيـة المنطقـة إقليميـاً، وتاريخيـاً، علـى الوجـه الـذى يفنـد هـذه المقولـة مـن الأسـاس، ومايتلوها مـن ترديـد.

كمـا أورد حادثـة تنومـة[2] مسـتغلها أسـوأ اسـتغلال، وقـد سـبق أن شـرحنا الظـروف والملابسـات التـى أحـاطت بهـا، بمـا يغنـى عـن إعادتـه هنـا[3] محـاولاً فـى هـامش الصفحـة، تحديـد تـاريخ وقوعهـا، فـأوقع نفسـه فـى خطـأ، حين قـال[4].

---

[1] ص١٠٨.

[2] ص١١٢.

[3] انظر ص٤٤-٤٩ من هذه الدراسة.

[4] ص١٠٨.

**إن الحادث يجب أن يكون قد جرى فى العشرة الأيام الأولى لشهر محرم عام ١٩٢٢م (هكذا!) .. لأن الحجاج ينبغى أن يكونوا بمكة المكرمة قبل عشرة محرم.**

فهو قد نسب شهر محرم الهجرى إلى السنة الميلادية .. وخلط بين شهر ذى الحجة، الذى ينبغى أن يكون الحجاج فى أوائله بمكة المكرمة، للوقوف بعرفة يوم التاسع منه، وبين شهر محرم الذى يعود فيه ـ وقبله ـ الحجاج إلى بلادهم عقب انتهاء حجهم .. ومعروف أن الحادثة وقعت عند قدوم الحجاج، وليس عند عودتهم، وهو لاينكر هذا .. لكن يبدو أن شطحات الفكر المستنير قد محت من الذهن ماينبغى أن يكون معلوماً من الدين بالضرورة، بحق كل مسلم!! .. فضاع من الذهن مواقيت ومناسك الحج.

**يقول[1]: كان الادريسى بالذات هو الرجل الأول فى اليمن (هكذا!.) الذى كانت انجلترا تستخدمه فى الصراع ضد الامام يحيى، ومن أجل ذلك كانت تزوده بالسلاح والذخيرة، وفوق ذلك التزمت منذ الحرب العالمية الأولى، ووفق معاهدة (١٩١٥م) بأن تحمى إمارته من أى هجوم بحرى.**

---

[1] ص١١٥.

الادريسى لم يكن معدوداً من رحالات اليمن، ولامن حكامها، وإنما كان حاكماً على أرض مجاورة لأرض اليمن، وتتمايز كل منهما بالعديد من الخواص، إقليمياً، وتاريخياً .. ثم إن انجلترا لم تستخدم الادريسى ضد الامام ربما إلا فى موقف واحد، وهو تسليم مدينة الحديدة إليه عام ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) نكاية فى الامام بعد فشل المفاوضات معه بشأن المحميات .. وكانت انجلترا تعرف تماماً مدى العداوة بينهما، ولذا فقد أكدت فى نص المعاهدة التى أبرمتها مع الادريسى (ابريل ١٩١٥م) بأن المقصود منها هو إعلان الحرب على الأتراك، وتعهد الادريسى بقتالهم، والعمل على طردهم من مواقعهم، وله أن يوسع أراضيه على حسابهم (هكذا!)، وأن يمتنع عن كل حركة عدائية ضد الامام يحيى، مادام لايضع يده بيد الترك[1].

فالمعاهدة عقدت خلال الحرب العالمية الأولى، بغرض حث الادريسى على الوقوف بجانب انجلترا فى حربها للعثمانيين، وتحفيزه للعمل على توسيع حدود إمارته على حساب الأتراك، وضمان حماية شواطئ إمارته من أى هجوم بحرى من قبل السفن الحربية العثمانية، أو حلفائها، وفى نفس الوقت عدم الدخول فى أية منازعة مع الامام يحيى، طالما بقى هذا بعيداً عن الانضمام إلى جانب الاتراك .. لكن المؤلف يحور مدلول

---

[1] انظر نص المعاهدة فى كتاب "جزيرة العرب فى القرن العشرين" لحافظ وهبة، ص٣٣٦، "وتاريخ المخلاف السليمانى" للعقيلى، ج٢، ص٧٣٣.

الأحـداث كـى يستنتج مـايخدم هـواه، ونلمس هــذا أيضــاً فيمــا أورده عقــب ذلك بقولــه[1]:

**من ذلـك نستنتج أن الادريســى الــذى كــانت إمارتــه تحـت حمايـة بريطانيـا العظمـى لم يكـن يملـك بـأى حـال مـن الأحـوال، الحـق فــى التخلـى عـن عسـير السـراة، أى عـن جـزء مــن اليمــن لصـالح ابـن سـعود. فتلـك خيانة وطنيــة.**

فاســتنتاجاته خاطئــة، لأن المعــاهدة كــانت معــاهدة صداقــة، وليســت حماية، وقـد نـص على ذلـك فـى المـادة الأولى منهـا، كمـا أن المـادة (٥) نصـت على استقلاله فـى أراضيـه الخاصـه بـه، ثـم إن عسـير السـراة لم تكـن ضمـن إمـارة الادريسى حتـى يتخلى عنهـا، وإنمـا كـانت تحـت حكـم آل عـايض منـذ رحيـل العثمـانيين عنهـا .. وكـلا تهامـة عسـير وعسـير السـراة ليسـتا مـن الأراضى اليمنيـة، لكـن المؤلـف مايفتـأ تكـرار ذلـك، ويتمحّـل سـوق العبـارات بغـرض تكـرار ذلـك وتسـجيله .. حتـى يعايشـه القـارئ .. ولايبقـى بذهنـه سـواه .. فيتخيـل القـارئ أنـه الحـق .. بـل ولاحـق سـواه .. تمامـاً كأسـلوب من يقوم بغسيل المخ!.

ويبـدو الحمـاس الانفعـالى فـى أسـلوب المؤلـف، بغـرض التوليـف بـين الوقـائع والأخبـار لينتقـل منهـا إلى إصـدار أحكـام تتوافـق مـع غرضـه، وبهـذا

---

[1] ص١١٦.

فهو يبتعد عن الموضوعية فى منهج الدراسة، وعن المصداقية فى الحكم والنتيجة .. ونلحظ ذلك بشكل واضح بعد أن يستعرض النزاع الذى نشب داخل البيت الإدريسى بعد وفاة مؤسس الامارة محمد بن على الادريسى عام ١٣١٤هـ (١٩٢٣م) وتولية ابنه على بن محمد والخلاف بينه وبين أعمامه الذى كان من نتيجته ضعف الامارة، وأفول نجمها .. ثم يقول[1]:

**كان الامام يحيى يتابع سير الأحداث فى تهامة (أى فى الإمارة الإدريسية) باهتمام كبير، وأعد للأمر عدته، وقد ترك فى أول الأمر الادارسة يسحقون بعضهم بعضاً، وانتظر فى صبر الفرصة الملائمة للانقضاض عليهم (هكذا!!) وكان يرى الأحداث فى الامارة الادريسية تتطور لصالحه، وتركها تنضج .. حتى غدت من الضعف والتفكك، بحيث أنها لم تكن تحتاج إلا إلى ضربة واحدة لتنهار تماماً، ثم وجه ضربته بالفعل .. وهكذا فإن خط الحدود غير الطبيعى، والذى ظل ممتداً لوقت طويل فى محاذاة الهضبة، من عبال قرب باجل فى الجنوب، إلى عسير تهامة قد تم إختراقه فى نهاية عام ١٩٢٤م.**

فهو هنا يكشف عن النوايا التى كانت مستورة، من جهة الامام، وأنه تريث حتى يسحق الادارسة بعضهم بعضا ثم ينقضّ عليهم، بعد أن تكون قد خارت قواهم، فلا يقدرون على التصدى له .. وهو ماتم

---

[1] ص١٣٢.

بالفعل، فاستولى منهم على المناطق الساحلية بتهامة اليمن، من باجل جنوباً حتى ميدى شمالاً، وهى تمثل نصف الامارة الإدريسية تقريباً .. ثم يقول[1].

**إلا أن بريطانيا حالت بين الجيش المتوكلى وتصفية بقية الإمارة الإدريسية فى تهامة عسير، وهى من ميدى جنوباً حتى البرك شمالاً.**

والصواب أن الذى حال بين الجيش المتوكلى، وتصفية بقية الإمارة الإدريسية . هو عدة أمور مجتمعة، منها:

- تصدى قبائل تهامة عسير للقوات المهاجمة من الجيش المتوكلى، مما جعل مهمتها صعبة فى احتلال البلدان أو المناطق والاستمرار فيها[2].

- سرعة تصرف الحسن الادريسى، وتملكه زمام الموقف وحسم الخلاف فى البيت الادريسى لصالحه .. ثم التفاف كبار القوم، ومعظم القبائل حوله .. مماجعل قيادة القوات المتوكلية تحسب حساباتها بدقة للتقدم شمالاً فى تهامة عسير، خاصة وأنها تختلف عن تهامة اليمن فى كثير من الأمور.

---

[1] ص١٣٦.

[2] تاريخ المخلاف، للعقيلى ج٢، ص٨٩٠-٨٩٨.

- سرعة الدخول فى حماية الملك عبد العزيز، وتوقيع معاهدة مكة المكرمة (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) بغرض حماية البقية الباقية من الإمارة الادريسية من المطامع التوسعية، ومن التهديد بابتلاعها حقاً .. فهنا من حقنا أن نسأل المؤلف ومن هم على شاكلته بعد استيلاء القوات المتوكلية على الجزء الجنوبى من الإمارة الإدريسية، من باجل حتى ميدى، فمن الذى يمكن أن يطلق عليه حقاً ذو مطامع توسعية، أو بمفهوم زميله الآخر صاحب الابتلاعات: مَنْ هنا ابتلع مَنْ؟! .. ومن غير المقبول أن يبرر ذلك الاستيلاء بالقول: إنها أرض يمنية قام أصحاب الشأن باستردادها .. لأنه يمكن أن يجاب على ذلك بأن الإدريسى انتزعها من الاتراك، أصحاب السلطة فى وقتهم، و لم ينتزعها من الامام صاحب النفوذ المحدود ذاك الوقت .. ومن ثم كان اعتراف ايطاليا وبريطانيا به وبامارته، وعقدهما معاهدات معه .. ثم إن سكان تهامة اليمن غالبيتهم شافعية، وهم يميلون لأن يكون حاكمهم من أهل السنة .. وبذلك خرج الموضوع عن إقليمية الأرض وطبيعتها الجغرافية إلى عامل مؤثر فى عاطفة السكان، وهو التوجه الدينى فى إطار مذهب معين .. تماماً كتوجه السكان الزيديين نحو مذهبهم. وارتباطهم بقيادتهم فيه دون أن يكون هناك تأثير فعال لإقليمية الأرض، إلا بالقدر الذى يوفر لهم العيش عليها، والحماية من الخصوم.

كانت هناك مناطق فى اليمن تحت النفوذ الأجنبى حقاً، وهى عدن والمحميات، وكان أحرى أن تقوم القوات المتوكلية ـــ أو ماأطلق عليه المؤلف: جيش التحرير والتوحيد، إلى غير ذلك من مسميات ـــ بتوجيه جهودها لتحرير تلك المناطق.

ولا يمكن أن يتساوى ماقام به الملك عبد العزيز بما قام به الإمام نحو الإمارة الادريسية .. فالجزء الجنوبى من الامارة الادريسية الذى انقضّ عليه الامام (من باحل إلى ميدى) أخذه عنوة واغتصاباً من صاحب الحق المشروع وهو الادريسى وقهر السكان، أما ماقام به الملك عبد العزيز فقد أقدم عليه بصفة مشروعة ومقننة ومعترف بها دولياً، وهى عقد معاهدة للحماية، والضم عندما يرى أنه أسلم الوسائل للاستقرار. ولمصلحة المواطنين، ولايقلل من استمرارية تلك المشروعية، ماقام به الأدارسة بعد ذلك من فتن واضطرابات، لأنهم أقدموا على ذلك بدوافع وإغراءات خارجية، تتناقض مع المصلحة العامة للسكان وللمنطقة، وفى حدود نظرة ذاتية ضيقة الأفق، لاتبررها أية غاية مهما كانت، لاسيما وأنهم الذين سعوا فى البداية، ومدوا أيديهم طالبين الحماية، عندما أحسوا بقرب ضياع الإمارة بكاملها، بعد أن ضاع الجزء الأكبر على يد القوات المتوكلية .. أفئن أُرْخِىَ ستار الأمن على المنطقة وسكانها، يريدون أن ينكصوا العهد، وينقضوا الميثاق؟! فليس من حقهم ذلك؟!. ولا تحت أى مبررٍ كان.

كما أنه ليس من حق المؤلف أن يطلق على ماقام به الإمام "تحريراً وتوحيداً" وماقام به الملك عبد العزيز احتلالاً ذلك أن فعْل الأول انقضاض كما أطلق عليه المؤلف، وفعل الثانى مشروع ومقنن. وكل منهما فَعَلَ مافَعَلَ بالمنطقة التى تقع فى إطار نفوذه، وإقليميته .. وإذن فلامطامع، ولا توسعات إلا فى مخيلة المؤلف.

وقد اعترف المؤلف بأن الحسن الإدريسى لجأ إلى الملك عبد العزيز فى يناير ١٩٢٦م (رجب ١٣٤٤هـ) ورجاه فى الوقوف معه وتقديم العون، وحمايته من الامام[1] ثم يقول[2]: **وهكذا اتيح للامام الحسن بدعم من ابن سعود ان يتجنب النهاية التى كانت متوقعه لامارته ..** لكن المؤلف أغفل فى الوقت نفسه دور أهل المنطقة ورؤساء القبائل فى الاتجاه نحو الملك عبد العزيز، وطلب حمايته، بخلاف ماحدث مع أهل المنطقة الجنوبية ـ فيما بين باحل وميدى ـ الذين أُخِذُوا قهراً. وفُرض عليهم ما لم يكن فى رغبتهم .. وسبق أن أشرنا إلى أن أهل الحديدة كانوا قد أبدوا رغبتهم فى الاستقلالية وإنشاء إمارة مستقلة تضمهم مع من حولهم من البلدان[3].

---

(1) انظر ص١٤٢ والصواب أن تلك المباحثات كانت فى النصف الثانى من عام ١٩٢٦م، وانتهت بتوقيع اتفاقية مكة المكرمة فى ٢٤ ربيع الآخر ١٣٤٥هـ الموافق ٣١ أكتوبر ١٩٢٦م. وكان مندوب الادريسى فى توقيع المعاهدة هو أحمد شريف السنوسى.

(2) ص١٤٤.

(3) انظر ص١٣٠ من هذه الدراسة.

وبعد أن استعرض مضمون بعض بنود معاهدة مكة المكرمة بين الملك عبد العزيز والإدريسى، قال[1]: أرسل سلطان نجد وملحقاتها نسخة من المعاهدة إلى الامام يحيى، وطالبه باحترام الوضع الجديد فى تهامة عسير، وبذلك بدأت مرحلة جديدة فى العلاقات بين إمام صنعاء، وإمام الرياض (هكذا !).

ثم أردف ذلك بقوله: ومنذئذٍ واجهت إمارة الادارسة مستقبلاً مظلماً!! ..

أما إرسال نسخة من المعاهدة للإمام يحيى، فقد كان أمراً ضرورياً، لكى يعلم الإمام رسمياً بالوضع السياسى الجديد للمنطقة، ويحسب جيداً كل خطوة يخطوها لتهديدها، ووقف الأطماع فيها، ووضع حد للتوسع نحو مابقى منها، بعد الاستيلاء على الجزء الجنوبى منها (من باحل إلى ميدى) وبالفعل توقف هذا التهديد، والتوسع، والابتلاع، وأما زعمه بأنها واجهت مستقبلاً مظلماً، فيكذبه وضعها الحضارى الحالى الذى تعيشه، فى مختلف مجالات الخدمات الإنشائية والعمرانية وغيرها، مما يحسدها عليه شطرها الجنوبى الذى انفصل عنها بالاستيلاء الإمامى عليه.. والواقع المشاهد الملموس أقوى دليل للرد على هذه المزاعم الكاذبة.

---

[1] ص١٤٩.

**ويقول المؤلف[1]: بعد أن فرض ابن سعود حمايته على الامارة الادريسية، حاول أن يبرر هذا الأسلوب من التصرف عن طريق الايضاحات المتكررة: بأن هذه الخطوة إنما اتخذت من أجل جعل الإمارة الادريسية دولة يمنية (هكذا !!) عازلة بين مملكته، ومملكة الامام يحيى، وبذلك يمكن تجنب وقوع الحرب بين الدولتين.**

سبق أن أمْعَنّا النظر فى هذا القول، وأَبَنّا أنه مختلق، أو على الأقل محرّف عما كان يقصده الملك عبد العزيز. لأن الواقع يناقضه، فأرض الدولتان ـ اليمن والسعودية ـ متجاورتان فى المنطقة المجاورة لتهامة عسير (أى الجزء المتبقى من الامارة الإدريسية) وذلك فى عسير السراة، منذ عام ١٣٣٨هـ، فكيف تُجعل تهامة عسير فاصلة وعازلة بين الدولتين، لتجنب وقوع الحرب بين الدولتين، والدولتان حدودهما متصلة قبل ذلك؟ .. وإصرار المؤلف فى وصف الامارة الادريسية بدولة يمنية مغالطة وتكلُّف واضح .. ويحمل فى طياته كذب هذه المقولة، فلا هذه العبارة صدرت عن أى مسئول سعودى، فضلاً عن الملك عبد العزيز، و لم يتعود أهل المنطقة على النطق بها.

---

(١) ص١٥٣، وذلك فى بداية الفصل الثالث من الباب الثانى.

**ثـم مـاأورده المؤلـف للاستشـهاد بـه فـى هـذا المجـال[1] زاعمـاً أنـه مـن قول الملك عبـد العزيـز، فجـزء منـه يمكـن أن يصـدر عـن الملـك عبـد العزيـز، أو عـن أحـد المسئولين مـن أنصـاره واتباعـه، وهـو عبـارة عـن تحذيـر لعـدم التعرض للإمـارة الإدريسية، والجـزء الآخـر يصعـب نسـبته للملـك عبـد العزيز لما فيـه مـن تناقضـات مـع الواقـع أنـذاك، حيـث يقـول المؤلـف[2]: وقـد عبر ابـن سـعود عـن هـذا المعنـى بقولـه: ".. لقـد استولى الإمـام يحيـى علـى جنـوب بـلاد السـيد الإدريسـى، ويريـد الآن فـوق ذلـك أن يحتـل المـدن الأخـيرة، صبيـا، وجـيزان .. إنـى لاأسمـح بـأن يمـس اسـتقلال دولـة الادريسـى .. إن الادارسـة عـرب مثلـى.. إنهـم ينتمـون إلينـا قلبـاً وقالبـاً، لقـد تفيـأ الإدريسـى ظـلال خيمتـى، وسـأحميه مـن كـل عـدو .. لقـد اطلعـت بحماية تهامـة عسير، وأريـد أن أرى مـن يجرؤ علـى المسـاس بحمايتى.**

فهـذا القـول يمكـن أن يصـدر عـن الملـك عبـد العزيـز، أو عـن أحـد مـن المسئولين السـعوديين، الذيـن يتحدثـون باسـم السـعودية وقتهـا .. لأنـه عبـارة عـن تحذيـر للإمـام، ولأتباعـه، فـى الاقـدام علـى احتـلال أى جـزء ممـا تبقـى مـن الامـارة الإدريسـية ــ فيمـا بعـد "ميـدى" شمـالاً .. وذلـك عقـب توقيـع اتفاقيـة مكـة المكرمـة، ودخـول تلـك الأجـزاء فـى حمايـة الملـك عبـد العزيـز .. بدليـل التعريـض بمـا فعلـه الإمـام يحيـى مـن الاسـتيلاء علـى الاجـزاء الجنوبيـة منهـا ــ

---

[1] ص١٥٣، نقلاً عن الألمانى "فولف فانتق فايسل" فى كتابه "بين الشطآن والبحر الأحمر" ص١٢١، طبعة ليبزج سنة١٩٢٨م، ويبدو أن "فايسل" هذا يشتط فى آرائه، وغير دقيق فى رواياته .. أو أن المؤلف حور مانقله عنه.

[2] الصفحة نفسها (ص١٥٣).

وهى من "باحل" حتى "ميدى" .. وبدليل دفع التهم التى كانت توجه إلى الأدارسة ذاك الوقت من أنهم دخلاء وغرباء عن المنطقة. قدموا إليها من المغرب بشمال أفريقيا.

وأما الجزء من النص الذى استشهد به المؤلف، ونسبه إلى الملك عبد العزيز، فهو قوله عقب ذلك.

**.. إن تهامة عسير دولة عازلة بيننا وبين اليمن. وهى الإمكانية الوحيدة لتجنب نشوب حرب (طالما) أنا والامام مانتفق، إن هجوماً على الادريسى، الذى لاتبعد بلاده سوى ست مراحل بيننا وبين اليمن سيكون هجوماً ضدى بالذات.**

فهذا الكلام غير مقبول عقلاً وواقعاً، وغالباً هو مدسوس ضمن الكلام السابق، لأن العقل لايتصور جعل إمارة وضعت تحت الحماية من خطر محقق تجعل محايدة وعازلة تجنباً لخطر غير محقق ذاك الوقت، وهو توقع حرب بين السعودية واليمن .. وأما من حيث الواقع فإن تهامة عسير ليست وحدها فاصلة بين حدود السعودية واليمن، وإنما حدودهما تلاقت وتلامست قبل ذلك بحوالى سبع سنين، فالوجود السعودى موجود فى عسير السراة، وفى نجران قبل توقيع معاهدة مكة المكرمة، لحماية الامارة الادريسية .. ثم إنه لم يوجد مثل هذا النص فى مراجع أخرى اهتمت بجمع مثل تلك النصوص، والخاصة بتاريخ تلك المنطقة .. كما أنه لم يرد على ألسنة الوفود التى اجتمعت من قِبل الطرفين، على مدى سبع سنين تقريباً . وإذن فهو لايعدو أن يكون اختلاقاً .. ز لم يكن الملك عبد العزيز

بحاجة إلى تبرير، أو إيضاحات لتعليل موقفه فى تهامة عسير، ليصرح بمثل هذا القول كما يدعى المؤلف.

ثم يتحدث المؤلف عن موقف الملك عبد العزيز من الإمارة، وان مندوبيه تصرفوا لاكحماة لها وإنما كمحتلين .. ولنا أن نسأله: والذين وضعوا أيديهم على الجزء الجنوبى من الإمارة الإدريسية، ماذا كانوا يتصرفون؟! .. وبأى صفة يمكن أن نطلقها عليهم؟!.

ومن المفيد أن نعود إلى بعض ماكتبه فؤاد حمزة فى هذا الشأن — وهو ممن عاصروا تلك الأحداث، وشارك فيها ـ قال[1]: .. لم يباشر الملك عبد العزيز حقوق الحماية فى أول الأمر إلا فيما يتعلق بامتياز شركة الزيت فى فرسان[2] فإنه رأى فيه إجحافاً وغُبناً، فوفق إلى إلغائه، وأبقى إدارة البلاد فى يد هيئة حاكمة تحت رئاسة الإدريسى، واكتفى بإرسال مندوب يكون إلى جانب الحسن الادريسى، يعاونه فى أعماله، وحضر مندوبون من قبل الإدريسى إلى بلاط الملك عبد العزيز، فى الطائف عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) لوضع القواعد الأساسية لادارة البلاد، فوافق الملك عبد العزيز على اقتراحات الوفد الإدريسى، وجعل الإدارة الداخلية، وتأمين الأمن، وإعداد الجند للدفاع، فى يد الحكومة المحلية، واحتفظ هو

---

(١) قلب جزيرة العرب، ص٣٦٥،٣٦٦، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م. دار النصر الحديثة بالرياض.

(٢) كان الادريسى قد عقد مع إحدى الشركات البريطانية امتيازاً للحفر عن البترول فى جزيرة فرسان، عقب معاهدة الحماية، ولما كان من نصوصها أن الشئون الخارجية من حق الملك عبد العزيز، فقد تدخل لالغاء الاتفاق مستعملاً حقه فى ذلك، لكن المؤلف جعل منها ذريعة للهجوم على الملك عبد العزيز.

بالشئون الخارجية فقط، إلا أن الادارة المحلية عجزت بعد سنتين عن إدارة الأمور، وشئون البلاد، وتأمين الأحكام، ولم تكن قادرة على جباية الأموال الأميرية اللازمة لقيامها، بالرغم عن مدّ الملك عبد العزيز يدّ المساعدة لها.

وفى ١٧ جمادى الأولى عام ١٣٤٩هـ (٩ أكتوبر ١٩٣٠م) أبرق الحسن الإدريسى إلى الملك عبد العزيز بما يأتى: ".. كتبكم برفقة العبدلى وصلت، وتذاكرنا مع وفدكم، فتقرر بموافقتنا، ورضانا، إسناد إدارة بلادنا وماليتنا إلى عهدة جلالتكم .."

وبناء على ذلك عهد إلى مندوبين من الجانين، وضع التعليمات الأساسية التى تتمشى عليها المقاطعة بعد ذلك. وأصبحت المقاطعة الإدريسية مقاطعة من مقاطعات المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها، وجُعل للحسن الإدريسى مقام استثنائى ممتاز، محافظة على كرامته، وكرامة عائلته.

وبعد إعلان توحيد أجزاء المملكة .. وجعلها مملكة واحدة باسم "المملكة العربية السعودية" كان من المنتظر إعادة تنقيح التشكيلات الإدارية فى المقاطعة، إلا أن الحسن الادريسى اغتر بمواعيد ووشاية بعض المفسدين[1] فحاول أن يَنْقُضَ بالقوة ماتعهد به قبل، برضاه التام، ورفع

---

[1] انخدع الحسن الادريسى بتحريض "حزب الأحرار" الذى كان يرأسه حسين الدباغ، ويدعمه ويموله الأمير عبد الله بن الحسين، أمير شرق الأردن أنذاك وامام اليمن .. وقد تم تجنيد بعض الناس، للعمل على إحداث = =

راية العصيان ضد الحكومة المركزية، فجُردت حملة تأديبية قضت على فتنته، ووضعت حداًلحكم الأدارسة.

هذا الموجز المفيد الذى قدمه فؤاد حمزة، فيه الكفاية للرّد على توليفات وتلفيقات المؤلف بما يتعلق بموقف الحسن الإدريسى فيما بعد معاهدة الحماية، حتى ضم تهامة عسير (الإمارة الادريسية) ضمن أجزاء "المملكة العربية السعودية".

وينزلق المؤلف إلى زلة عميقة المدى، كان يظن أنها ستكون حجة له، ودليلاً يدعم وجهة نظره، فإذا بها حجة عليه لا له، وأبانت فى الوقت نفسه عن مدى سطحيته عند تناوله النصوص لدراستها، وبالتالى تداعى واختلال النتيجة التى توصل إليها، وذلك حين قال بالنص[1]:

**"وقد أعطى المؤرخون العرب علامات دقيقة لحدود اليمن مع الحجاز ونجد، ففى كتاب الهمدانى "صفة جزيرة العرب" كتب: بأن حدود اليمن تمتد من عمان إلى اليمامة حذاء السراة، وإلى منطقة "أم**

--- قلاقل وفتن واضطرابات، ضد الملك عبد العزيز، فى داخل مملكته، ظناً منهم أنها هى الوسيلة الفعالة للنيل منه، بعد أن فشلوا فى مواجهته عسكرياً فى ميادين الحروب المختلفة .. وكان الادريسى ممن شايعوا تلك الفتنة، ورفع راية العصيان .. فكانت نهايته .. وكما يقال: على نفسها جنت براقش .. انظر تفاصيل ذلك فى "تاريخ المخلاف السليمانى" للعقيلى ج٢، ص٩٣٦-١٠٣٤.

[1] ص١٥٧.

**جحدم" فى تهامة على البحر الأحمر[1] وأكّد المسعودى أن حدود اليمن الشمالية تبلغ إلى "لجة الملك" (هكذا أوردها المؤلف!) وقطع ابن خرداذبة بأن "طلحة الملك" تفصل حدود اليمن عن منطقة مكة، وقال ياقوت الحموى: إن حدود اليمن تصل إلى "المحجرة (هكذا!) قرب "طلحة الملك".**

**وخرج من ذلك بنتيجة يقول فيها: ومن هذه الحقائق الجغرافية والتاريخية يتضح أن العلاقات المميزة للحدود الشمالية لليمن هى "طلحة الملك" و"أم جحدم".**

هذه هى النصوص التى أوردها المؤلف من قول قدامى الجغرافيين والمؤرخين العرب، للدلالة على صحة وصواب ماذهب إليه من امتداد أرض اليمن إلى تهامة الحجاز، وعسير السراة، ويلاحظ عليه الآتى:

١- تحريفه فى نقل النصوص، فقد نسب إلى المسعودى قوله: إن الحدود تبلغ إلى "لجة الملك" بينما الصواب "طلحة الملك" ولو رجع بنفسه إلى كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" ج٢، ص٨٩[2] لوجدها

---

[1] هذا النص ورد فى الكتاب المذكور، ص٦٥ من طبعة دار اليمامة بالرياض، بتحقيق الشيخ محمد بن على الاكوع.

[2] "مروج الذهب" للمسعودى (ت ٣٤٦) بتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

"طلحة الملك" لكنه رجع إلى مقال عن الموضوع نشر فى مجلة "المقتبس" بدمشق ١٩١٢م، ص٣٧، كما أشار إلى ذلك فى الهامش.

وكذلك تحريف ماقاله ياقوت: إن حدود اليمن تصل إلى "المحجرة" والصواب "المهجرة"[١] ويرجع السبب أيضاً إلى عدم رجوعه إلى كتاب "معجم البلدان" لياقوت، وإنما رجع إلى مصدرين هامشين، أحداهما مجلة "المقتبس" السابق ذكرها، وكان الأحرى به أن يتحرى ذلك بالرجوع إلى المصدر الأساسى فى الموضوع.

٢- أن هناك كثيراً من الجغرافيين والمؤرخين العرب الأوائل الذين ذكروا أن "طلحة الملك" هى الحد الفاصل بين اليمن والحجاز، غير هؤلاء الذين ذكرهم المؤلف ــ وإن كان ليس بالضرورة إلزامه بتقصى أسماء من أورد ذلك ــ فكان منهم: البكرى[٢] الذى قال: حدّ اليمن مما يلى الحجاز "طلحة الملك" إلى شرون[٣] وشرون من عمل مكة، أى تابعة لعمالة مكة. وكذا ذكره القلقشندى[٤] والبغدادى[٥] وقدامة بن جعفر[٦] وغيرهم ممن

---

[١] معجم البلدان، لياقوت، ج٨، ص٢٠٨.

[٢] فى كتابه "معجم ماإستعجم" ج١، ص١٦.

[٣] "شرون" يبدو أنها "سروم" بالميم حرفت إلى شرون بالنون، لأن سروم هى التى وردت بهذا الاسم فى نفس الموضوع.

[٤] صبح العشى، ج٥،ص٤٤.

[٥] مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج٢، ص٨٩٠.

[٦] كتاب "الخراج وصناعة الكتابة" ص٨٢،٨٣.

وردت فى مؤلفاتهم اسم موضوع "طلحة الملك" حداً فاصلاً بين عمالة مكة المكرمة، وعمالة اليمن .. لكن أين تقع "طلحة الملك" ؟!. وقبل أن نحاول بحث ذلك لمعرفة موقعها، نعود إلى النص الذى نقله المؤلف عن الهمدانى.

وقد نقله المؤلف بتصرف وايجاز، أما تفصيلاً أو بتمامه فكما يلى[1]:

"يفصل بين اليمن وبين باقى جزيرة العرب خط يأخذ من حدود عمان، ويبرين، إلى حد مابين اليمن واليمامة، فإلى حدود الهجيرة، وتثليث، وأنهار حرش، وكتنة، منحدراً فى السراة على شعف عنز، إلى تهامة على أم حَجْدم (التى أوردها المؤلف) إلى البحر حذاء جبل يقال له "كدُمّل" بالقرب من حمضه".

هذا هو النص الذى ذكره الهمدانى، ومنه يعرف وجهة نظره فى حدود اليمن، والتى تبدأ من حدود عمان، أى أنه بنهاية حدود عمان تبدأ حدود اليمن، وليس كما ذكره المؤلف من دخول أرض عمان ضمن حدود وأرض اليمن، وكذلك بانتهاء حدود كل من الهجيرة، وتثليث، وكتنة، تبدأ حدود اليمن، من جهة عسير، لأن هذه الاسماء التى ذكرها

---

[1] "صفة جزيرة العرب" للهمدانى، ص٦٥. الطبعة السابق الاشارة إليها.

هى اسماء بلدان، بعضها اندثر، والبعض الآخر مازال موجوداً حتى عصرنا الحاضر بعسير السراة. وبالأحرى فى بلاد قحطان الجنوب.

ونلحظ أن الهمدانى يكرر ذلك فيذكر أن كتنة أول حدّ الحجاز، وهى على تمام خمسة عشر بريداً من صنعاء، أو ١٨٠ ميلاً منها حسبما قال الهمدانى .. ومعنى ذلك فى رأى الهمدانى أن مايزيد عن ٨٠٪ من أرض عسير السراة تابعة للحجاز، (أى للسعودية) وأن الباقى وهو ٢٠٪ تابع لليمن.

كما نلحظ أنه جعل الحد الفاصل بالنسبة للتهامتين ـ تهامة اليمن، وتهامة الحجاز ـ هو أم جحدم، بالقرب من جبل "كتمبل"[1] القريب من قرية "حمضة" المحتفظة باسمها حتى العصر الحاضر[2].

ومعروف أن الهمدانى متعصب ليمنيته إلى حد المغالاة، وقد لاحظ عليه ذلك بعض المؤرخين، ومنهم أستاذنا الشيخ حمد الجاسر، الذى قال فى تقديمه لكتاب "صفة جزيرة العرب" طبعة دار اليمامة للنشر، بالرياض، ص١١: يؤخذ على الهمدانى أمور منها: شدة تعصبه شدة قد تحيد به فى بعض الأحيان عن جادة الصواب، وكتاب "شرح الدامغة" أوضح دليل على ذلك، والأستاذ محب الدين الخطيب على حق حينما قال عن

---

[1] المعجم الجغرافى، مقاطعة جازان، للعقيلى، ص١٩٥، وقال: يبدو أن الهمدانى كتبه بلهجته المحلية، من حيث قلب التاء دالاً، أو أن اسمه كان كذلك فى عهد الهمدانى.

[2] العقيلى، المصدر السابق، نفس الصفحة.

الهمدانى: "يثبت حقائق العلم على صحتها مااستطاع، فى كل مالايمس همدانيته، ويمنيته، فإذا لامس العلم هذا الجانب الحساس من المؤلف وجد فيه ضعفاً".

كما يؤخذ على الهمدانى ـ حسبما قال الشيخ الجاسر ـ تصرفه فى الشعر .. ومن أسوأ أنواع التصرف تغيير اسماء المواضع[1] .. وسوف نستعرض فيما بعد كتاب "صفة جزيرة العرب" للهمدانى، فى هذه الدراسة، لبيان بعض المآخذ عليه.

فإذا أضيف إلى ذلك خوض الهمدانى غمار التيارات السياسية التى كانت تجتاح اليمن فى عصره، والتى كان من بين آثارها اشتعال نار العصبية بين القحطانية والعدنانية، وتزعمه الدفاع عن القحطانية، إلى حدّ الغلو فى القول، حتى عرّض نفسه للسجن، ونالت مؤلفاته المنع وعدم الانتشار فى عهده، وطالتها يد التبديل والتغيير والحذف والاضافة فى بعض نصوصها .. وربما يكون مانسب إليه من بعض تلك النصوص، دخيل عليه، وأضيفت بعد وفاته .. وهو برئ منها .. فَرُبَّ ملوم لاذنب له .. ولو افترضنا أن تلك النصوص ـــ ومنها النص الذى أورده المؤلف، وأوردناه تفصيلاً ـ هى حقيقة رأى الهمدانى، فإن ذلك يعتبر رأياً خاصاً به، وأنفرد به عن إجماع العلماء الذين قالوا إن الحد الفاصل بين اليمن والحجاز هو "طَلْحةُ المَلِك" فأين إذن "طلحة الملك" ؟!.

---

[1] تقديم الشيخ الجاسر، لصفة جزيرة العرب، ص١٢.

وخيراً ماصنع كل من ابن خرداذبة[1] وقدامة بن جعفر[2] حين حددا المسافات بين المواضع والأماكن، على الطريق للمارة والمسافرين من مكة إلى صعدة وصنعاء، فقد وصفا الطريق من مكة حتى مدينة "جُرَش"[3] للمسافر من مكة إلى صنعاء عن طريق صعدة، ثم قالا: .. ومن جُرَش إلى كثبة[4] وهى قرية عظيمة بينها وبين حرش ثمانية أميال[5] ومن كثبة (كتنة) إلى الثجة، موضع البريد، وفيه ماء ينزله القوافل، وهو فى بلاد زبيد (ذاك الوقت) ومن الثجة إلى سروم راح[6] وهى قرية عظيمة فى صحراء، فيها عيون كثيرة الكروم، فيها فخذ من همدان، يقال لهم جنب، ومن سروم راح، إلى المهجرة[7] وهى قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون

---

[1] فى كتابه "المسالك والممالك" ص١٣٤،١٣٥.

[2] كتاب "الخراج وصنعة الكتابة" ص٨٢،٨٣، وفى طبعة ليدن، التى أعادت طباعة نبذ منه مكتبة المثنى ببغداد، ص١٨٨،١٨٩.

[3] حرش مدينة ذات تاريخ فى الجاهلية والاسلام، ولايعرف الزمن الذى اختفى فيه عمرانها، وهى بجنوب بلاد عسير، بالقرب من وادى ابن هشبل، ووادى بيشة تقريباً. وكانت تقع على سفح جبل حمومة.

[4] غالب الظن أنها "كتنة" التى وردت بهذا الاسم فى كثير من المراجع، وحرّفت إلى "كثبة" وذكرها الهمدانى على أنها الحد الفاصل بين اليمن ومكة. كما سبق أن ذكرنا ذلك.

[5] الميل الواحد يساوى ١٦٠٩,٣ متراً.

[6] وردت فى كتاب ابن خرداذبة "سروم راح" بالسين، وفى كتاب قدامة "شروم راح" بالشين. ويبدو أن الصواب "سروم" بالسين حيث وردت هكذا فى بعض المراجع.

[7] المهجرة هذه هى التى نقلها المؤلف خطأ عن معجم البلدان لياقوت، باسم "المحجرة" وقد سبق أن أوضحنا ذلك، بينما هى باسم "المهجرة" فى كافة المراجع، بما فى ذلك "صفة جزيرة العرب" للهمدانى، ص٩٩ وقال عنها الهمدانى (ص٩٩) كانت تقف فيها حجاب التبابعة لمن أتى من الشمال، فيبلغون خبره إلى العاصمة، وفى ذلك دلالة على أنها كانت أول أرض التبابعة.

والأهل، وفيما بينها (أى المهجرة) وبين سروم راح شجرة عظيمة تشبه شجر الغَرَب[1] تسمى طلحة الملك[2] وهى فيما بين سروم راح والمَهْجُرة، وكان النبى ﷺ حجز بها (أى بهذه الشجرة) فيما بين اليمن ومكة. أى بين عمالة اليمن وعمالة مكة، ثم إلى عرقة، وماؤها قليل، ولا أهل فيها، وقيل فيها أعراب من خولان[3]، ثم إلى صعدة.

ومن هذا النص يتبين أن بين "المهجرة" و"سروم راح" توجد "طلحة الملك" التى قالوا عنها إنها الحد الفاصل بين عمالة مكة واليمن، ولذا قال ابن قدامة عن "المهجرة" إنها أول عمل اليمن ومن أعمال صعدة[4] وقال البكرى[5] إن سروم من عمل مكة. ولاتوجد بين "المهجرة" وبين صعدة إلا بلدة واحدة هى "عرقة"[6] لكن ماهى المسافة فيما بين صعدة، وكل من "المهجرة" التى قالوا إنها أول عمالة اليمن، وأيضاً المسافة فيما بين صعدة "وطلحة الملك" التى قالوا إنها الحد الفاصل بين اليمن والحجاز، أواليمن ومكة المكرمة ؟؟! وقبل أن نجيب على ذلك، نود أن نعرف رأى الهمدانى فيما قاله غيره من العلماء الجغرافيين، السابقين أو المعاصرين له،

---

(1) قيل هى شجرة الصفصاف.

(2) قيل سميت الشجرة باسم الوادى أى وادى "طلحة الملك" الذى نمت وترعرعت فيه، ففى معجم البلدان\ لياقوت، ج٤، ص٣٨: أنه اسم واد باليمن.

(3) قال ابن خرداذبة: لا أهل فيها، وقال ابن قدامة: إن بها أعراباً من خولان.

(4) المصدر السابق، ص١٨٩.

(5) معجم ماستعجم، ج١، ص١٦، أوردها "شرون" لكن الصواب "سروم".

(6) عرقة قرية من عزلة حاشد، ناحية قطابر بصعدة، وقطابر من قضاء بنى جماعة، انظر المعجم للمقحفى، ص٢٨٤.

فمن غير المقبول أن يكون قد اطلع على أقوالهم، فى تحديد موضع "طلحة الملك" ثم تجاهله، وأتى برأى خالفهم جميعاً فيه، بتحديده "كتنة" و"أم جحدم"!.. وغالب الظن أن العبث بمؤلفاته كان له دخل فى ذلك !!. فلا يتخيل العقل بسهولة أن يكون الهمدانى قد تعمد تجاهل ذلك، أو قرأه عن السابقين، والمعاصرين له، دون ان يعلق على ذلك، او يبدى رأيه فيه، بالصواب أو الخطأ، وهو الحريص على ذكر كل الأماكن والبقاع فى شبه الجزيرة العربية.

لقد أورد الهمدانى فى كتابه "صفة جزيرة العرب" (ص٤٠١)[1] قصيدة لأحمد بن عيسى الرداعى، أسماها "أرجوزة الحج"[2] وكان الرداعى قد ذهب لآداء فريضة الحج، وأخذ يصف البلدان والمساكن والمنازل التى مرّ عليها بالطريق خلال رحلته من صعدة حتى مكة المكرمة. وتناول الهمدانى تلك القصيدة بالشرح، وتوضيح الأماكن، وتحديد أسماء البلدان التى وردت فيها .. فكان من تلك الأسماء: أقاويات، شتات، ثلات، رية، طِلاَح[3] .. فقال الهمدانى عن "طِلاَح": الطّلاح موضع "طلحة الملك" ولم يعط توضيحاً أكثر من ذلك، لكنه قال: "إن هذه المواضع ـ أى ابتداء من أقاويات .. وحتى طلاح ـ فى بلد وادعة من همدان، وهى من أحواز

---

[1] طبعة دار اليمامة، بالرياض، وهى مرجعنا فى كل ذلك.

[2] أحمد بن عيسى الرداعى معاصر للهمدانى، فقد تحدث عنه، وذكر أنه سمع منه الشعر انظر: صفة جزيرة العرب، ص٤٠٠.

[3] "صفة جزيرة العرب" ص٤٢١.

(ناحية) أرينب" ووادعة همدان هي التي تتوطن داخل اليمن، شمال صعدة، وهي خلاف وادعة ظهران الجنوب ببلاد عسير بالمملكة العربية السعودية، التي يعود نسبها إلى قضاعة لا إلى همدان، كما يقول فؤاد حمزة[1].

ثم قال الهمداني (في صفحة ٢٥٠) وهو يعدد بلدان وادعة، منها: "المهجرة، والمنضج .. وأقاويات، وأرينب" وأرينب هي التي سبق وأن قال الهمداني إن "طلحة الملك" تقع في أحوازها، أي في ناحيتها أو تابعيتها .. كما قال الهمداني (في صفحة ٣٣٩) وهو يعدد البلدان فيما بعد صعدة، والمسافات بين كل منها: .. العرقة بينها وبين صعدة ٢٢ميلاً، ومن العرقة إلى المهجرة ١٢ميلاً، ومن العرقة إلى أرينب (التي تقع بجوارها طلحة الملك) ٢٥ميلاً، وبعد أرينب سروم الفيض[2] ثم الثجة، ثم كتنة .. إلخ.

وبعملية حسابية لمعرفة المسافة بين صعدة وأرينب التي بجوارها طلحة الملك، نجد أن المسافة هي: من صعدة إلى عرقة ٢٢ميلاً + من عرقة إلى أرينب ٢٥ميلاً، وهو يوازي ٧٥كيلو متراً[3] فيما بين صعدة وطلحة الملك، في الشمال الغربي لصعدة، وتقع في قضاء رازح.

---

[1] في بلاد عسير، ص١٣٨.

[2] وهي التي قال البعض عنها: سروم، والبعض: سروم راح، والبعض شرون. بالنون بدل الميم.

[3] الميل الواحد يساوي ١٦٠٩,٣ متراً.

وبهذا الاستنتاج نستطيع معرفة موقع "طلحة الملك" حتى لو كانت اندثرت معالمها فى وقتنا الحاضر، وبذلك أيضاً يتضح الحد الفاصل الذى أقره الرسول ﷺ، فيما بين عِمَالة مكة المكرمة واليمن حسبما ذكره الجغرافيون والمؤرخون العرب الأوائل .. وأصبح بذلك الدليل الذى استشهد به المؤلف على صحة ماذهب إليه، حجة عليه لا له .. ودليل يدمغه لايدعمه.

وتبقى بعد ذلك نقطة مهمة .. فقد لوحظ أن محقق كتاب "صفة جزيرة العرب" للطبعة المشار إليها، وهو أستاذنا الشيخ محمد بن على الأكوع، قد سجل فى الهامش تعليقاً على ماقاله الهمدانى عند تفسير كلمة "الطلاح" بطلحة الملك، علق الشيخ الاكوع فى الهامش قائلاً: إنها قرية كبيرة بقرب ظهران الجنوب، أى أن "طلحة الملك" هى نفسها قرية طلحة، التى تحمل هذا الاسم بقرب ظهران الجنوب، داخل حدود المملكة، لكن الشيخ الأكوع جانبه الصواب فى رأيه هذا، لأننا من خلال استنتاجاتنا لما قاله السابقون، وبالأخص الهمدانى ـ وهو شاهد من أهلهم ـ استطعنا معرفة موضعها الحقيقى، وأن المسافة بينها وبين صعدة حوالى ٧٥ كيلومتر، بينما المسافة بين صعدة وقرية طلحة الحالية بقرب ظهران الجنوب، هى حوالى ١٥٠ كيلومتر. بالاضافة إلى أن طلحة الحالية لم تكن موجودة أصلاً بهذا الاسم فى صدر الإسلام، ولا حتى القرن السابع الهجرى الذى واصل فيه العلماء ترديد هذه المعلومة التاريخية المنسوبة إلى الرسول ﷺ.

فنجد أن البكرى (المتوفى عام ٤٨٧هـ) قد أحصى مادة (ط،ل.ح) فلم نجد إلا "طلحة الملك" التى قال إنها بين المهجرة وسروم[١] وزاد ذلك تأكيداً بأن قال: إن (شرون) سروم من عمل مكة، كما أورد من نفس المادة مسمى "طلح"[٢] وقال: إنه اسم موضع فى ديار بنى يربوع، و"ذى طلح" الذى ورد فى شعر الحطيئة يستعطف به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

كما نلحظ أن ياقوت الحموى المتوفى عام ٦٢٦هـ، فى كتابه "المشترك وضعاً والمفترق صقعاً" أورد فى باب "طلح" اسماء ثلاثة مواضع ليس بينها "طلحة" فقط[٣] .. وإذا فلا حُجّة لمن قال إن المقصود هى قرية "طلحة" بقرب ظهران الجنوب .. هذا بالاضافة إلى أن بعض العلماء كانوا يؤكدون قولهم عن "طلحة الملك" بأن ماقبلها شمالاً من عمالة مكة (سروم)، وما بعدها جنوباً (المهجرة) من عمالة اليمن، وأن بقربها يسكن أعراب من خولان .. وهم مايزالون يتوطنون المنطقة حتى وقتنا الحاضر.

---

[١] أوردها شرون، وربما يكون تحريفاً عن سروم، التى أوردها البعض باسم: سروم، أو سروم راح، أو سروم الفيض، انظر معجم مااستعجم، ج١، ص١٦ وربما يكون ذلك لتشابه الاسماء، فسروم الفيض تقع فى بلدان قحطان الجنوب.

[٢] المصدر السابق، ج٢، ص٨٩٢.

[٣] انظر المصدر أعلاه، ص٣٩٣.

مـن كـل ماسـبق يتبـين تلفيقـات المؤلـف، واختلاقاتـه وتحريفاتـه، وسـطحيته فـى البحـث والدراسـة وأن كتابـه لاقيمـة لـه علميـاً، وأنـه صنفـه لغرض فى نفسـه، بعيـداً عـن كـل نزاهـة وانصـاف.

والمهـم أن الكتـاب تعـرض بعـد ذلـك إلى تبـادل الرسـائل والمكاتبـات بـين عـاهلى البلديـن رحمهمـا الله، وكذلـك تحركـات ومباحثـات الوفـود بـين البلديـن، وحتـى معـاهدة الطـائف، ممـا هـو معـروف لـدى الجميـع، وقـد سـبق أن أوضحنـا كثـيراً مـن النقـاط التـى حـاول المغالطـة فـى طريقـة عرضهـا وسردها، مما يعـد تكـراراً لمـا سبق.

كمـا أنـه تعـرض للحـرب التـى وقعـت بـين البلديـن، محـاولاً تـبرير الهزيمـة بتـبريرات واهيـة غـير مقبولـة عقـلاً، وتخـالف الواقـع، مقلـلاً فـى الوقـت نفسـه مـن نتيجـة النصـر .. ولا نـود الدخـول فـى مناقشـة ذلـك، حتـى لانثـير الجـراح الملتئمـة، ونوغـر الصـدور التـى شـفيت ــ بفضـل الله وتوفيقـه ــ مـن الحقـد والإحـن، وأطفئـت النـار التـى كـان يحـاول ايقادهـا المغرضـون بـين الحـين والآخـر.

ويتضـح مـن هـذا كلـه أن المشـكلة الحدوديـة بـين البلديـن، مثلهـا مثـل أيـة مشـكلة حدوديـة تقـع بـين بلديـن متجـاورين .. يشـوبها نـوع مـن الاختـلاف فـى وجهـات النظـر أحيانـاً، ثـم مـاتلبث أن يعـود التفـاهم، والاتفـاق والوفـاق .. وهـو مـاحدث بـالفعل مؤخـراً، نتيجـة لحكمـة القيـادة فـى البلديـن الشـقيقين .. وكفـى الله المؤمنـين القتـال.

# كتاب
# "اليمن الخضراء مهد الحضارة"*

## تأليف: الشيخ محمد على الأكوع الحوالى

كتاب ينحو منحى سابقيه، فى الميل إلى التعصب الذى يشين نتاج العقل ولايزينه، ويدفعه إلى مجانفة الواقعية والموضوعية. وإن كان الكتاب أخف منهما إرجافاً، وتجنباً لأسلوب الاثارة إلى حدٍ ما .. وبالرغم من محاولته التظاهر بالإنصاف فى البحث إلا أن نزعة التعصب أفسدت المحاولة، ونزعت عنه قناع ذلك التظاهر، حتى بدا واضحاً أنه كتاب فى مجمله صنف لغرض سياسى، بهدف التأثير على اتخاذ موقف معين، أكثر منه لخدمة قضايا علمية، أو خدمة التاريخ بصفة عامة.

كنا نرجو لمؤلفه أستاذنا القاضى الفاضل ـ الذى نكن له التوقير ـ أن يربأ بنفسه عن الانخراط فى هذا الاتجاه، وأن يركز جهده العلمى، على مايفيد ويخدم الناحية العلمية بواقعية وموضوعية وانصاف لاسيما وأن مهنته عودته على أن يتحرى العدل، والقسطاس المستقيم .. ولايحيد عن ذلك مهما تكن الغاية .. حتى لو كانت هى التى عبر عنها بقوله: حفزنى الواجب المقدس .. فى هذه الحقبة التاريخية أن أضع تاريخاً لوطنى الحبيب،

---

* النسخة التى خضعت لهذه الدراسة، هى الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

كوحدة طبيعية متماسكة الأجزاء، وسياسة محكمة الحلقات .. من أقدم عصور التاريخ إلى أن طلع الفجر الصادق .. بانبثاق نور الثورة المجيدة[1].

وأيّاً ماكان فإن الكتاب فى مجمله ينطوى على جانب طيب يتمثل فى محاولة الكشف عن مظاهر الحضارة للدول التى حكمت اليمن من حميرية وسبئية وغيرها، فيما قبل الاسلام. وإن كان أسلوب المبالغة والتهويل هو الغالب فى إيراد الأخبار التى تؤيد ذلك دون تحرى مصداقيتها.

وجانب آخر مما انطوى عليه الكتاب تفوح منه بشكل واضح رائحة التعصب، بل الاغراق فيه، مما جنح به عن الموضوعية والواقعية .. وهو مانتناوله فيما نبديه من بعض الملاحظات، المتمثلة فى الآتى:

## ندرة التوثيق

اتبع شيخنا منهج بعض سابقيه من حيث إرسال القول غالباً دون توكيده وتوثيقه بسند أو مرجع، اعتماداً على ثقة الناس فيما يقوله أو يرويه، فقلما ذكر المرجع الذى استقى منه الخبر، أو اقتبس منه النص الذى يدعم به وجهة نظره، وحتى إن ذكره فلايلتزم بالاشارة إلى رقم الصفحة، ولا إلى الناشر، ومكان وزمان النشر، وغير ذلك مما يعد عنصراً أساسياً من

---

[1] المقدمة، ص٥، ويلاحظ أن هذا الكتاب يضم تاريخ اليمن فيما قبل الاسلام فقط، مشيراً فيه المؤلف إلى أن هناك أجزاء أخرى تشمل تاريخ اليمن فى ظل الاسلام.

عناصر البحث والدراسة لمنهج البحث فى العصر الحديث، ويتحتم الاشارة إليه وتدوينه فى هامش كل صفحة من صفحات الكتاب .. وذلك تأكيداً لمصداقية الدراسة، ودقتها، وتوثيق النصوص المقتبسة، وكافة مصادر المعرفة التى تم الرجوع إليها، أو الاستشهاد بها خلال الدراسة.

ومع أنه أتى بثبت للمراجع فى نهاية الكتاب[1] إلا أن هذا لايغنى عن ضرورة تدوين المرجع الذى أُقْتُبِس منه فى هامش الصفحة، فضلاً عن أنه أوردها فى "الثبت" غير وافية مما صعَّب الرجوع إليها، لمن أراد التأكد من النص المقتبس.

وظاهرة ارسال القول دون سند أو الاشارة إلى مرجع، كانت شائعة فيما مضى[2] ومنها دخل الاختلاق والتدليس من ذوى الأهواء إلى بعض المواضع والمواقف من التاريخ، وتناقله بعض الخلف دون تمحيص حتى ذاع وشاع، فجاء المنهج الحديث للبحث ليؤكد على أهمية الإشارة إلى السند والمرجع، بالاضافة إلى الفحص والتمحيص لكل رأى أو نص مقتبس.

---

[1] ص٥٤٠.

[2] أى خلال الاربعة قرون الماضية تقريباً (٩٠٠هـ - ١٣٠٠هـ) أى قبل نهضة الأمة العربية والاسلامية سياسياً.

لوحظ أن شيخنا أولع إعجاباً وافتتاناً بأبى محمد الحسن الهمدانى[1] وردد كثيراً اللقب الذى اطلقه الهمدانى على نفسه "لسان اليمن" وزاد عليه شيخنا "الامام لسان اليمن"[2] ووصفه بأنه "حبر كبير، وسجل أمين، حافل بالمعلومات النادرة"[3] وأنه "المؤرخ الكبير، الفيلسوف، لسان اليمن، مؤلفاته هى المفتاح السحرى للمكتشفين للآثار"[4] و"الثقة الأمين لسان اليمن"[5] وألبسه ثوب الرضوان "لسان اليمن، رضوان الله عليه"[6] وغير ذلك من الألقاب والأوصاف التى خلعها على الهمدانى .. ومن حقه أن يولع به إلى أقصى مدى، فربما وجد فيه ضالته المنشودة من الاغراق فى التعصب العرقى[7] كما أن من حقه أن يتبنى آراءه فى كل مايخدم ذلك التعصب .. لكن ليس من حقه أن يحث غيره على أن ينحو منحاه فى الولع به، ولا الاقتناع بآرائه وأقواله، ولا مايبنى على تلك الآراء من نتائج.. فالمرء حر فى فهم المسائل العلمية ـ الظنية الحكم ـ حسب وجهة نظره الخاصة به، لكنه يتجاوز حقه إن حاول فرض مفهومه هذا على

---

(1) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، الهمدانى، ولد عام ٢٨٠هـ، وتوفى بعد عام ٣٤٤هـ، وقال الأكوع انه توفى عام ٣٦٠هـ، انظر مقدمة صفة جزيرة العرب، ص٨،٢٩-٣١.

(2) ص٢٩.

(3) ص١٩٤.

(4) ص١٩١.

(5) ص٢٠٣.

(6) ص١٣.

(7) انظر ماسبق أن أشرنا إليه فى هذه الدراسة ص١٥٦-١٦٥ ومايأتى عند دراسة كتابه "صفة جزيرة العرب " بعد هذا الكتاب.

غيره، أو حتى محاولة اقناعه به دون تقديم الدليل، لأن وسيلة الاقناع هى تقديم الحجج والأدله الواضحة، والبراهين الساطعة فى مفهوم المنطق والعقل السليم .. فالحق يعرف من ذاته لابنسبته إلى قائله[1] والفرق بين الصواب والخطأ يتضح بعرض كل منهما بأدلته على العقل السليم .. وكل عالم وباحث يؤخذ منه ويرد عليه .. لأن كلا منهما ليس معصوماً عن الخطأ .. فمجرد قول الهمدانى ليس حجة للاحتجاج به، فى معرض المحاجة والمعارضة، إلا إذا أثبت الهمدانى نفسه البرهان على صواب ماقال به، وأورد أدلته واضحة، لاوهماً ولارجماً بالغيب.

اعتمد شيخنا اعتماداً أساسياً على ماورد فى مؤلفات الهمدانى، دون فحص أو تمحيص، وجعلها حجة ودليلاً يؤيد بها رأيه، ويدعم بها وجهة نظره، وكأنها قضايا مسلمة، وحِجاج لاتقبل المعارضة!!.

تبنى شيخنا وجهة النظر الخاصة بالهمدانى لتحديد حدود اليمن، والتى خالف الهمدانى فيها أقوال سابقيه ومعاصريه ومن أتوا بعده من العلماء، الذين حددوها بموضع "طلحة الملك" بناء على تحديد الرسول ﷺ، لها كحد فاصل بين الحجاز واليمن .. وقد سبق توضيح ذلك[2] بل زاد شيخنا على ماقاله الهمدانى زيادة فاضحة .. حيث قال بالنص:

---

[1] فيما عدا قول رسول الله ﷺ، لأنه لايقول إلا حقاً وصدقاً، ولا ينطق عن الهوى، وقد عصمه الله عن الوقوع فى الخطأ.

[2] انظر ص١٥٦-١٦٥ من هذه الدراسة.

"فاليمن الطبيعي بحدوده المذكورة يشمل: حضرموت، بما فيها مهرة، والأحقاف، والأسعا، وعُمان، ففلاة اليمن ـ الربع الخالى ـ وجبال الأزد، بما فيها عسير، فنجران، فبلد زُبيد المذحجية، وخثعم، وبجيلة، فالمخلاف ـ مخلاف حكم ـ في بطن تهامة، لأنه كان وحدة طبيعية وسياسية، لأن قبائله يمنية بحته، وحكامه منذ العصور القديمة ملوك يمنيون، رفرفت أعلامهم على هذه الربوع، وخفقت راياتهم على جبالها، ووهادها، وسهولها، بل إلى ماهو أبعد من ذلك من وراء الجزيرة[1].

واستشهد على صحة ذلك بالعبارة التى قالها الهمدانى عقب تحديده حدود اليمن، وهى: "وتأييد ذلك في جميع[2] اليمن لهذه المواضع، كُتُب العهود من الخلائف (أي الخلفاء) إلى ولاة صنعاء اليمن، ومخاليفها، وعك، وعمان، وحضرموت، وكلامهم على الوفود، واخبار الردة .. منهياً ذلك بقوله: وسيأتي ـ إن شاء الله ـ في عصور الاسلام تحقيق ذلك.

ويلاحظ عليه الآتى:

- سبق أن وضحنا[3] أن تحديد الهمدانى يعتبر رأياً خاصاً به، ومع ذلك فهو لم يدخل فيه كلاً من: عمان، ويبرين، واليمامة،

---

[1] ص٣٣.

[2] يبدو أن الصواب: جمع.

[3] انظر ص١٥٦-١٦٥ من هذه الدراسة.

والهجيرة، وتثليث، وحرش، وكتنة[1] فجاء شيخنا وأدخل كل ذلك فى حدود اليمن، بما لم يسبق أن جرى على لسان أحد قبله على مانعلم.

- أن دليل الهمدانى على صحة هذا التحديد ـ ودليل شيخنا أيضاً، الذى تبناه ورddه ـ هو كُتب الخلفاء للولاة الذين عُهد إليهم ولاية اليمن فى كل العهود .. وكان الأحرى بالهمدانى أن يزودنا ولو بنص واحد من تلك الكتب التى حملها الولاة عند ولايتهم لليمن، ليوثق به رأيه، ويدعم به دليله، ويؤكد صدق مقولته .. لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك .. ويبدو أن شيخنا قد لاحظ تقصير الهمدانى، وضعف دليله، فوعدنا بأن يقدم تلك الكتب فى الجزء الخاص بعصور الإسلام .. وإلى أن يقدم ذلك فالدليل واهٍ، ويحتاج إلى سند. وإلا تداعى رأيه من الأساس، وأصبح لاقيمة له.

- أن مايبطل هذا القول ويفنده، قد أشرنا إليه بالتحديد الذى حدده الرسول ﷺ، واعتمده العلماء الذين تعرضوا لهذا الموضوع فى مؤلفاتهم[2] وذكرناه بالتفصيل فى كتابنا "البيان

---

[1] كتنة هذه كانت تقع فى بلاد قحطان الجنوب، بالسعودية، وجعلها الهمدانى الحد الفاصل بين الحجاز واليمن. وهى من عمالة مكة.

[2] انظر ص١٥٦-١٦٥، و"صفة جزيرة العرب" للهمدانى، ص٣٣٩.

فى تاريخ حازان وعسير و نجران" وقد شملت الترتيبات الادارية للولايات حين قيام الدولة الاسلامية، على يد الرسول ﷺ، حدود كل ولاية، واختصاص كل والٍ، وارتباط القبائل المتحالفة بعضها ببعض، وغير ذلك من أمور، منعاً للتداخل فى اختصاصات الولاة، وتسهيلاً لإشرافهم على المناطق والولايات، وتنفيذ مقتضيات الأمور الشرعية فيها.

- كانت أرض علكّ والأشعريين ـ بتهامة اليمن حالياً ـ هى امتداد لولاية مكة، وكان موضع "طلحة الملك" هو الحد الفاصل بين اليمن والحجاز، وقد سبق أن أوضحنا أن موضعه، كان بالشمال الغربى لصعدة بحوالى ٧٥ كيلومتر.

وظل هذا الوضع معمولاً به طوال عهد الخلفاء الراشدين، وعهد بنى أمية، ومنتصف عهد العباسيين، حين ضعفت الخلافة العباسية، وبدأت الأطراف وبعض الولايات البعيدة عن السلطة المركزية فى الانفصال، كان من بين ماانفصل: اليمن، ومنطقتى حازان، وعسير .. وحكمها ولاة محليون من أهلها، لايخضعون لليمن كما أدعى شيخنا، ذلك لأن اليمن نفسها كانت مقسمة بين عدة ولاة، وأمراء، وحكام يتصارعون فيما بينهم، وامتدت إليها سلطة من خارجها، كالأيوبيين، والمماليك، والعثمانيين[1].

---

[1] أوضحنا كل ذلك فى كتابنا "البيان فى تاريخ حازان وعسير ونجران".

- معروف أن الحدود الطبيعية بين الأقاليم، أو الدول، تتمثل فى الحواجز الطبيعية، كالمياه ــ البحور والانهار ــ أو الجبال والوديان والصحارى، التى يمكن اعتبارها فواصل طبيعية بين إقليم وآخر، أما الحواجز الصناعية فهى التى تكون من فعل الإنسان، كوضع علامات، أو أعلام على صخور يتم تشييدها لهذا الغرض، عند ترسيم الحدود بين الدول آياً كانت.

والمواضع والبلدان التى ذكرها شيخنا كحد فاصل طبيعى بين اليمن ومجاوريه لاتصلح أن تكون فواصل طبيعية لافى العصور السابقة للإسلام، و لم تستعمل حداً فاصلاً فى ظل الاسلام، لذا فإن رأى شيخنا دعوى بغير دليل.

- لوحظ أن شيخنا أطلق مسمى "فلاة اليمن" على مااشتهر بين المؤرخين "بفلاة صَيْهِد" أو "صحراء الربع الخالى" وهو تَمَحُّل فى القول، كما تمحَّل كثيراً وتكلّف فى وسم كثير من المواضع والأماكن، إلى اسماء حميرية وسبئية، أو قحطانية بصفة عامة! حتى اسماء بعض الجبال والوديان! ولنا أن نسأله عن أسمائها السابقة قبل أن تحمل هذا الاسم مثلاً؟! وما دليلك على ذلك؟! ولا تقل إن الهمدانى قالها، وقوله هو الدليل، ذلك لأن الهمدانى أيضاً لايعطى الدليل على كثير مما قاله!!.

- وقول شيخنا: إن المخلاف السليمانى ــ مخلاف حكم ــ كان يشكل مع اليمن وحدة طبيعية وسياسية، وحكامه منذ العصور

القديمة ملوك يمنيون، وسكانه قبائل يمنية بحتة ..الخ هو قول فيه الكثير من المبالغة بل المغالطة، وبعيد عن الواقعية، ولايؤيده التاريخ .. ودليل ذلك مايأتي[1]:

* أن البكرى[2] ذكر مواطن القبائل العدنانية، وتوزعها فى كثير من أقاليم شبه الجزيرة العربية ـ وسطها، وجنوبها، وشمالها ـ ممايتبين منه أن تلك البلدان والمواضع التى ذكرها شيخنا، ومنها المخلاف السليمانى، وعسير السراة، ونجران، كانت موطناً للعدنانيين قبل أن ينزح اليها القحطانيون، بل إنهم استوطنوا أجزاء من تهامة اليمن حالياً .. فضلاً عما قيل من نسبة كل من قبيلة عكّ، والأشعريين[3] إلى العدنانية، ولهذا السبب ألحق الرسول ﷺ أرضهم بولاية مكة.

* أن الهمدانى نفسه ـ وهو العلامة الثقة الأمين عند شيخنا ـ أشار عند ذكره نزوح بطون الأزد من موطنها الأصلى فى مأرب، إلى أنهم انتقلوا من موضع إلى آخر، بداخل أرض اليمن حتى انتهوا إلى أرض قبيلة عك بتهامة، ثم تنازعوا ووقعت الفرقة بينهم وبين كافة عك، فسارت بطون الأزد إلى أرض الحجاز فِرَقاً،

---

[1] أوضحنا ماأوجزناه هنا فى كتابنا المشار إليه سابقاً.

[2] معجم ماالستعجم، ج١، ص٥-٨٩.

[3] وماورد فى حديث الرسول ﷺ، فى شأن الأشعريين ".. يأتيكم أهل اليمن .." فقد فقد فسرت اليمن على الجهة، وليس على النسب للقحطانية. وانظر "البيان فى تاريخ جازان وعسير ونجران" ص١٧٢.

كـل فخـذ منهـم إلى بلــد، فمنهــم مــن نــزل الســراة، ومنهــم مــن تخلـف بمكـة، ومنهـم مـن سـار إلى الشـام. وعمـان. وغيرهـا[1].

وهـذا القـول الصريـح مـن الهمدانـى بـأن انتقـال بطـون الأزد مـن أرض قبيلـة عـك، كـان لأرض الحجـاز المجـاورة لهـا شمـالاً .. ولغيرهـا مـن الأمـاكن.

* أن انتقـال الأزديـين، أو القحطـانيين بصفـة عامـة، مـن موطنهـا الأصلى بـأرض اليمـن إلى تلـك المواطـن الجديـدة، سـواء فـى عسـير السـراة، وأحوازهـا، أو تهامـة الحجـاز، أو يـثرب، أو طيـئ، أو الشـام، أو العـراق، لم يكـن بغـرض ضـم تلـك المواطـن الجديـدة إلى الموطـن القديـم بـاليمن .. وإنمـا انقطعـت صلتهـم بـاليمن ـ فيمـا عـدا صلـة النسـب ـ وكـذا بـالخضوع للسـلطة فيـه، وأقـاموا تحالفـات مـع القبـائل المجـاورة لهـم، سـواء مـن العدنانيـة أو القحطانيـة، وحملـت المواطـن الجديـدة اسـم القبيلـة التـى نزلـت فيهـا، وأقـاموا ممـالك فـى شمـال شبـه الجزيـرة العربيـة، عندمـا واتتهـم الفرصـة لذلـك.

وألا تـرى أن ابنـى الجُلَنـدِىّ حـاكمى عُمـان، وهمـا مـن الأزد، الذيـن اتجهـوا إلى عمـان ـ واطلـق عليهـم أزد عمـان ـ واسـتوطنوها، كانـا حـاكمين مستقلَّين فيهـا عـن أيـة سـلطة، عنـد ظهـور الإسـلام،

---

[1] صفة جزيرة العرب، ص٣٧٠-٣٧٤.

وأن الرسول ﷺ، بعث لهما عمرو بن العاص رضى الله عنه، بخطاب خاطبهما فيه على أنهما حاكمان مستقلان، ولهما رعية، ودعاهما فيه إلى الاسلام .. هما ورعيتهما .. فأسلما[1].

* لوحظ أن شيخنا اعتبر كل أرض فى شبه الجزيرة العربية، وشمالها أيضاً، تقيم عليها قبائل تعود فى أصلها إلى القحطانية، أنها أرض يمنية، بعلّة أن سكانها يمنيون، أى يعودون فى أصلهم إلى القحطانية، ومنها: المخلاف، وعسير، وعمان، حتى البحرين، بل إنه أرخ لتلك المناطق فى كتابه هذا، بل وأرخ أيضاً للممالك التى قامت فى الشمال ـ ملوك الحيرة وغسان ـ من منطلق أنهم يمنيون، ولولا بُعد المسافة لادعى أن الأرض التى أقاموا عليها ممالكهم، هى أرض يمنية !! .. ولاريب أن هذا يُعد مغالطة، وبعيد عن الواقعية والموضوعية، ومخل بمنهج البحث، الذى حدده عنوان الكتاب عن اليمن، لااليمنيين (أى القحطانيين) فى شتى بقاع الأرض .. وفى الوقت نفسه دليل على التعصب الذى أثر على مصداقية الدراسة، ونزاهتها.

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير، ج٦، ص٢٥٨، وطبقات ابن سعد، ج١، ص٢٦٢، والطبرى، ج٣، ص٢٥٨.

# اختراع خريطة

قام شيخنا باختراع خريطة جغرافية صدّر بها كتابه، أطلق عليها مسمى "خريطة اليمن الطبيعية" جعل فيها حدود اليمن الشمالية تبدأ من "الليث" على البحر الأحمر (عند خط العرض ٢٠ تقريباً) وتمتد نحو الشمال الشرقى حتى سلوى، بشمال غرب دولة قطر (عند خط العرض ٢٥ تقريباً) وبهذا التحديد الحديث الاختراع، فإن اليمن يشمل كلاً من: دولة قطر، ودولة الإمارات العربية المتحدة، ودولة عُمان، بلاضافة إلى مساحات شاسعة من أرض المملكة العربية السعودية، تتمثل فى تهامة عسير ـ من الموَسّم جنوباً حتى الليث شمالاً، وما يقابل ذلك من عسير السراة، وبواديها، ونجران، وأكثر من نصف أرض اليمامة، ووادى الدواسر، والربع الخالى، وغير ذلك.

ماذا يريد شيخنا ـ سامحه الله ـ من هذا العمل أو بالأحرى ذلك الاختراع؟! .. أيريد أن يُعيدها جَذَعة[1] بين اليمن وجيرانه؟! .. خاصة وأنه يصيح فى أبناء جلدته، ويحفزهم على النهوض: .. ليعيدوا سيرتهم

---

[1] يعيدها جذعة: هى عبارة قالها الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصارى، لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما، فى مشادة بينهما يوم "اجتماع السقيفة، على سبيل التهديد باعادة الأمر ين العرب كما كان قبل الاسلام، فى فتنة دهماء، الطبرى ح٣، ص٢٢٠،٢٢١.

الأولى[1] .. فهيا بنا إلى مافوق النجوم لنبنى وطننا الحديث، ونعيد سالف أيامه الزاهرات[2].

لاشك أن حبّ الوطن أمر مطلوب من كل مواطن، لكن الشطط فى محبته هو خروج عن حد الاعتدال فى محبته، وهَوَس يؤدى إلى الهلاك، فلو أن شخصاً حمل سلاحاً، واندفع تحت وازع المحبة للوطن، باطلاق سلاحه على خصم لوطنه، قدم إليه لأى سبب كان، فهل يعتبر هذا محمدة منه؟! قطعاً لا.

والقلم أمانة فى يد صاحبه، لايسخره فى الشطط من القول، والعمل المشين، الذى يسئ إليه، وإلى دولته، بل وإلى دينه وجماعة المسلمين أيّاً كان موطنهم.

وفى العصر الحديث تكونت دول العالم، واستقرت أوضاعها سياسياً ومعالم حدودها جغرافياً، وينطبق هذا الوضع على دول المنطقة، اليمن وجيرانها .. وأصبح لكل منها كيانها المستقل، المعترف به دولياً، فلِمَ تثار الإحن والعداوات الدفينة؟! .. وتخترع تلك الخريطة التى ماأنزل الله بها من سلطان، ولم يجر لها نظير على لسان أحد من قبل؟! ولاتمت إلى الحقيقة، والواقع التاريخى فى قليل أو كثير .. فيما عدا إثارة الشحناء بين اليمن وجيرانه.

---

[1] ص٧.

[2] ص٩.

التاريخ يروى أنه أقيمت على أرض اليمن الحالية ـ فيما قبل الاسلام ـ دول كانت لها حضارات نعتز بها ونفخر، نحن العرب جميعاً، كمعين، وسبأ، وحمير، وقتبان، وكندة ..الخ .. ويروى أيضاً أنه أقيمت دولتان وأكثر، وتزامنت فى وقت واحد، وأقيمت مشاحنات وحروب بين تلك الدول، حتى أجهضت احداهما الأخرى، وقضت عليها، واستحوذت على أرضها، والتى لم يكن من بينها شئ من المواضع التى ذكرها شيخنا، فإنهم لم يأتوا إلى تلك الأماكن والمناطق إلا لغرض الغزو، أو تأديب قبائل وسط شبه الجزيرة العربية، التى كانت تغير أحياناً على أملاكهم، ثم يعودون إلى موطنهم الأصلى داخل أرض اليمن الحالية .. ولم يحاول أيٌّ منهم التفكير فى ضم تلك المناطق إليه، لأنها فى الغالب كانت مجدبة لاتثير أطماعهم، فضلاً عن أن معظم سكانها قبائل بادية رُحّل، ويأنفون من الخضوع لأية سلطة خارجة عن نفوذ رؤسائهم .. وجاء الإسلام وهم على هذا الوضع .. بينما الوضع على أرض اليمن كان مختلفاً، فقد كان فيه ترتيبات إدارية بمخاليف اليمن، تنضم وتشكل ولاية يرأسها والٍ تابع لنفوذ الفرس ذاك الوقت، ولم تمتد سلطة هذا الوالى إلى تلك المناطق والاراضى، وإنما كان خضوعها لرؤساء القبائل التى تتوطنها[1].

---

[1] أوضحنا ذلك فى كتابنا "البيان فى تاريخ حازان وعسير ونجران" كلٌّ بشواهده وأدلته التاريخية.

فمن الخطأ تجاهل تلك الحقائق، ثم إدعاء وقائع وهمية، وأخبار مبالغ فيها، اعتماداً على روايات الإخباريين، ثم الإقدام على عمل غير رشيد، لايتسم بالاتزان وحصافة الرأى .. يكون من نتيجته اختراع مثل تلك الخريطة، بوازع العمل على بعث الأمجاد الوطنية .. والضغط بذلك على من بيدهم القرار للإقدام على مغامرات مهلكة، ليس لليمن وحده وإنما للمنطقة بكاملها.

حفل التاريخ السياسى الدولى بوقائع مماثلة، كانت لها آثار سيئة على العلاقات بين الدول، ونشبت بسببها حروب مدمرة، لعل من بينها ماقام به "بينيتو موسولينى (١٨٨٣- ١٩٤٥م) دكتاتور إيطاليا السابق، مؤسس الحزب الفاشستى المتطرف وزعيمه المغامر، الذى قفز إلى الحكم فى اكتوبر ١٩٢٢م (١٣٤١هـ) بعد أن استطاع التأثير على الجماهير الساذجة من طوائف الشعب الإيطالى، بدعايات براقة وجذابة، لكنها فى الوقت نفسه كاذبة، لأنها كانت بعيدة عن الواقعية.

كان من بينها إعلانه العزم على بعث الامبراطورية الرومانية القديمة[١] والعمل على إحيائها باستعادة المناطق والبقاع التى كانت تابعة

---

[١] تأسست الجمهورية الرومانية فى القرن الخامس قبل الميلاد، وعاصمتها روما، ثم بسطت سلطانها بالتدريج على الدول اللاتينية المجاورة لها، وعلى الشعوب المحيطة بها، فاستولت على بعض أملاك قرطاجه، واتجهت نحو الشرق فاستولت على مقدونيا، وبعض املاك البطالمة، سوريا، والشام، ومصر، وقبرص.ومعظم بلاد الاغريق بتركيا حالياً، وأنشئت الامبراطورية الرومانية عام ٣١ قبل الميلاد، وأنشأ قسطنطين الأول (٣٣٠م) القسطنطينية وجعلها عاصمة للدولة الرومانية الشرقية (بيزنطة) التى استمرت حتى جاء الاسلام فقضى عليها.

لها، ومضى فطبع ملايين الخرائط للدولة الرومانية فى عز مجدها[1] وقام بتوزيعها داخل ايطاليا وخارجها، وصاحبها بدعايات لامثيل لها، أعلن على العالم أن البحر الأبيض المتوسط ماهو إلا بحيرة إيطالية، لأنه بحر روما العظيمة، وطالب شعبه بالاستعداد للعمل على استعادة كافة الأقطار والأمصار الواقعة على شاطئيه، لأنها كانت خاضعة للامبراطورية الرومانية العريقة، وكذلك استرداد الحبشة وماكان يتبعها قديماً، لأنها كانت أيضاً خاضعة للدولة الرومانية. وكانت اليمن من مخطط اطماع موسولينى، لأنها خضعت لحكم الحبشة فى فترة من الفترات .. وملأ الدنيا بمهاترات لامثيل لها من قبل.

بدأت الدول المجاورة لايطاليا تأخذ حذرها من أطماع موسولينى، وكذلك الدول الكبرى تعيد حساباتها للتصدى لأطماعه، وكان فى مقدمتها بريطانيا، التى حمل عليها حملة شديدة.

كان لايطاليا من قبلُ مستعمرة على الشاطئ الغربى للبحر الأحمر مجاورة للحبشة هى "أريتريا"، استولت عليها عام ١٨٦٤م (١٢٨١هـ) فما كان من موسولينى إلا أن أمر قواته الموجودة بأريتريا بالزحف على الحبشة يوم ٣أكتوبر ١٩٣٥م (٦رجب ١٣٥٤هـ) فاستولى عليها،

---

[1] ازدهرت الامبراطورية الرومانية فى نهاية القرن الثانى الميلادى، ثم أخذت فى الانحلال، فانقسمت عام ٣٩١م إلى قسمين: رومانية غربية: عاصمتها روما، ورومانية بيزنطية: عاصمتها القسطنطينية .. ويعتبر عام ٤٧٦ نهاية الامبراطورية الرومانية الغربية، وأما البيزنطية فنهايتها كانت على يد المسلمين فى أزمته متتالية، كان آخرها فتح القسطنطينية على يد السلطان العثمانى محمد الفاتح عام ١٤٥٣م (٨٥٧هـ).

وتدخل فى الحرب الأسبانية الأهلية (٣٦-١٩٣٩م) بغرض ايجاد نفوذ له داخل أسبانيا، ثم استولى على ألبانيا عام ١٩٣٩م، ورأى فعى "أدولف هتلر" زعيم ألمانيا ودكتاتورها، مايوافق طباعه، ويحقق نزعته التوسعية، فتحالف معه عام ١٩٣٩م، على أمل اقتسام العالم بينهما، ودخل الحرب العالمية الثانية إلى جانبه عام ١٩٤٠م. وانتهت الحرب بانتهاء حياة كل منهما، وضياع بلديهما، بما كانت تحوزانه من أملاك ومستعمرات ونالهما الخراب والدمار[1].

وشاهد آخر معاصر، مازالت أحداثه تدوى فى أسماعنا، وأسماع العالم أجمع، وما انفكت أثاره المدمرة تمزق وحدة الصف العربى، ونزيف جراحه تنسكب بغزاره، وهول مأساته تئن لها القلوب ألماً وحزناً .. ذلك الشاهد المعاصر هو المتمثل فى التهور الذى قام به النظام العراقى فى اكتساح دولة الكويت فى ٥ سبتمبر ١٩٩٠م (١٥ صفر ١٤١١هـ) والعمل على محوها من الوجود، بدعوى أنها جزء من العراق.. ويعلم ثقاة المؤرخين ومنصفوهم أنه ادعاء كاذب تاريخياً، وواقعياً، ومنطقياً، وعمل مخالف لكل الأعراف والقوانين الدولية، وقبل ذلك كله هو مخالف لمبادئ الإسلام، وأخلاقياته، وفضائله، ويتنافى مع الطباع العربية الأصيلة التى تأبى الغدر والخداع .. ولذلك استنكر العالم هذا العمل المتهور .. وشارك فى إزالته .. وهو فى أشد العجب مما يصنعه العرب بالعرب!!.

---

[1] امين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص٣٩١-٣٩٧، والموسوعة العربية الميسرة.

فماذا تريد ياشيخنا من خريطتك، والغمز واللمز فى ثانيا كتابك؟! هل تريد دفع من بيدهم الأمر للإقدام على عمل متهور، غير محمود العواقب؟! .. ونحمد الله أن ليس من بين أولى الأمر فى اليمن من يماثل موسولينى وغيره، وإنما هم حكماء عقلاء، يزنون الأمور بمعيار دقيق .. نحمد الله كثيراً أن توجهاتهم كانت إلى الوفاق والاتفاق مع جيران اليمن بلا استثناء.

## المنّ والتباهى

ونلحظ أن قلم شيخنا ــ سامحه الله ــ يفيض بعبارات التباهى والتعالى والخيلاء فى سبيل إحياء العصبية العرقية، وإثارة العاطفة بالأمجاد السالفة بهدف التجمع والتحزب لتلك العرقية، ونسبة الكثير من أمجاد الإسلام ومفاخره إلى جهود الأجداد اليمنيين وحدهم .. بل المنّ والامتنان بجهودهم فى الأمور الدينية ..من ذلك قوله[1]:

**إن الأمة اليمنية ــ ولله الحمد ــ وهُمُ الملأ، صانعو التاريخ، ومخترعو الحضارة، أنصار الإسلام، ومدوخو الممالك والأمصار.**

وقوله[2]:

---

[1] ص٩.

[2] ص٢٦.

**أمـا أيـام الفتـح الإسـلامي، وتدفـق هجرتهـم وانسـياحهم شـرقاً وغربـاً، فـلا يحتـاج النهـار إلى دليـل، فهـم الذيـن دوخـوا الدنيـا، وسـلبو مملكتـي فـارس والـروم، وفتحـوا مصـر، وأفريقيـا، والأندلـس، وخفقـت أعلامهـم علـى جبـال البرانس[1] وأطلـوا علـى الأرض الكبـيرة (فرنسـا) بقيـادة الزعيـم اليمنـي الكبـير (هكـذا !..) عبـد الرحمـن الغـافقي، وبلغـوا القاصيـة، وقبضـوا علـى الناصيـة، وأدخلـوا الإسـلام إلى كـل رقعـة مـن المعمـورة.**

فهـو هنـا قـد حصـر كـل أمجـاد الاسـلام، وفتوحاتـه، ودخولـه إلى كـل رقعة مـن المعمـورة، على جهـود الأمـة اليمنيـة، الذيـن لولاهـم لما كـانت هنـاك أمجـاد، ولافتوحـات، ولاتواجـد على أيـة بقعـة مـن المعمـورة .. مغمضياً الطـرف عـن جهـود غـيرهم مـن أحيـاء العـرب، وقـادة تلـك الجيـوش .. بـل جهـود الأمـم التـى دخلـت الاسـلام عـن رغبـة لارهبـة، ووجـدوا فيـه الهدايـة إلى طريـق الحـق، والصـراط المستقيم، فكـانوا جنـوداً مرابطـين فىسـبيل ا لله.

هـذا بالاضافـة إلى إثـارة العاطفـة لإحيـاء العصبيـة العرقيـة الجاهليـة، التـى وأدهـا الاسـلام، وأذابتهـا حـرارة الإيمـان التـى توهّجـت منهـا قلـوب المسـلمين الأوائـل، حـين آخـى الرسـول ﷺ، بـين المهـاجرين والأنصـار، غـداة هجرتـه إلى المدينـة المنـورة، فكـانوا فـى ظـلال الاسـلام إخوانـا فـى ا لله، يجـاهدون فـى

---

[1] سلسلة جبال البرانس، تقع فى الجنوب الغربى لأوربا، تفصل شبه جزيرة ايبريا عن سائر اوربا، وتفصل فرنسا عن اسبانيا، تمتد حوالى ٤٣٥ كيلو متر، من خليج بسكاى فى الغرب إلى البحر الأبيض المتوسط فى الشرق.

سبيله صفاً واحداً، سمت نفوسهم عن نوازع العصبية العرقية، فدانت لهم الممالك والأمصار.

ويقول[1]:

**ولشعور اليمنين بحتمية التاريخ، أرشدوا الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، إلى وضع التاريخ الهجرى، وذلك أن رسائل الخليفة المذكور كانت ترد إلى عامله بالكوفة، أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، غير مؤرخة، فيستنكر عليه ذلك، ويكتب إليه مرشداً له، فى وضع تاريخ الإسلام من جديد، فجمع عمر أكابر الصحابة ليتشاور معهم فى وضع تاريخ للإسلام، ومتى يكون ابتداؤه؟، وبينما هم فى تبادل الآراء إذ قدم من اليمن رجل فقال: يأمير المؤمنين، رأيت فى اليمن شيئاً يسمونه بالتاريخ، يكتبونه من عام كذا، وشهر كذا، فقال عمر: هذا حسن فأرخوا، فمن ذلك الحين ابتدأ التاريخ الهجرى.**

**وعلى ضوء هذه الارشادات والمعلومات سُجل التاريخ، واجتمع رأيهم أن يبتدئ من العام الهجرى، ومن أول المحرم.**

**وأول من أرخ الكتب يعلى بن أمية، بحكم ولايته لليمن، واقتباس التاريخ منهم.**

---

[1] ص١٤.

ولاريب أن نزعة التفاخر والتباهي دفعت شيخنا إلى المبالغة في القول، وإيراد الحقائق التاريخية التي تمس الأمور الدينية، والاتيان بها على نحو يحقق تلك النزعة، حتى لو خالفت من بعض الوجوه الحقيقة والواقع.

فبداية ورود فكرة الأخذ بالتاريخ إلى ذهن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يذكرها ابن الجوزي[1] في رواية عن ميمون بن مهران، من أنه: دُفِعَ إلى عمر رضي الله عنه، صَكٌّ محله في شعبان، قال عمر: شعبان هذا الذي مضى، أو الذي هو آت، أو هو الذي نحن فيه، ثم جمع أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لهم ضعوا للناس شيئاً يعرفونه، فقال قائل: اكتبوا على تاريخ الروم، وقائل على تاريخ الفرس، ثم اجتمع رأيهم عل أن يكتبوا من تاريخ الهجرة .. ثم أورد رواية أخرى عن سعيد بن المسيب، بأن الامام على بن أبي طالب رضي الله عنه، هو الذي أشار بكتابة التاريخ ابتداء من هجرة الرسول ﷺ. وأن الصحابه أجمعوا على ذلك.

ويورد أبو هلال العسكري[2]: أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه ـ حين كان والياً على الكوفة ـ كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ـ في شأن خطاب وصله من الخليفة ـ يقول: إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين

---

[1] انظر كتاب "مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب" لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق، د. زينب ابراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٦٠.

[2] كتاب "الأوائل" بتحقيق د. وليد قصاب، ومحمد المصري، دار العلوم بالرياض، ج١، ص٢٢٧.

كتب لاندرى على أيها نعمل، قد قرأنا صكاًمنه (أى من الخليفة) محله شعبان، فما ندرى أيّ الشعبانين، الماضى أم الآتى؟. فجمع عمر الناس واستشارهم، فتداولوا الأمر بينهم، إلى أن اجتمع رأيهم على أن يكتبوه من تاريخ الهجرة.

والطبرى[1] يورد رواية سعيد بن المسيب رضى الله عنه، من أن عمر جمع الناس فى شهر ربيع الأول من عام ١٦هـ، واستشارهم فى أى يوم نكتب، فتداولوا الأمر بينهم، ثم قال على بن أبى طالب: نكتب من يوم هاجر رسول الله ﷺ، وترك أرض الشرك، ففعله عمر.

من ذلك يتضح أن ورود الفكرة، سواء كانت قد طرأت على ذهن الخليفة مباشرة، أو من أحد عماله هى فكرة إسلامية أصلاً، وليست من وحي التكتل العصبى، وأن الذى أشار ببداية التاريخ بالهجرة هو الامام على بن أبى طالب، فى الغالب، وأنه إذا كانت هناك منقبة فى ذلك فإنها تحسب لأمير المؤمنين عمر رضى الله عنه، الذى نفذ هذه الفكرة. وأمر بتعميمها على الولاة، وكان يعلى بن أمية أول والٍ يبعث إلى أمير المؤمنين كتاباً مؤرخاً بعد هذا التعميم .. وليس لكونه اقتبس التاريخ من أهل اليمن، بحكم ولايته لها.

---

[1] تاريخ الطبرى، ج٣، ص٣٨،٣٩، والبداية والنهاية لابن كثير، ج٧، ص٨٢، وطبقات ابن سعد، ج٣، ص٣٨١.

ثـم إن قبيلتـى عـكّ، والأشـعريين، اللتين ينتسـب إليهمـا كـل مـن: عبـد الرحمن الغـافقى، وأبـو موسـى الأشـعرى اختلـف النسـابون فـى أصلهمـا، فمنهـم مـن يرجعهمـا إلى عدنـان، ومنهـم مـن يرجعهمـا إلى قحطـان، ونسبتهما إلى عدنـان أرجـح، بدليـل أن الرسـول ﷺ، ألحـق أرضهمـا بولايـة مكة عنـد ترتيبـه للولايـات[1] كمـا أن عبيـد بـن شـرية الجرهمـى، هـو مـن بقايـا جرهم البائدة أى التى بـادت، وهـى ليسـت مـن قحطـان علـى أرجـح الأقـوال، وحسـب تقسيمات طبقـات العـرب.

وعنـد ذكـره طبقـات العـرب، أورد مـن بينهـم العـرب المسـتعربة، وهـم العدنـانيون أبنـاء نبـى الله اسماعيل عليـه السـلام، وقـال: إنـه صـاهر جُرهـم الأولى، فتعلـم منهـم العربيـة، مستشـهداً علـى أن العدنـانيين أخـذوا العربيـة عـن بنـى قحطـان، ببيتـى شـعر نسـبهما إلى الصحـابى حسـان بـن ثـابت رضـى الله عنه، همـا:

تعلمتمو من منطق الشيخ يعـرب — أبينا فصرتم معربين ذوى نَجْـر[2]

وكنتم قديماً مابكم غـير عجمـة — كلاماً وكنتم كالبهائم فى القَفْـر

والشـطر الأخـير للبيـت الثـانى منهمـا فيـه إسـاءة واضحـة للعدنـانيين بصفة عامة، ويسـتبعد أن يكـون مثـل هـذا القـول صـدر عـن حسـان بـن ثـابت،

---

[1] ذكرنا تفصيل ذلك فى كتابنا "البيان فى تاريخ جازان وعسير ونجران" ص٢٨٦.

[2] نجر: أى ذوو لسان وكلام بين واضح.

وغـالب الظـن أنهمـا نُسبا إليـه خـلال الفـترات التـى نشبت فيهـا عصبيــة بــين العدنانيـة والقحطانيـة .. فحسـان بـن ثـابت الـذى كــان يعـرف جيـداً مواقـع الكَلـم، ومدلـول الألفـاظ، ومعانيهـا، الحقيقـى منهـا والمجـازى، شــاعر الرسـول ﷺ، الـذى نـافح عنـه، فـى كثـير مـن المواطـن، بالهـام مـن الله .. هـو أجـلّ مـن أن يصـدر عنـه مثـل ذلـك القـول .. ألا تــرى أنـه اسـتاذن الرسـول ﷺ لـيرد علـى شعراء مشـركى قريـش، حـين هَجَـوْا رسـول الله، فقــال لـه الرسـول: كيـف تهجـو قريشـاً وأنـا منهـم، قـال: سأسُلّك منهـم كمـا تُسـلُّ الشعرةُ مـن العجـين[1].

وأيّـاً مـايكن فهـذه نمـاذج ممـا حفـل بــه هــذا المؤلـف، وكــان الأحـرى بشـيخنا ــ سـامحه الله وغفـر لـه ــ أن يوظـف جهـده العلمـى ليـدور فـى نطــاق المبدأ القرآنـى الكريـم "إنمـا المؤمنـون إخـوة فـأصلحوا بـين أخويكـم"[2].

---

[1] الاصابة فى تمييز الصحابة، لابن حجر، عند ترجمته لحسان بن ثابت رضى الله عنه. وانظر حاشية ابن الأمير على مغنى اللبيب، ج١، ص١٠١ طبعة الحلبى.

[2] سورة الحجرات، أية ١٠.

# كتاب

# صفة جزيرة العرب

## لأبي محمد، الحسن بن أحمد الهمداني

تُعدّ شخصية الهمداني[1] من أبرز الشخصيات العلمية التى تضاربت حولها الآراء بين مادح وقادح، ومفرط فى الثناء عليه، ومغالى فى النيل منه، لكنه بشهادة المنصفين عالم مافى ذلك شك، متبحر فى العلوم التى صنف فيها، ولولاه لما عُرِف الكثير عن تاريخ ملوك حمير وأخبارها،

---

(1) هو: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، ويعرف بابن يعقوب، وبالنسابة، وبابن الحائك، وابن ذى الدمنة، ولسان اليمن، من أرحب من بكيل من همدان، ولد يوم ١٩ صفر ٢٨٠هـ (١٠ مايو ٨٩٣م) بصنعاء، ولما اشتد ساعده شارك أهله فى أعمال الجمالة لنقل التجارة والحجاج من اليمن إلى مكة، وربما أكسبه ذلك زيادة معرفة باسماء الأماكن والمواضع، وفى إحدى تلك الرحلات تخلف فى مكة طلباً للعلم، فجاور فيها، وأخذ عن علمائها، كما أخذ من قبل عن علماء اليمن، تلقى الكثير من المعلومات سماعاً ومشافهة ممن يتوسم فيه المعرفة من أهل بلده، عن تاريخها وأخبارها، نشأ فى صنعاء، وانتقل إلى "ريدة" ثم صعدة، وهاجى شعراءها، فناصوه العداء، وتعصب للقحطانية على حساب العدنانية، فنسبوا إليه أبياتاً "عَرّض فيها بالنبى ﷺ، وبآل بيته" فحبس، من تصانيفه: كتاب الاكليل، فى عشرة مجلدات، فى أنساب حمير، وأخبارها، وأيام ملوكها، وكتاب: سرائر الحكمة، والجوهرتين، والدامغة، وشرحها، والابل، وصفة جزيرة العرب، الذى بين أيدينا لهذه الدراسة الموجزة، وهو مطبوع بتحقيق شيخنا محمد بن على الاكوع الحوالى، وأشرف على طباعته بدار اليمامة، أستاذنا الشيخ حمد الجاسر.

وانظر لترجمة الهمداني بتوسع: تقديم طبعة كتاب "صفة جزيرة العرب" المشار إليها، للشيخ حمد الجاسر، وتقديم طبعة الجزء العاشر من الاكليل، للاستاذ محب الدين الخطيب، وإنباه الرواة للقفطى ٢٧٩/١، وبغية الوعاة للسيوطى: ٢١٧ والأعلام للزركلى، ١٩٢/٢ وغير ذلك.

وأنسابها، ولما عُرِف الكثير من مجاهيل اليمن وبقاعها، لكن يعيبه أنه لم يكتف بالعلم والتصنيف فيه، وإنما خاض غمار السياسة، فأصيب برذاذها.

ولأن البيئة المحيطة بالإنسان يكون لها أثرها الفعال فى تكوين شخصيته، خلال مراحل نموه ونشأته، بما يكتسبه من خلال وسمات مكتسبة، وذلك فى رأى علماء النفس، فإن الهمدانى الذى ولد ونشأ فى صنعاء، قد تفتحت عيناه ـ خلال نشأته ـ على صراعات دموية، وفكرية، تجتاح صنعاء فى الفترة من عام ٢٨٢هـ ـ ٣٠٠هـ، فيما بين فئات متباينة فكرياً وسياسياً، حيث انتهز الدعام بن ابراهيم عودة عامل الخلافة العباسية، أحمد بن الحسين جفتم[1] إلى مقر الخلافة ببغداد، واستولى على صنعاء، لكن مالبث ابراهيم بن يُعفر الحوالى أن استردها منه، واستمرت فى يد ابنه أسعد بعد وفاته، ثم ظهرت القرامطة باليمن، على يد على بن الفضل، ومنصور بن الحسن، يدعوان لمذهب الباطنية، وفكرها الهدام، يتظاهران بالتشيع لآل البيت، والورع والتقوى، والعمل على التوفيق بين مصالح الناس على اختلاف طبقاتهم لحين ظهور المهدى المنتظر.. واستطاعوا أن يجذبوا إليهم كثيراً من العامة، وحشداً من القبائل، ودخلوا حلبة الصراع على أرض اليمن، للاستحواذ على السلطة، وكانت صنعاء هدفاً لهم، فحاربوا ابن أبى يعفر، وابن كبالة، واستمرت الحروب

[1] كان جفتم عاملاً على اليمن للخليفة المعتمد (٢٥٦هـ ـ ٢٧٩هـ) ثم المعتضد (٢٧٩ ـ ٢٨٩هـ) وفترة من عهد المكتفى (٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ) ويبدو أنه لم يكن يقيم فيها كل هذه الفترة، وتركها لنائبه ابن يعفر الحوالى. لكن ابن يعفر اختلف معه عند عودته عام ٢٩٣هـ، ثم قتله.

بينهم على فترات متقطعة، وكان القرامطة يفعلون الأفاعيل بأهل صنعاء عندما يستولون عليها، فيستبيحون أموالهم وأنفسهم، وكذلك دخل الامام الهادى حلبة الصراع لمحاربة القرامطة عام ٢٩٧هـ، عندما استغاث به أهل صنعاء .. واستمر هذا الصراع حتى فقدت صنعاء الأمان والاستقرار، فهجرها كثير من أهلها[١].

والتجارة من أولى التعاملات التى لاتنمو غالباً إلا فى جو من الاستقرار والأمان، وبيت الهمدانى، بما فيه والده وأعمامه وبنو عمومته، كان معظمهم يزاول التجارة، والحمالة على الإبل، لذا كانوا من أوائل من تأثر بهذا الصراع، الذى لم يكن لهم فيه ناقة ولا جمل، ويبدو أن هذا كان هو السبب فى انتقالهم من صنعاء إلى "ريدة" قبيل رحيل الهمدانى لطلب العلم بمكة المكرمة، أوائل القرن الرابع الهجرى.

يضاف إلى هذا الجو الفكرى المتباين، بين أفكار دعاة الباطنية، واتخاذ الدين وسيلة إلى نحلتهم الإباحية[٢] وبين دعاة المذهب الزيدى، والتشيع لآل البيت بصفة عامة، ومايتضمنه المذهب الزيدى فى الأصول والفقه، وغير ذلك. ثم ماكان يلتزم به أهل تلك البلاد قبل وفود المذاهب الوافدة، مما يسير عليه أهل السنة والجماعة لاسيما وأن ظهور المذهب

---

[١] انظر فيما سبق "تاريخ اليمن الاسلامى" لابن المطاع، ص٧٣-١٤٤.

[٢] يقول ابن المطاع فى تاريخه المشار إليه ص١٤٣: إن ابن فضل أظهر عام ٢٩٧هـ، نحلته الإباحية المجوسية، وأسفر ماكان يخفيه تقية، فأباح شرب الخمر، وسائر المنكرات، وصرف الناس عن الحج.

الشافعى فى بلاد اليمن بدأ عام ٣٠٠هـ، وقيل: ظهر فى المائة الرابعة من الهجرة[١] ثم دور عملاء الدولة العباسية ومشايعيها، من أبناء اليمن وغيرهم، ودور الأبناء من أصل فارسى، واستحواذهم على كثير من المناجم والمزارع فى البلاد، ودور الوافدين خلف المذاهب الناشئة فى البلاد، أو الباحثين عن أدوار سياسية، أو لغير ذلك من مختلف الأغراض.

فى هذا البحر الزاخر بالأمواج المتلاطمة، بدأت عوامل الانفعال النفسى تتفاعل فى صدر الهمدانى، صاحب الطموح الواسع، والأفق المتّقد ذكاءً، وتصنع منه الشخصية الناقمة على الأوضاع السياسية والفكرية التى تجتاح موطنه، الثائر على تردى الأوضاع فيه، الباحث عن مخرج يعيد له سيرته الأولى.

اختار سلاح العلم ليتسلح به بدلاً من السلاح الدامى القاتل الفتاك، الذى يستعمله هؤلاء وأولئك، ولأنه لم يكن قد نضج علمياً وفكرياً فى نهاية القرن الثالث الهجرى (٣٠٠هـ) فإنه فى بداية القرن الرابع الهجرى، كان شغله الشاغل هو طلب العلم، فرحل إلى مكة المكرمة، وأخذ عن علمائها. ومنهم الخضر بن داوود. الذى اجتمع به فى مكة عام ٣٠٧هـ[٢] ثم عاد إلى موطنه، واستقر فى صعدة، وهى يومئذ مركز السلطة للأئمة، وكانت الزعامات القرمطية، الممثلة فى ابن الفضل وابن حوشب، قد

---

[١] ابن المطاع، المصدر السابق، ص١٤٩.

[٢] مقدمة المشرف على طباعة " صفة جزيرة العرب" الشيخ حمد الجاسر، ص٩.

انتهت، وإن كان أشياعها مايزالون، وكذلك الفئات الأخرى التي تبحث عن السلطة.

كان من الطبيعي أن يصطدم الهمداني مع مشايعي الأئمة في عهد الامام الناصر (٣٠١هـ — ٣٢٢هـ)، لأنه ينشد إعادة وطنه في كيانه المتوحد، ولا يتم ذلك إلا باذابة تلك الخلافات، وتصفية تلك الدويلات، تحت سلطة واحدة آياً كانت، وهم ينشدون تصفية الدويلات المنافسة لهم، لحساب السلطة الامامية .. ويبدو أن الحوار تطور وتناول مسألة الخلافة هل هي وقف على قريش؟ أم لها ولغيرها؟.

وبالتالي تطور الأمر إلى تناول مفاخر كل من العدنانية والقحطانية.. وأثار ذلك ماهو معتمل وكامن في جوانح الهمداني، فأطلق لقلمه العنان، وللسانه الإسهاب، فألف الكتب في تاريخ ملوك سبأ وحمير، وأنسابهم وأخبارهم، وأيامهم، ليثبت للقاصي والداني أنهم وصلوا إلى مالم يصل إليه العدنانيون، وألف في فضائل قحطان، وتفاخر في الدامغة وشرحها على عدنان، ونظم القصائد رداً على بعض الشعراء العدنانيين من حاشية الامام[1]، الذين تطاولوا على بعض قبائل وبيوتات اليمن، كالحسين بن على بن الحسن بن القاسم الرسي، وأبي الحسن بن أبي الأسد السلمي، وأيوب بن محمد البرسمي، فناصبوه العداء، وتألبوا عليه، وأبلغوا الامام الناصر أن الهمداني قد هجا النبي ﷺ، فتوعده الناصر، وخرج الهمداني

---

[1] مقدمة كتاب "صفة جزيرة العرب" ص١٤.

خفية من صعدة إلى صنعاء، فكتب الناصر إلى الأمير أسعد بن أبى يعفر، بشأن الهمدانى، وهجائه .. فأخذه ابن أبى يعفر وأودعه سجن صنعاء، يوم ٢٤ شوال ٣١٩هـ، فقضى فيه ٦٤٩يوماً وخلال سجنه نظم بعض القصائد لإثارة القبائل، وبخاصة الهمدانية ضد حكم الناصر، فاستجابت لصرخة الهمدانى حميَّة له، ووقعت حروب بينها وبين الإمام الناصر .. كان من أثرها اهتزاز ملك الناصر، ومقتل أخيه الحسن، ثم وفاة الناصر بعدها عام ٣٢٢هـ.

من ذلك كله تتضح الدوافع التى ولّدت لدى الهمدانى الرغبة الجامحة فى الاعتزاز والتفاخر بعرقيته القحطانية، والتعصب لها إلى أقصى مدى، وبالتالى التعصب إلى موطنه إلى درجة الغلوّ.

يقول الاستاذ محب الدين الخطيب، بعد أن أثنى عليه: وأثبَتُ نزعات الهمدانى همدانيتُه، ويمنيتُه، فهى لونه الثابت الذى كان يحب أن يصبغ به كل مايقع نظره عليه، ومن هنا أُتِىَ، فإن الإسلام ـــ كما قال الإمام الشافعى ـ لايَعدُّ من العصبية أن يُحب الرجل قومه، ويشيد بمآثرهم، بل يقدح بها (أى يقذف بها) إذا غمطت الحق، وعارضت أهله. وأنا (الكلام للخطيب) قد راقبت المؤلف (يقصد الهمدانى) فرأيته يثبت حقائق العلم على صحتها مااستطاع، فى كل مالايمس همدانيته ويمنيته، فإذا لامس العلم هذا الجانب الحساس من المؤلف وجد فيه ضعفاً، نرجو الله

سبحانه أن يغفر له[1] وقد لاحظ عليه بعض الأشياء ذكرها أثناء تحقيقه للجزء العاشر، وأشار إليها فى موضعها بكل صفحة.

ويقول أستاذنا حمد الجاسر: يؤخذ على الهمدانى أمور: منها شدة تعصبه، شدةً قد تحيد به فى بعض الأحيان عن جادة الصواب، وكتاب "شرح الدامغة" أوضح دليل على ذلك[2]. كما لاحظ أستاذنا الجاسر بعض الملاحظات، ذكرها فى مقدمة طبعة كتاب "صفة جزيرة العرب" التى أشرف على طباعتها[3].

ولاحظ عليه الأخ الأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى، فى مقالة بعنوان "أكاذيب الهمدانى" نشرت بمجلة العرب، الجزء ١،٢ للسنة ٣٠- رجب/شعبان ١٤١٥هـ (يناير/فبراير ١٩٩٥م) ص٦٧، وتعقيب على المقالة فى الجزء نفسه لأستاذنا الجاسر.

ونقل ابن المطاع بعض ماقاله صاحب "اللآلئ المضيئة"[4] عن الهمدانى: كان من أهل النّصب[5] والعداوة لآل البيت، وكان كثير الافتراء فى النسب مع معرفته به. ثم ذكر بعض أقوال من اثنوا عليه، ثم قال:

---

[1] انظر مقدمة الطبعة الأولى من الجزء العاشر من كتاب الاكليل.

[2] مقدمة كتاب "صفة جزيرة العرب" ص١١.

[3] ص١١-١٣.

[4] تأليف أحمد بن محمد بن ابراهيم الشرفى، توفى عام ١٠٥٥هـ.

[5] أى الذين ينصبون الشر والعداوة.

وقد تناولت أقلام اليمنيين الهمدانى نقداً وتفنيداً، ونسبوا إليه وفراً من النقائص والملامات[1].

وعلى كل فنحن لانحاول جمع ماأُخذ أو لُوحظ عليه، دون ماغُمر به من ثناء، لأن الثناء والتزكية توجه إلى المرء لاتقان عملٍ ما، وهو المطلوب من كل امرئ، لبذل أقصى الوسع والطاقة فى اتقان عمله أيا كان .. أما المآخذ فهى للإشارة إلى نوع من التقصير أو الخطأ، وهى غالباً تحمل إضافة وإفادة وتكملة لما رآه الناقد من تقصير أو خطأ .. فهى أحياناً أولى بالذكر من تلك. نظراً لما تحمله من إضافة أو إفادة.

ثم إنه فى مناهج علم البحث الحديثة أن من أوائل السمات التى يجب أن تتوافر فى الباحث: أن يكون موضوعياً فى بحثه، بعيداً عن الأهواء، يثبت مايراه صواباً، وماتقوده إليه الأدلة من أنه هو الحق، حتى لو خالفت رأيه وهواء، بحيث يضعها أمام الباحث الفاحص الناقد، فلايجد مناصاً من الاقتناع والاقرار بها.

وضَعْفُ الهمدانى أمام همدانيته ويمنيته، كما قال الاستاذ محب الخطيب، هى التى دفعته إلى الغلو فى العصبية، بدافع من التداعيات النفسية، للأحداث التى عاصرها، ولاقى منها مالاقى .. ونحن حقيقة نعذره، لولا أنها تمس مسائل علمية، أتى بعده من اعتمدها وأقرها،

---

[1] كتاب "تاريخ اليمن الاسلامى من سنة ٢٠٤هـ إلى سنة ١٠٠٦هـ" تحقيق عبد الله محمد الحبشى، ص١٦٢-١٦٤.

وحجته أو دليله، هو أن الهمدانى قال بها .. ثم استُغلت على نحو ما فى قضايا سياسية.

وأياً ماكانت معاناة الهمدانى، التى دفعته إلى نزع حلية العلماء المتمثلة فى التواضع والوقار والسماحة، ثم الجنوح إلى المغالاة فى العصبية، التى وأدها الإسلام، فإنها كانت السبب فى تحيزه علمياً فى بعض الأحيان، وكانت هى السبب أيضاً فى بعض المآخذ التى أُخذت عليه، مما أشرنا إليه سابقاً، كما يُؤخذ عليه أيضا مايأتى:

## تحديد حدود اليمن

قال الهمدانى، عند تحديده حدود اليمن: ويفصل بينها (أى بين اليمن) وبين باقى جزيرة العرب، خط يأخذ من حدود عمان، ويبرين، إلى حد مابين اليمن واليمامة، فإلى حدود الهُجيْرة، وتثليث، وأنهار جرش، وكتنة، منحدراً فى السراة على شعف عنز، إلى تهامة على أم جحدم، إلى البحر حذاء جبل يقال له كدّمّل (كُتُمبل) بالقرب من حمضة[1].

ويلاحظ على الهمدانى فى هذا التحديد الآتى:

---

[1] انظر "صفة جزيرة العرب" ص٦٥، وسبق أن أوردنا هذا النص، لتقصى ماقاله شيخنا الأكوع فى كتابه الذى تناولناه فىهذه الدراسة، انظر ص١٧٠-١٧٧ من هذه الدراسة، ونعيد نص الهمدانى هنا لاضافة بعض المآخذ.

١- أنه ناقض نفسه، فقد أشار في موضع آخر من كتابه[1] هذا عند تعرضه لنزوح بطون الأزد من موطنها الأصلي في مأرب عند انهيار السد، أنهم انتقلوا من موضع إلى آخر، داخل أرض اليمن، حتى انتهوا إلى أرض عكّ بتهامة، ثم تنازعوا ووقعت الفرقة بينهم وبين كافة عكّ، فسارت بطون الأزد إلى أرض الحجاز فرقاً، فصار كل فخذ منهم إلى بلد، فمنهم من نزل السروات، ومنهم من تخلف بمكة وماحولها.

فهذا القول الصريح من الهمداني يفيد بأن انتقال بطون الأزد من أرض قبيلة عكّ (وهي بتهامة اليمن، زبيد وماحولها حالياً) إنما كان إلى أرض الحجاز، أي أن مابعد أرض عكّ شمالاً يعد من أرض الحجاز، منذ ماقبل الإسلام، أي قبل هجرة الأزد، واستمر الوضع فيها معروفاً هكذا حتى جاء الاسلام، ولذا فإن الرسول ﷺ، أثبتها على وضعها السابق، وجعلها امتداداً لولاية مكة، عند ترتيبه ﷺ للولايات في بداية تكوين الدولة الاسلامية[2] وهذا الأمر كان معروفاً لدى العلماء المؤرخين، وسجله فيما بعد الطبري وغيره[3]، لكن الهمداني تجاهل ذلك.

---

[1] انظر ص٣٧٠-٣٧٤.

[2] شرحنا ذلك بالتفصيل في كتابنا "البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران" ص١٦٩-١٨٠.

[3] أشرنا إلى ماقاله هؤلاء المؤرخين القدامى في كتابنا المشار إليه، في نفس الصفحات.

ونسى أنه أشار إلى تلك الحقيقة دون قصد، عند ذكره هجرة بطون الأزد.

٢- أن البكرى[١] ذكر مواطن القبائل العدنانية، وتوزعها فى كثير من المواطن فى شبه الجزيرة العربية، فيما قبل الاسلام، ومنها ماتخذ أرض اليمن حالياً موطناً له، وذلك استناداً إلى حديث روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، واللافت للنظر أن الهمدانى أورد جزءاً من حديث ابن عباس، ولكنه لم يكمله مثلما أكمله البكرى. وهذا يعنى أن الهمدانى اطلع عليه، وتحاشى إكماله، والاشارة لباقى محتواه من توزع القبائل العدنانية فى المواطن التى انتشروا فيها، واستوطنوها، لأن ذلك لايخدم غرضه، ولايفيد بمنيته الطموحة.

٣- أنه اطلع على كتاب "المسالك والممالك" لابن خرداذبة، المعاصر له[٢] ونقل عنه فى شرحه للدامغة، وعده من الشعوبية، كما قال أستاذنا الجاسر[٣] وابن خرداذبة ذكر فى كتابه هذا أن موضع "طلحة الملك" هى الحد الفاصل، الذى حدّه الرسول ﷺ، فيما بين الحجاز واليمن، وقال بذلك أيضاً كثير من

---

[١] معجم ماستعجم، ج١، ص٥-٨٩.

[٢] أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة، أطلق عليه مولى أمير المؤمنين، لأنه نشأ وعاش فى ديوان الخلافة العباسية. فقد كان جده أحد مواليهم.

[٣] مقدمة طبعة كتاب "صفة جزيرة العرب" ص١٠.

المؤرخين والجغرافيين القدامى، وهى تبعد عن صعدة بحوالى ٧٥ كيلو متراً، وسبق أن تعرضنا لها[1] لكن الهمدانى تجاهل ذلك، ولم يذكرها أو يعلق عليها، وإنما أشار لها إشارة خفية حين أتى ذكرها عرضاً. ثم إن هذا التحديد يتناقض أيضاً مع ماقاله فى الكتاب نفسه (ص٣٣٩) من أن كتنة هى أول حد الحجاز، وكتنة هذه كانت تقع فى المنتهى الجنوبى، لأرض قحطان الجنوب حالياً، أى بالقرب من الحدود الحالية.

٤- إن هذا التحديد يعتبر رأياً شخصياً للهمدانى، غير مسبوق، دفعه للقول به تعصبه المغالى فيه نحو يمنيته، وقدمه دون دليل، وهو بذلك يعتبر فى معرض الاحتجاج واهياً، ولايعول عليه، فى مقابل ماقال به غيره، فيما يُعدّ شبه إجماع.

٥- لأى باحث أن يتساءل: على أى أساس وضع الهمدانى هذا التحديد المغالى فيه؟.اليمن فى عصره لم يكن له كيان سياسى موحّد، حتى تكون له حدود سياسية جغرافية محددة المعالم، ويضم البلدان والمناطق التى ذكرها.حيث كانت باليمن دويلات وقوى تتصارع فيما بينها[2]كل منها يتسع نفوذه فترة، وينحسر

---

[1] انظر ص١٥٤-١٦٥ من هذه الدراسة.

[2] كانت هناك دولة بنى زياد، السنية، قاعدتها زبيد، والأئمة من بنى الرسى، الزيديون، فى صعدة، وبنو يعفر الحواليون فى صنعاء، والقرامطة الباطنية، يجوسون خلال الديار، يقاتلون هذا وذاك، وقوى محلية تشايع هذا فترة وتعاديه أخرى.

فترات، وفى حال اتساع نفوذ بعضهم لم يكن يخرج عن أرض اليمن الحالية. فضلاً عن أن أياً منهم لم يستطع أن يقيم كياناً مستقلاً للدولة بمعناها الحديث .. وذلك فضلاً عن وضعها قبيل الاسلام، ثم فى ظل الاسلام حتى عصر الهمدانى .. وبهذا يتضح عدم المصداقية فى هذا التحديد، والبعد عن الواقعية.

٦- لايكفى لتبرير أيٍّ مما قاله الهمدانى، وخالف فيه غيره من العلماء، أن يقال: إن الهمدانى ابن جزيرة العرب وهو أدرى بمواضعها، أو ابن اليمن وهو أعلم بما فيه، من غيره من علماء المشرق والمغرب، مستشهدين بأمثال درجت على الألسنة، للدلالة على صدق هذا القول، مثل: المرء أدرى بما فى بيته، أو أهل مكة أدرى بشعابها، فهذا قياس مع الفارق، لأن الإحاطة والإدراك فى كلا الحالتين هو علم. لكن هذا العلم يتفاوت ويختلف مداه فى كلا الحالتين، فالعلم بما فى البيت هو علم خاص، مقصور على صاحب البيت، ومحجوب على غيره بحجاب شرعى، لاينبغى لأحد هتكه للاحاطه بما فى الداخل، أما علم تاريخ أيّ موطن، أو جغرافية أيّ مكان هو مباح للجميع، كالماء والهواء، ومن يبذل أوسع الجهد فى تحصيله، يصير هو صاحب القدح المعلى فيه .. بصرف النظر عن كونه من أهل هذا البلد أو ذاك .. فالعلم ليس قاصراً على هويات معينة ولا وقفاً على أناس دون غيرهم، ولاحكراً على بلد دون

آخر .. وإن شئتم فاستعرضوا برحابة صدر هويات الذين جمعوا أحاديث الرسول ﷺ، أو كتبوا في التفسير، أو تاريخ الاسلام، واللغة العربية بفروعها، أو معاجم البلدان، أو جغرافية بلاد الاسلام، وغير ذلك من فروع العلم .. تروا عجبا.

ثم إن المستشرقين الذين أتوا إلى بلادنا، يبحثون وينقبون، عن التاريخ والآثار، والأحوال السياسية والاجتماعية، ويصلون إلى بعض الحقائق مما لم نصل نحن إليه، أيمكن أن نغمطهم حقهم .. أو نقلل من جهدهم .. بحجة أنهم ليسوا من أهلينا، أو من بلدنا؟!!.

## بنو طرف والمخلاف السليماني

درج الهمداني على الإشادة بالقحطانية والقحطانيين، والإقلال أو الحطّ من شأن غيرهم، في معظم أحواله، والإشادة في حد ذاتها أمر محمود، لكن الحطّ من أقدار الآخرين هو أمر مذموم، شرعاً وخلقاً، فمثلاً عندما ذكر مخاليف وبلدان وأودية تهامة[1] لم يذكر دولة بني زياد، التي اتخذت من زبيد قاعدة لها، و لم يشر لها بمجرد إشارة، مع أنه كان معاصراً لها، ولأحد رحالاتها المشهورين، وهو أبو الجيش اسحاق بن ابراهيم، الذي استمر حكمه ـ كما قيل ـ حوالي ثمانين عاماً[2] من عام ٢٩١ إلى ٣٧٠هـ تقريباً، وهي فترة عاشها الهمداني، وصنف فيها مؤلفاته العديده،

---

[1] صفة جزيرة العرب، ص٢٥٨.

[2] ابن المطاع، ص٦٠،٦١، والمقتطف للحرافي، ص١٠٥، والواسعي، ص٢٦١،٢٦٢.

فـي الوقـت الـذى ذكـر فيـه بعـض الأسمـاء، عنـد إيـراد بلادهـم ومواطنهـم، كبنى مجيد، والأشعريين، الذين قال: إنه يخالطهم شريذمة من بنى واقد من ثقيف[1] وبمور آل روق من بنى شهاب، وبالمهجم آل النجم، وبالكدراء آل على، وبزبيد الشراحيون، وهم الرأس من الجميع، وبالشقاق وموزع آل أبى الغارات[2] .. وغالب الظن أن إغفاله وعدم الاشارة إليهم، هو أن بنى زياد عدنانيون، وا لله أعلم.

وقال[3]: .. ثم بلد حكم .. وملوكه من حكم آل عبد الجد .. وأتى على ذكر بعض مدنها وأوديتها .. قال عقب ذلك[4]: .. ثم مخلاف عثر .. وملوكه من بنى مخزوم، ومن عبيدها.

فهو حين ذكر مخلاف حكم ذكر أن ملوكه من حكم آل عبد الجد، وهم من سعد العشيرة، من مذحج من قحطان، أما حين ذكر مخلاف عثر قال: إن ملوكه من بنى مخزوم، و لم يذكر اسماء، وأراد الحط

---

(1) عبارة الهمدانى "شريذمة من بنى واقد من ثقيف، تفيد بأنهم ينسبون إلى ثقيف أهل الطائف، و لم يعرف من ثقيف وبطونها من اسمه واقد، أقام بتلك المنطقة، فيما عدا بنى واقد من ولد زيد بن عبد ا لله بن عمر بن الخطاب رضى ا لله عنه، كان من بينهم عمر بن ابراهيم بن واقد بن محمد بن زيد هذا، قد غلب على صنعا إبان الفتنة بين الأمين والمأمون، وابنه عمر وليَ صنعاء بعد ذلك. وابنه الثانى أحمد وليَ بعض أعمال اليمن، غالباً هى ولاية الجند، انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص١٥٤، وغالب الظن أن بنى واقد هم هؤلاء. حيث استمر وجودهم بتهامة اليمن. حتى عصر الهمدانى.

(2) المصدر نفسه، ص٢٥٩.

(3) المصدر نفسه، ص٢٥٨.

(4) المصدر نفسه، ص٢٥٩.

من قدرهم، فوصمهم بأنهم من عبيد بنى مخزوم .. فلم يكتف بتجهيل ذكرهم، وإنما قصد الإقلال من شأنهم. غير أن قوله هذا يستفاد منه أن المخلافين ـ حكم وعثر ـ لم يكن قد تم توحيدهما حتى منتصف القرن الثالث الهجرى، على اعتبار أن كتاب "صفة جزيرة العرب" ألفه بعد "الأكليل" فيعتبر من أواخر مؤلفاته.

المهم من يكونون عبيد بنى مخزوم هؤلاء، الذين تجاهلهم، وأراد الحط من قدرهم؟!. وأحرى بنا أن نعرف ـ قبل هذا وذاك ـ أن بنى مخزوم هم بطن كبير من قريش، منهم فاطمة بنت عمرو، أمّ عبد الله والد النبى ﷺ، ومنهم سيف الله المسلول، خالد بن الوليد، وأمّ سلمة أم المؤمنين، وأخوها المهاجر بن أبى أمية، أحد الولاة الذين ولاهم رسول الله ﷺ، بعض نواحى اليمن. وكان منهم رجال تولوا إمرة مكة والمدينة، على فترات متقطعة، خلال عهد الخلفاء الراشدين، وبنى أمية، والعباسيين.

ويقول ابن حزم[1] إن عيسى بن محمد بن اسماعيل، المخزومى، ولِيَ إمارة مكة للخليفة المعتز (٢٥٢هـ ـ ٢٥٥هـ)[2] ووليها ابنه أبو المغيرة، محمد بن عيسى، للخليفة المعتمد (٢٥٦هـ ـ ٢٧٩هـ)[3].

---

[1] جمهرة أنساب العرب، ص١٤٩، وباقى نسبه كما أورده ابن حزم: عيسى بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الحميد بن عبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة، جده الأعلى: عبد الله بن أبى عمرو، أول من خلع يزيد بن معاوية، وقتل يوم الحرة وأبوه: أبو عمرو بن حفص له صحبة.

[2] هو الخليفة العباسى: المعتز، محمد بن جعفر بن المعتصم بن الرشيد. قتل فى ٣ شعبان ٢٥٥هـ.

[3] هو الخليفة العباسى: المعتمد على الله، أحمد بن جعفر بن المعتصم، وتوفى يوم ١٩ رجب ٢٧٩هـ.

ثـم يقـول[1]: وبنـو طـرف الذيـن وُلُّـو بعـض جهـات اليمـن، هـم مـوالى عيسى بن محمـد المخزومـى، والـد أبـى المغيرة، وكـان طـرف مـولى عيسـى، هـو جدّ أبى المغيرة لأمه، وابنه الحسـن بـن طـرف هـو خـال أبـى المغـيرة.

أى أن عيسـى بـن محمـد تـزوج (أو تسـرى) بابنـة طـرف فولـدت لـه ابنـه أبا المغـيرة، محمـد بـن عيسـى، الـذى تـولى إمـارة مكـة للخليفـة المعتمـد .. ومـن المؤكـد أنـه بسـبب تلـك المصـاهرة وَلّـى عيسـى بـن محمـد، صهـره ابـن طـرف ولايـة مخـلاف "عـثر" إبـان ولايتـه علـى إمـارة مكـة للخليفـة المعتز عـام ٢٥٢هـ، ومـن هـذا يتبيـن الآتـى:

١-أن مخـلاف "عـثر" كـان تابعـاً لولايـة مكـة حتـى ذاك الوقـت، وكذلـك غـيره مـن المخـاليف والمنـاطق التـى حُـددت تبعيتهـا مـن قبـلُ ـ منـذ عهـد الرسـول ﷺ ـ إلى ولايـة مكـة .. ومنهـا مخلافـا "حكـم وعـثر" وهـو يؤكـد ماسبق أن ذكرنـاه[2] مـن تبعيتـة تلـك المنطقـة (حـازان) ومايقابلهـا شـرقاً (عسـير) إلى ولايـة مكـة المكرمـة.

٢- أن بنـى طـرف يُعدُّون فـى بنـى مخـزوم بـالموالاة، والمصـاهرة، ولهـذا السـبب تولـوا الإمـارة فـى مخـلاف "عـثر" منـذ عـام ٢٥٢هـ، واستمر طـرف، وابنـه الحسـن بـن طـرف ولاة حتـى النصـف الثـانى مـن القـرن الرابـع الهجـرى، حـين جـاء الأمـير سـليمان بـن طـرف

---

[1] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[2] فى كتابنا "البيان فى تاريخ حازان وعسير ونجران" وفى هذه الدراسة أيضاً.

ووحد المخلافين ـ حكم وعثر ـ وأطلق عليهما اسمه: المخلاف السليماني .. حيث أشرنا أن الهمداني حين ذكرهما، لم يكونا قد توحدا بعدُ.

٣- أن بني طرف ينسبون في بني مخزوم، وليس في بني الحكم بن سعد العشيرة، أمراء مخلاف "حكم" وكلام ابن حزم صريح في هذا، وأيضاً كلام الهمداني يؤيد ذلك، وحيث حاول الإقلال من شأنهم، لأنهم معدودون في بني مخزوم القرشيين، العدنانيين.

ولا أدري مَنْ هو اول من نسب الأمير سليمان بن طرف إلى بني الحكم وماسنده في ذلك؟!. ثم تلقف من أتى بعده هذا الاسناد دون تمحيص، وتداولونه وأشاعوه في مصنفاتهم؟!!. ثم جاء من بعدهم خلفٌ أضاعوا الحقيقة، بل أهالوا عليها ركاماً من الثرى، وليتهم صمتوا حينئذٍ، بل صنعوا تاريخاً من وهم الخيال عن سليمان بن طرف الذى نسبوه إلى بني الحكم .. والمخلاف السليماني في ظل ملوكه اليمنيين وتبعيتهم لليمن، منذ التاج الحميري، وفي الاسلام، حتى عهد موحده، المنسوب

إلى أحد الأصول اليمنية[١] تُرَى إلى أيّ مدى تشيع الأوهام، وتختلق الأخبار عندما تضيع الحقيقة؟!!.

ويبدو أن بعض المؤرخين كان يعرف هذه المعلومة إلى حد ما، أو يشك في النسب، فتوقفوا عن نسبة بني طرف إلى بني الحكم، منهم ابن عمارة الحكمي اليمني، الذي أغرق في الخلط والخطأ في تاريخه[٢] فقد ذكر بعض الحكام الذين امتنعوا على أبي الجيش، اسحاق بن ابراهيم الزيادي، وقال عمارة .. ممن امتنع سليمان بن طرف، صاحب عثر، وهو من ملوك تهامة[٣] فنلحظ أنه توقف عند اسم "طرف" و لم ينسبه إلى "حكم" وابن عمارة نفسه من بني الحكم، ولاريب أنه يعتز بأجداده، ويهمه أن يشيد بالبارزين منهم، وبخاصة الأمراء ذوو الأعمال الملموسة في تاريخ المنطقة، ولو كان الأمير سليمان منهم لما تردد في تكملة الاسم، ونسبه إلى بني الحكم عشيرته.

٤- يقول الهمداني في النص السابق: وبزبيد الشراحيون، وهم الرأس من الجميع، وسبق له عند ذكره المخاليف التي بين المعافر

---

[١] انظر في ذلك ماقاله شيخنا الأكوع، في كتابه الذي تناولناه بالدراسة "اليمن الخضراء" ص١٨٠،١٨١. وتحاشينا التعليق على هذه النقطة هنالك، لأن مكانها هنا، ضمن ماقاله الهمداني، مرجع شيخنا الأثير لديه.

[٢] انظر بعض المآخذ على كتابه "المفيد .." في كتابنا "البيان في تاريخ حازان وعسير ونجران" ص٢٩٦.

[٣] انظر "تاريخ اليمن" لابن عمارة، تحقيق د. محمد زينهم عزب، ص٢١. وأيضاً ممن توقف في هذا النسب، ابن المطاع في تاريخه، ص٦١، والحرافي، في المقتطف، ص١٠٦، والواسعي في تاريخه، ص١٦١.

وصنعاء غرباً، أن قال[1] العركبة بلد واسع، وساكن العركبة الشراحيون، منهم آل يوسف، ملوك تهامة من عهد المعتصم (٢١٨هـ ـ ٢٢٧هـ) إلى أيام المعتمد (٢٥٦هـ ـ ٢٧٩هـ).

وقد علق محقق الكتاب، شيخنا الأكوع على ذلك بكلام جاء فيه: فعلى هذا تكون ولاية الشراحيين لتهامة واحدة وستين سنة، وتكون قبل ظهور الزياديين فى تهامة، كما أن ولاية الشراحيين لم يذكرها الجندى، ولا الخزرجى، وان الهمدانى أورد نسب الشراحيين فى الاكليل، ج٢، ص٣٤٦.

ولنا أن نتساءل كيف تقوم ـ فى "زبيد" التى أنشأها الزياديون عام ٢٠٤هـ، واتخذوها قاعدة لهم ـ دولتان فى زمن، ومكان واحد؟!. فضلاً عن أن البعض[2] ذكر بأن دولة بنى زياد امتدت وشملت كافة تهامة اليمن، وأكثر .. ثم إنها بذلك لم تكن سابقة على ولاية الزياديين التى بدأت عام ٢٠٣هـ فى عهد المأمون، السابق فى الحكم لأخيه المعتصم .. وكيف أغفل المؤرخون فيما عدا الهمدانى، ملوك تهامة هؤلاء، إن كانوا حقاً الرأس من الجميع؟!. أليس ذلك نوعاً من التعصب أن يذكر

---

[1] المصدر نفسه، ص٢٢٢.

[2] ومنهم ابن عمارة الحكمى، الذى نقل عنه الجميع ذلك دون تروى.

الشراحيين، ويتجاهل الزياديين .. لمجرد القحطانية، والعدنانية؟!. فضلاً عن أن الجرافى ذكر أن الشراحيين كان مُلْكُهم فى وصاب[1].

## دائب العصبية

يحاول نفى توطن بعض القبائل العدنانية ببلاد اليمن فيما قبل الاسلام، وذلك بنوع من الانفعال العصبى، دون ذكر دليل النفى .. فمثلاً عند ذكره ديار ربيعة بن نزار[2] وعند ورد كلمتى "حِمىَ ضَريّة" فى شعر لعمارة بن عقيل[3].

حاد الجريبُ فبات ضَورُ رَبَابه		بحِمىَ ضَريّةَ يَستهلّ ويسكبُ

فقال عن حِمىَ ضريّة[4]: قالوا: حمى ضرية هو حمى كليب، وبين الحِمىَ وضرية جبل النير، وقديرى قوم من الجهال، أن ديار ربيعة بن نزار كانت من تهامة، بسردد، وبلد لعسان من عكّ، وأن تُبّعاً أقطعهم هذه البلاد لما حالفوه، وهذا من الأخبار المصنوعة، لأن الملوك أجَلّ من أن يحالفوا الرعايا (هكذا !!) وإنما بنوا هذا الخبر على وهم وهوى، فقالوا فى المهجم، وهى خزة: خزارى، وأن يكون قد عنى المهلهل بن ربيعة، ذلك بقوله:

---

[1] المقتطف، ص٦٠.

[2] ص٣٢١.

[3] هو: عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر الشهير، ابن عطية الخطفى، من شعراء الدولة الأموية والعباسية.

[4] ص٣٢٣.

عَمَـرُت دارُنـا فى الدهـــر وفيهـا بنو مَعَـدٌ حلـولا

يلاحظ أن الهمدانى لم يحاول تفنيد الرأى المخالف لرأيه بالاتيان بدليل يفند به دعوى خصمه، وإنما تخلى عن وقار العلماء وتواضعهم، وانتابته حالة من النزق الذى يعترى الجُهّال والعامة .. فأنكر القول: بأن بطوناً من تَغْلِب بن وائل، وبخاصة بنو جشم عشيرة كليب ومهلهل، ابنا الحارث بن زهير، قد استوطنت تهامة اليمن ـ فيما حول زبيد حالياً ـ وأن المهجم، أو ماحوله، كان به جبل "خزازى" التى وقعت فيه الوقعة المشهورة بين بطون تغلب، وبعض بطون خولان ومذحج من قضاعة، والتى قال فيها أوس بن حارثة الطائى[1]:

ونحن ضربنا الكبش من فرع وائل بأسيافنا حتى اشتكى ألَمَ الحَدِّ

كما أنكر أن يكونوا قد حالفوا تبع ملك اليمن المعاصرين له، وقال: إن هذا من الاخبار المصنوعة، أى الملفقة، وعلل ذلك الانكار والنفى، بقوله: لأن الملوك أجلّ من أن يحالفوا الرعايا.

كان الأحرى به أن يأتى بدليل يفند به قول القائلين بأن بطون ربيعة قد استوطنت تلك المنطقة فى الجاهلية، ومنهم البكرى[2] وأبو هلال

---

[1] أورد الهمدانى ثلاثة أبيات من هذا الشعر، كما أشار إلى وقعة خزاز، المصدر نفسه، ص٣٢٢.

[2] معجم ماستعجم، ج٢، ص٥-٤٨.

العسكرى[1] وغيرهما، وهو نفسه ذكر (ص٣٣١) أن من منازل إياد بن معدّ "القاعة بالجند" .. ثم ما المانع أن يحالفهم، كى يدفعوا عن أطراف بلاده غزوات البدو، والقبائل المتوطنة وسط شبه الجزيرة، فإن لهذا مثيلاً وشبيهاً، فيما صنعه ملوك الفرس والروم مع بطون العرب التى هاجرت إلى الشمال، كآل المنذر وغيرهم .. وهذا التحالف يثبت أنهم ليسوا من رعاياه .. والوقائع تثبت أنه حدثت وقائع بين هؤلاء وكذا غيرهم من قبائل وسط شبه الجزيرة، وبين بعض ملوك اليمن[2] وان بطون تغلب انتقلت إلى كثير من المواطن بسبب الحروب التى وقعت بينها فما المانع أن يكونوا هم أو غيرهم استوطنوا تلك المنطقة أو غيرها، وإلا فمن الذى استوطن تلك المناطق قبل هجرة الازديين إليها؟!!.

ثم ألا ترى أن عكّ والأشعريين كانوا يستوطنون تلك المنطقة ــ أرض لعسان وغيرهما بتهامة اليمن حالياً ــ قبل هجرة الازديين، وأن الازديين خلال تنقلاتهم للبحث عن مواطن جديدة، نزلوا بجوار عكّ، وبعد فترة تحاربوا مع عكّ ثم رحلوا إلى أرض الحجاز وغيرهما كما هو مشهور لدى المؤرخين بما فيهم الهمدانى، وسبق أن ذكرنا ماقيل فى أصل عكّ والاشعريين من أن البعض ينسبهم إلى عدنان، وأنهم من القبائل العدنانية التى تيامنت، أى سارت نحو اليمن، واقامت فى تلك المواطن.

---

[1] الأوائل، ج١، ص١٤٩، الذى قال: كانت ديار الايادين فى الجاهلية جهات الحرم، وما بين تهمة ونجران، وأن بنى اياد بن نزار أول من سكن تهامة، فلما ضاقت بهم خرجوا إلى الارياف، حتى نزلوا بين الحيرة والبحرين.

[2] اشرنا إلى ذلك فى كتابنا "البان فى تاريخ جازان وعسير ونجران".

المهم أن الهمدانى انصب إنكاره على أن يكون هناك تحالف بين بطون تغلب هؤلاء وبين الملك تُبّع و لم ينف توطنهم المنطقة المذكورة.

وما يقال من أن "ضرية"[1] كانت هى حمى كليب بن وائل، فيبدو أنه بعيد عن الصواب لأن " حمى ضرية" منسوب إلى ضرية بنت ربيعة بن نزار، أمّ حُلوان بن عمران بن إلحافى بن قضاعة[2] وهى فى زمن سحيق عن زمن كليب بن وائل.

كما لوحظ أنه عندما أورد بعض ديار ربيعة، تحت العنوان السابق الاشارة إليه، قال[3]: الذنائب، وواردات، والأحص، وشبيث، وبطن الجريب، والتغلمين، والشيطين ... ـ ثم كان هنا بياض بعد كلمة "الشيطين" وجاء بعدها عبارة ـ يذكر فيه حرب مذحج لربيعة: ثم أتى بثلاثة أبيات من الشعر، لم يذكر قائلهم كعادته. ولا السبب الذى من أجله قيلت. ويستنتج من ذلك أن هنا نقصاً وبتراً للكلام، وقد أشار شيخنا المحقق فى تعليقه "أن هنا بياضا فى الأصول، إلا فى نسخة (ح) فالكلام فيها متصل" لكن كما يبدو من الأسلوب فالكلام ليس متصلاً ياشيخنا، وفيه دليل على مانالته يد العبث بهذا الكتاب من حذف وتغيير.. لأن الهمدانى تكلم بعد ذلك عن "خزاز" و لم يرد له ذكر فى الاسماء التى

---

(1) ضرية: شرق المدينة، على طريق حاج البصرة، تابعة لولاية المدينة، ذكرها ابواسحاق الحربى فى كتابه "المناسك وأماكن طرق الحج" بتحقيق الشيخ حمد الجاسر، ص٥٩٤-٥٩٧.

(2) الجمهرة، ص٤٥٠، وكتاب المناسك السابق الاشارة إليه، والصفحات نفسها.

(3) نفس المصدر، ص٣٢١.

أوردها فى البداية تحت العنوان، وهى التى قال بشأنه إنه وقعت فيه حرب مذحج لربيعة. كما أن الأبيات الثلاث التى أوردها، وفيها كلمة "بطن الجريب" لم يذكر قائلهم كعادته .. والكلام غير متناسق فيما بعد ذلك.

ونرى البكرى يورد ذلك بصورة أوضح، لكن كلامه مبنى على أساس أن قضاعة تعود فى نسبها إلى عدنان[1] وأن بعض بطون ربيعة كانت مجاورة فى مواطنها لبعض بطون قضاعة، وبخاصة حرم ونهد، وأن منازل ربيعة كانت مهبط الجبل[2] من غمر ذى كندة، وبطن ذات عرق، وماجاورها من بلاد نجد إلى الغور من تهامة[3] ثم قال[4]: فأول حرب وقعت بينهم ـ أى بين بطون ربيعة، وبطون قضاعة المتجاورين ـ أن حزيمة ابن نهد القضاعى، كان يتعشق فاطمة بنت يَذكر بن عنَزَة بن ربيعة بن نزار، وكان اجتماعهم فى محلة واحدة، فقال حزيمة شعراً يتغزل فيه بفاطمة، منه:

إذا الجوزاء أردفت الثُّريا ... ظننتُ بآلِ فاطمةَ الظُّنونا

[1] يقول بذلك فريق من علماء الأنساب، كما يقول فريق آخر إنهم من قحطان، ومنهم الهمدانى.

[2] المقصود بذلك جبل السراة فمهبطه بالجهة الشرقية، على مشارف نجد يوجد غمر ذى كندة، على مسافة ليلتين من مكة.

[3] معجم ماستعجم، ج١، ص٨.

[4] المصدر السابق، ج١، ص١٩.

فبلغ شعره آل ربيعة، فرصدوه، حتى أخذوه وضربوه، ثم التقى ـ بعد فترة ـ حزيمة ويَذْكر والد فاطمة، وهما يجمعان القرظَ، فوثب حزيمة على يَذكر فقتله، وانتظر بنو ربيعة عودة يذكر، فلما لم يعد، قيل لحزيمة: أين يذكر؟ قال: فارقني، فلست أدرى أى طريق سلك؟. وفيه قالت العرب: "حتى يَئُوب قارظُ عنَزَةَ" فصارت مثلاً .. ثم اتهمت ربيعة حزيمة فيه، وصار بينهم شر، لكن ربيعة لم تتأكد من مقتل يَذْكر، حتى قال حزيمة شعراً جاء فيه:

فتاةٌ كأنَّ رُضَابَ العَصيرِ ... بفيهـا يُعَلُّ بـه الزَّنْجبيلُ

قتلتُ أباها على حُبِّها ... فَتبخَلُ إن بَخلتْ أو تُنِيلُ

وعندئذ تحققوا من مقتل يذكر على يد حزيمة، فاجتمعت ربيعة وأعانتهم بعض مضر، وكندة، واجتمعت قضاعة وأعانتهم بعض مذحج. واقتتل الفريقان، فقُهرت قضاعة، وأُجْلُوا عن منازلهم، فقال عامر بن الظرب العدوانى:

قضاعةَ أجْلَيْنا من الغَوْر كلِّه ... إلى فَلَجات الشام تُزْجى المَواشِيا

لكن الكتاب ـ صفة جزيرة العرب ـ لم ترد فيه تلك الوقعة بهذا الترتيب والتناسق، ولا الأبيات الشعرية التى قيلت فيها مما يدل على أن يد العبث قد تناولته فى تلك الجزئية.

ويلاحظ أنه يذكر مناهل لِغَسَان[1] وهى بأرض عك، التى كان أقام فيها الأزد وقت نزوحهم، وزاحموا عكّ عليها، ثم اقتتلوا وسارت الأزد نحو الحجاز وغيره، ثم يقول[2]: إنما استقصينا فى هذه المواضع دون سائر البقاع من اليمن، تنبيهاً على أن هذه المواضع لم تكن محال لربيعة بن نزار، كما يتوهم الجهال بالأخبار القديمة فى أيام العرب ومحالها.

فهو بهذا يحاول أن ينفى وقوع خبر بينه وبين زمن وقوعه مايزيد عن ألف عام تقريباً، معتمداً فى نفيه على اتهام غيره بالجهل، دون تقديم دليل واضح يفند به رأى خصمه، فيما عدا اتهام غيره بالجهل، وكذا ماقاله فى مكان آخر من الكتاب، وأشرنا إليه سابقاً، من أن الملوك أجلّ من أن يحالفوا الرعايا!.

ثم إن اسماء الأماكن والبقاع يطرأ على بعضها التغيير والتبديل، ألا ترى اسم "طلحة الملك" قد تغير فيما سبق الاشارة إليه. فَلِمَ لايكون اسم "حزاز، أو حزازى، على اختلاف فى ذلك" قد تغيّر، وظهر اسم مشابه له فى موضع آخر ببلاد العرب .. خاصة وأن بعض القبائل عند نزوحها لمواطن حديدة كانت تحب أن تطلق عليها مسميات مواطنها القديمة .. فأبناء غسان، الذين أقاموا مملكتهم فى الحيرة، هم من الأزد، واطلقوا هذا

---

[1] ص٢٢٩.

[2] الصفحة السابقة، ص٢٣٠.

الاسم عليهم من كونهم كانوا قد نزلوا على ماء بهذا الاسم خلال تنقلاتهم فى أرض اليمن، ونزولهم عليه فى بلاد عكّ .. وغيرهم كثيرون.

ولأن وقائع الأحداث تفيد بأن بنى حشم عشيرة كليب[1] وبنى شيبان عشيرة جساس[2] كانت مواطنهم بتهامة[3] بتلك المنطقة، منذ أن توزعت بطون ربيعة بن نزار، فى عصور سابقة لتلك الوقعة بزمن سحيق، وأن تلك الوقعة كانت فى بداية ترأس كليب لعشيرته، وأنه نتيجة لفوزه فيها ترأس كافة بطون ربيعة الموجودة وسط شبه الجزيرة العربية، بل ترأس أيضاً بطون مضر، وأصبح رئيساً لبنى مَعّد ببلاد العرب، فداخله الغرور، وتكبر، وأحدث له حمى بتهامة، وقيل فى غيرها أيضاً .. إلى أن قُتِل، وقامت الحرب بين بنى حشم وشيبان، وهى حرب البسوس، ثم شمل لهيبها كافة بطون تغلب، وبكر. واستمرت أربعين عاماً، وخلالها تبدلت مواطن تلك القبائل، نتيجة للهزائم والحروب المتواصلة. إلى أن توقفت، فاستقرت كثير من القبائل فى مواطنها التى جاء الاسلام وهى عليها.

---

[1] هو: كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن حشم، من تغلب بن وائل. وأخوته: المهلهل. وعدى، وسلمة. الجمهرة ص٣٠٥.

[2] هو: جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان من بكر بن وائل، الجمهرة، ص٣٢٤.

[3] العقد الفريد لابن عبد ربه، ٢١٤/٥.

# بنو جَعْدة

أورد ضمن ما أورده من البلدان والأماكن، بلاد يافع[1] وبلاد أحلافهم من بنى جَعْدة[2] وأثناء سرده لتلك البلاد ومستوطنيها، قال[3]: أسحم للسكاسكة من جَعْدة .. وبنو جَعْدة هؤلاء، فيما يقال[4]: يرجعون إلى بعض بطون رُعَيْن الكُبْر (أى ينسبون إلى الجد الأعلى لرُعَيْن، وهو: يريم، ثم يتابع كلامه بقوله) وهم اليوم يقولون: إنهم من بنى جَعْدة بن كعب.

وتوقف عند كعب و لم يكمل نسبه، لأنهم عدنانيون[5] وأراد أن يُدلّل على أنه ليس من بطون جعدة، أو من ذريته من اسمه: السكاسك، أو غيره ممن ذكرهم. ونلحظ أنه يحاول أن يقلل من شأنهم فيما يورده، فقال:

لأن جَعْدة بن كعب أولد (أنحب): ربيعة، ويُنْبَزُ ببرقان، وعبد الله، وزهيراً، ومعاوية، ومِرْداساً. فأوْلد ربيعة: عمراً، وحيّان، وعبد الله، ويُنْبز بالمجنون. وحزءاً، وحصناً، وعامراً، وعوفاً، وعُدَسَ، وقِرَدة.

---

(1) ص١٧٧.

(2) ص١٧٨.

(3) ص١٧٩.

(4) لاحظ أنه هنا لم يذكر اسم من قال بذلك.

(5) فهو: الجعد بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، من هوزان، من مضر.

فولدَ عمرو بن ربيعة: الرّقاد، ووَرْداً. قاتل شراحيل بن الأصهب الجُعْفِى، وكان ملكاً عليهم. وحزْء بن عمرو، وسُهَيْل بن عمرو .. فمن بنى عُدَس: النابغة الجَعْدى.

فهو هنا يجعل من شراحيل بن الأصهيب الجُعْفى ملكاً على بنى جَعْدة!. وكأن كل قبيلة أو حياً من أحياء العرب يلتمس له ملكاً من أذواء قحطان .. فانظر إلى ماقاله ابن حزم، بشئ من النزاهة والانصاف، فقد ذكر نسب بنى الجُعفى بن سعد العشيرة الأزدى ـ بنو عمومة آل الحكم ـ كما ذكر مالهم وماعليهم، فقال[1]: منهم: قيس بن سلمة وفد على النبى ﷺ، وكان جده ـ الأعلى ـ شراحيل بن الأصهب كثير الغارات (أى أنه لم يكن ملكاً) قتلته بنو جعدة بن كعب. وابن ابنه: إياس بن شراحيل: عقد له عمر بن الخطاب لواء على مذحج وهمدان. والجراح بن الحصين الجعفى استعمله ابن الزبير على وادى القرى، وحبلة والجهم، ابنا زحر الجُعفى، قتل حبلة يوم دير الجماحم، وكان على القُرّاء مع ابن الأشعث. وأخوه جهم، هو الذى قتل قتيبة بن مسلم. ووَلِيَ جُرْجان. ومنهم: أبو سَبُْرة يزيد بن مالك الجُعفى، وفد على النبى ﷺ، هو وابناه: سَبْرة، وعبد الرحمن، فأقطعه رسول الله ﷺ، وادى جُعْفِى باليمن، واسم الوادى: حردان. وَوَلّى الحجاج بن يوسف الثقفى، عبد الرحمن هذا: إصبهان .. وابنه خيثمة بن عبد الرحمن كان فقيها .. وجعل ابن حزم يستطرد فى

---

[1] الجمهرة، ص٤٠٩.

نسب وذرية آل جُعْفى .. ويذكر محاسن كلٍ منهم. ومثالبه .. وكذلك شأنه فى ذكر نسب وذرية بنى جَعْدة بن كعب. فمثلاً يقول: من بنى جَعْدة: عبد الله بن الحشرج الجعدى، الذى أغار على أرض فارس أيام ابن الزبير، ووليَ كوراً من خُراسان وكَرمان، وعم أبيه: زياد بن الأصهب الجعدى، وفد على أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه، ليُصلح بينه وبين معاوية، ومنهم الشاعر النابغة الجعدى، واسمه: قيس، وأخوه وَحْوَح ابنا عبد الله بن عمرو بن عُدس، الجعدى، لهما صحبة[1] وقيل: إن مجنون بنى عامر، وهو قيس بن المُلَوّح منهم، وغير ذلك مما يفيد من تمكنه فى علم الأنساب، ومما يضيفه على التراجم من معلومات قيمة مفيدة.

بينما الهمدانى يعلل رجوع بنى جَعْدة عن انتسابهم إلى رُعَيْن، بقوله[2] وكذلك سبيل كل قبيلة من البادية، تضاهى باسمها اسم قبيلة أشهر منها، فإنها تكاد أن تتحصل نحوها، وتنسب إليها. رأينا ذلك كثيراً.

فهو بذلك يَغْمز إلى تدنى شأن بنى جَعدة، وأنهم كانوا انتسبوا إلى رُعَيْن فيما سلف، للانضواء تحت شرفها وعزتها، والآن تراجعوا، وهذا شأن قبائل البادية. ولاريب أنه يتعصب ويغالى فى ذلك، فقد تناسى نظام

---

[1] قدم النابغة الجعدى على النبى ﷺ، فأسلم وأنشده شعراً، فأعجب منه النبى، فقال له: لايَفضُض الله فاك، وفى رواي: لاَفضّ الله فاك، فأتت عليه مائة عام ومانقص من فمه سنٌ واحدٌ. وكان ممن حرّم الخمر على نفسه فى الجاهلية، وأنكر الأوثان. انظر: الاصابة، ٥٣٧/٣، والحماسة لأبى تمام ٤٠١/١، وخزانة الأدب للبغدادى ٤٤٦/٢.

[2] ص١٨٠.

الـولاءات والتحالفـات التـى كـانت تجرى بـين القبـائل، بعضهـا مـع بعـض، فربما يكـون مـاحدث كـان نوعـاً مـن هـذا القبيـل، إن كـانت بعـض بطـون بنـى جعدة قد توطنـت البلـدان والامـاكن التـى ذكرهـا.

والعجيب أن يُنسـب ذلـك إلى قبيلـة منهـا رجـال أمثـال النابغـة، الـذى يُعد مـن فحـول الشعراء فـى الجاهليـة والاسـلام، والـذى عكـف علـى دراسـة شـعره، وتنـاوُل حياتـه، الكثيرُ مـن العلمـاء والبـاحثين، قديمـاً وحديثـاً، ولم يقـل أيّ منهـم إن قبيلتـه كـانت مغمـورة النسـب، ومتدنيـة الشـأن، إلى الدرجـة التـى تنسـب فيهـا إلى غيرهـا، وتلتمـس أحـد الملـوك ليقـود أمرهـا! .. عجـبٌ .. وأيّ عجـب!!.

## ملاحظات أُخر

١- يوجـد نقـصٌ، أو بـالأصح بـترٌ فـى (ص١٧٣) فعنـد ذكـره منـازل كنـدة بحضرمـوت، قـال: ويـثرب، مدينـة بحضرمـوت، نزلتهـا كنـدة، وكـان بهـا أبـو الخـير بـن عمـرو، وإياهـا عنـى الأعشـى بقولـه:....

ولم يأت بالشـعر الـذى قالـه الاعشـى فيهـا. وعناهـا بقولـه.

٢- أورد شعراً لكـل مـن الشعراء: زهـير بـن أبـى سُـلْمى، والعجّـاج، والأعشـى، وامـرئ القيـس، وكُثَـيْر، وغـيرهم، فـى الصفحـات (٣٨٨-٤٠٠) وبـه أسماء مواضـع ومنـازل، وكـان الأحـرى بـه أن

يوضحها، ويحدد مكانها فى بلاد العرب. لكنه مرّ عليها مرور الكرام، دون أن يفعل ذلك.

٣- يُظهر نوعاً من التكلُّف والتعسُّف فى نسبة كثير من الأماكن بأرض اليمن، إلى بعض أذواء وأقيال اليمن، أو أشخاص يعودون فى أصلهم إلى القحطانية، حتى لو كان بعضهم فى زمن قريب من البعثة النبوية، دون أن يوضح الاسم القديم للمكان، قبل اطلاق الاسم الجديد عليه، حتى بدا وكأنه لم يكن له وجود قبلُ، أو كأنه لم يُعَمّر إلا بعد اطلاق هذا الاسم الجديد عليه. وهو كثير فى ثنايا الكتاب.

٤- أنه يتلمس الحكايات، والأخبار، والأشعار التى تحمل فى ثناياها نوعاً من الفخر، والتباهى، والخُيلاء، وبخاصة الوقائع التى كانت لبطون قحطان فى الجاهلية، دون التى عليهم، ويضفى عليها الكثير من المبالغة والتهويل.

٥- وتحت عنوان "مساكن من تشاءم من العرب"[١] ذكر بطوناً من قبيلة لخم من سبأ، ومن حشم من جذام من سبأ، ومن بنى عذرة القضاعية، فقال[٢] .. ولبنى حرى ـ من حشم من جذام ـ

---

[١] ص٢٧١.

[٢] ص٢٧٢.

جزائر بنى جرى بأرض مصر[1] وأما بنو أُبَير، رهط هدبة بن خشرم، من عذرة، فإن دارهم بتل "قرسيس" بالقاف فى أوله، والصواب "فرسيس" بالفاء بدل القاف، وهى إحدى بلدان محافظة الشرقية، ومازالت تحمل هذا الاسم حتى الوقت الحاضر.

وقال[2]: ومن عذرة قوم "بزنكلوم" صوابها "زنكلون" بالنون فى آخره بدل الميم، وهى أيضاً من بلدان محافظة الشرقية، ومازالت تحمل هذا الاسم حتى الوقت الحاضر، وكان منها أحد مشاهير علماء الأزهر، فى بداية القرن العشرين الميلادى، وهو الشيخ الزنكلونى. وقد يكون ذلك خطأ طباعياً، أو من النُسّاخ.

وفيما عدا ذلك، وأيضاً إذا ماتغاضينا عن غلوّ الهمدانى فى عصبيته، فإن الكتاب جيد وبه كم هائل من اسماء الأماكن والبقاع، والأخبار، والوقائع التى تدل على مدى تمكن الهمدانى فى العلوم التى صنف فيها. رحمه الله وعفا عنه.

---

(1) لم نعرف لها موضعاً بأرض مصر.

(2) الصفحة نفسها.

# كتاب

## "النزاع اليمنى ـ السعودى حول الحدود"

### تأليف الدكتور/وليد النونو*

آخر كتاب وقع عليه نظرى من كتب ذوى الأقلام المحمومة بوباء العصبية العرقية، أو المريضة بهوس الفكر الاشتراكى ظاهرياً، والماركسى تقيّة، هذا الكتيب المشحون بغثاء تتقزز منه النفوس الكريمة، المليئ بالادعاءات الباطلة، والافتراءات الكاذبة.

قام الاستاذ يحيى على الإريانى ـ نائب مدير مركز الدراسات والبحوث اليمنى ـ بتقديم الكتيب إلى القراء، وكنت آمل أن يكون تقديمه موضوعياً يتناسب مع مسئوليته عن جهاز علمى، المفترض فيه أن يكون على وعى ودراية كافية بالحقائق التاريخية المجردة عن النزعة العرقية، أو الهوى السياسى، فلا يُصدر الأحكام فى المسائل التاريخية دون دليل واضح، وإنما لمجرد أن غيره قال بها.

---

* المؤلف الدكتور/وليد محمد محسن النونو، يمنى الجنسية، يعمل بوزارة الصناعة، وجامعة صنعاء، كما جاء التعريف به على غلاف الكتاب، الذى يتكون من ٦١ صفحة، كانت فى الأصل عبارة عن الفصل التاريخى من أطروحة الدكتوراه فى القانون، تحت عنوان "الوضع القانونى لحدود اليمن الدولية" كما قال ذلك فى المقدمة، وقد حصل بها على الدرجة العلمية (الدكتوراه) من كلية الحقوق، بجامعة صوفيا، عاصمة بلغاريا، إحدى دول شبه جزيرة البلقان، بجنوب البحر الأسود، والمجاورة ليوغسلافيا، وبلغاريا إحدى الدول التى كانت تسير فى فلك الشيوعية، وتتبنى الأفكار الماركسية، وتقوم بتصديرها إلى دول العالم الثالث، وتعمل على صبغ أذهان الناشئة بالفكر الماركسى .. طبع الكتيب لأول مرة عام ١٩٩٤م.

فلم يكن ابن سعود حليفاً لبريطانيا، إلى الدرجة التى مكنته من التطاول لالتهام مايقدر على التهامه[1] فقد كان لبريطانيا حلفاء فى المنطقة، وفى العالم العربى وغيره، بموجب اتفاقيات ومعاهدات. ومن بينها اليمن، التى وقعت معها معاهدة صداقة فى صنعاء بتاريخ ٢٦ شوال ١٣٥٢هـ (١١ فبراير ١٩٣٤) ولم يعب أحد على اليمن فى توقيعها تلك المعاهدة، فى الوقت الذى كانت تحتل فيه بريطانيا جزءاً من أرضها .. لأن هذه هى شئون السياسة .. وفاق وافتراق، بين الحين والآخر .. ولم يكن ابن سعود الحليف الأثير لديها، وإنما كان غيره قد استأثر بهذه الحظوة، وهو الشريف حسين، وهذا معروف تاريخياً .. وسبق أن أشرنا إلى جزء مما عاناه الملك عبد العزيز، فى تعامله مع بريطانيا، بشأن الحدود وغيرها[2] وكان معيار التعامل بينهما فى المجال السياسى، هو معاملة الند للند، فى جو من الصداقة المتزنة.

أما مقدمة المؤلف[3] فقد شرح فيها أنه استل الجزء التاريخى من رسالته، وصنع منها هذا الكتيب، موهماً القارئ بأن الكتيب يتسم بالنزاهة، لأن رسالته نوقشت فى دولة أوربية[4] ولو أنصف حقاً لقال:

---

(1) كما يقول ذلك فى تقديمه، ص٨.

(2) انظر ص٩٠-٩٤، من هذه الدراسة.

(3) ص١١-١٤.

(4) ص١٢.

دولة أوربية شيوعية .. ومهما تظاهرت الشيوعية بمحبتها لبعض الدول العربية، فكراهيتها الدفينة للإسلام والمسلمين أمر معروف.

ولأنه ليس متخصصاً فى التاريخ، فقد نقل عن غيره أقوالهم دون روية وتمحيص، وأضاف عليها بما يفيد بجهله حتى فى الأمور البدهية من التاريخ. حيث قال مثلاً[1].

ولعله من الثابت بأن الجزيرة والخليج لايعرفان نظام الدول منذ ماقبل التاريخ (هكذا!) باستثناء جنوب الجزيرة العربية ـ اليمن ـ وعمان ومسقط .. الخ.

فمنذ ماقبل التاريخ، لم تكن هناك دول، وإنما كان الانسان بدائياً للغاية خلال الحقب والعصور السابقة للتاريخ، وهى: عصر التاريخ الجيولوجى، أو عصر الجليد، ثم العصر الحجرى، ثم الحديدى، ثم البرنزى.. ثم أخذ الانسان فى تشكيل المجتمعات التى تخدم معيشته من كافة النواحى، وبعد فترة تطورت تلك المجتمعات ونشأ عنها نظام الدول، وجميعها عصور سحيقة فى القدم، وغالب الظن أن هذه الفترة كانت فيما بين آدم ونوح عليهما السلام، ولم يكن قحطان أوعدنان قد وجدا بعدُ، وقد وجدت قبلهما فى المنطقة أمم من العرب البائدة، وكان لها نظمها الخاصة بها، التى لانعرف عنها إلاالقليل.

---

[1] الصفحة نفسها.

وقد اصطلح المؤرخون على تسمية العصر الذى لاتوجد له سجلات، أو تدوينات بشكل منظم بعصر ماقبل التاريخ، وكان أقدم تلك التدوينات ـ فيما عرف حتى الأن ـ هى اللغة الهيروغليفية، التى كانت تعتمد على الكتابة التصويرية بالرسوم للتعبير عن الوقائع والأحداث المعاصرة[1] وبعد فترة عرفت الأحرف، وأستخدم الخط المسمارى الذى سجلت به حضارة سومر وبابل، وبعد فترة عرف المسند الحميرى. ثم الحروف العربية الهجائية.

إذاً فليس هناك دول فيما قبل التاريخ، وأما فيما بعد التدوين التاريخى، فكانت الدول قد أنشئت، وكان مبدأ التدوين هو لتسجيل وقائع وأحداث تلك الدول، و لم يعرف التدوين بشكل منظم إلا فى العصر الأغريقى، على يد هيرودوت المؤرخ الأغريقى، الذى عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد.

ونحن نعترف بكل تأكيد بأنه كانت هناك دول حميرية وسبئية، قبل وبعد الميلاد، وأمتد وجودها إلى ماقبل البعثة النبوية بحوالى قرن أويزيد قليلاً، حين انتهت عقب حادث الأخدود على يد الأحباش، ثم أنتقلت السلطة فيها من الأحباش إلى الفرس، إلى أن جاء الإسلام وهى فى يد الفرس، فرجعت لها هويتها العربية الإسلامية فى ظل الإسلام، وكانت

---

[1] باكتشاف المستشرق "شمبليون" مغاليق رموز الكتابة فى حجر رشيد، عُرِف الكثير عن حضارة مصرية قديمة، سابقة للميلاد بأربعين قرناً.

إحدى الولايات التى تتكون منها الدولة الاسلامية فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد خلفائه الراشدين، وعهد بنى أمية، ومنتصف عهد العباسيين، حينما أخذت بعض تلك الولايات تنفصل عن الدولة. وكانت منها اليمن، التى تنازعتها عدة قوى، لم تستطع أىّ منها توحيدها سياسياً حتى العصر الحديث، حين نالت استقلالها عقب الحرب العالمية الأولى.

وخلال هذه المسيرة الحافلة من تاريخ اليمن، لم تكن المنطقة المذكورة ـ جازان وعسير ونجران ـ بأى حال تابعة لليمن[1] فالقول بأنها كانت مرتبطة باليمن الوطن الأم من قديم هوقول بعيد عن الصواب، وفيه الكثير من المبالغة والتهويل كما تعودنا سماع ذلك من أصحاب الأقلام المغالية فى التعصب، المشحونة بالأنفعلات المتباينة، التى يخرجون بها عن الموضوعية فى البحث، والألتزام بالواقعية.

قامت الدولة السعودية الأولى على يد الإمام محمد بن سعود المؤسس الأول لها عام ١١٥٧هـ (١٧٤٤م) وقامت الثانية على يد الإمام تركى بن عبد الله عام ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م ) وقامت الدولة السعودية الثالثة على يد مؤسسها عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، عام ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) فتجاهل المؤلف ذلك كله. حين قال:

---

[1] قد أوضحنا ذلك كله فى كتابنا "البيان فى تاريخ جازان وعسير ونجران" وكذلك فى مواضع مختلفة من هذه الدراسة.

إن تـاريخ الـنزاع الحـدودى، لايتجـاوز الأربعين سـنة الأخـيرة، أى منـذ قيـام الدولـة السـعودية عـام ١٩٣٢م (١٣٥١هـ)[1] وهـو قـول بعيـد عـن الصـواب، وعـدم الانصـاف، بـل تجـاهل للحقـائق التاريخيـة، فـإن تلـك المنـاطق خضعـت للنفـوذ االسـعودى خـلال عهـد الدولـة السـعودية الأولى، وفـى عهـد الدولة السعودية الثانيـة كـان ولاؤهـا لهـا، فـإن كـان قصـده بذلـك عهـد الدولـة السـعودية الثالثـة، فـى عهـد الملـك عبدالعزيـز، فـإن الدولـــة قـامت قبـل ذلـك بفترة طويلـة، كمـا سبق أن ذكرنـا.

فقـد دخلـت عسـير فـى حـوزة الملـك عبدالعزيـز فـى شـعبان ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) والتقـت حـدود البلديـن فـى منطقـة عسـير، منـذ ذلـك التـاريخ، و لم تبـد اليمـن المتوكليـة فـى ذاك الوقـت أى اعـتراض أو تذمـر، ومبـدأ الـنزاع حـدث عقـب أن قـامت القـوات المتوكليـة بالاستيلاء على الجـزء الجنوبـى مـن الإمـارة الإدريسـية التـى كـانت تمتـد إلى الحديـدة، عندئـذ شـعر الحسـن الإدريسـى بـالخطر الـذى يتهـدده فـى الجـزء الشـمالى مـن الإمـارة، فسـارع بـاللجوء إلى الملـك عبـد العزيـز، الـذى كـانت حـدود بـلاده مجـاورة لـه فـى عسير السراة، ونجـران مـن قبـل ومجـاورة أيضـاً لليمـن، وعقـد معـه اتفاقيـة حمايـة فـى ٢٤ ربيـع الآخـر ١٣٤٥هـ (٣١/١٠/١٩٢٦م) بغـرض تفويضـه فـى كافـة شئون الامـارة، وبخاصـة التصـدى للتهديـدات القادمـة مـن الجنـوب. ثـم

---

[1] ص١٢.

أُبلغت تلك المعاهدة فى حينها للامام يحيى، فلم يعترض .. وبعد فترة راودته التطلعات إلى تلك المنطقة وبدأت النزاعات الحدودية.

المهم أن المؤلف يثير مسائل تاريخية مقبولة، وإن كان فيها نوع من المبالغة إلى حد ما، ومسائل أخرى يدعيها ليس لها أى وجه من الحقيقة وسبق أن تعرضنا لها فى هذه الدراسة، ولا نود تكرار ماقلناه فى تفنيدها، وأظهار الصواب فيها، تاريخياً وواقعياً ومنطقياً. و لم يأت بجديد عما سبق أن قيل إلا فى نقاط يسيرة، منها مثلاً:

أنه تحدث عن مضمون وآثار معاهدة الطائف، الموقعة بين المملكة العربية السعودية واليمن عام ١٩٣٤م (١٣٥٣هـ)[1] فى محاولة منه لإعطاء مبررات لكونها غير ملزمة، وذلك بأسلوب يجمع بين الخلط والتلفيق فى مفهوم القانون الدولى للمعاهدات الدولية الثنائية، وذلك فى حالتى السلم أو الحرب، والسيادة الشرعية، أو المؤقته لأى سبب كان، ومدى الالتزام بها عند تغير نظمها الداخلية .. وغير ذلك من حالات. متناسياً أن لها نظائر فيما وقع بين الدول فى الحربين العالميتين الأولى والثانية، وكذلك بين بعض الدول فى أنحاء مختلفة من العالم، وأنها جميعها كانت ملزمة للأطراف الموقعة عليها .. وجميعها وقعت تحت ظروف الحرب .. وانعدم فيها شرط التكافؤ بالتعاقد، ثم إن السيادة على الأرض كانت موجودة أصلاً للسعودية قبل الحرب، بفترة طويلة .. وكان هذا

---

[1] ص١٣.

التواجد قد تم بأساليب مشروعة، وفرض السيادة تم أيضاً بأساليب مشروعة في مفهوم القانون الدولي .. وسبق أن تعرضنا لبعض ماقيل فيها في هذه الدراسة[1] فعلامَ الإغراق في الخلط والتلفيق؟!.

وعند تحديده حدود اليمن الشمالية، حددها بمكة المكرمة عند موضع "طلحة الملك" ومن فمه ندينه، على مأيُقال، فقد سبق أن حددنا موضع "طلحة الملك" بناء على ماقاله لسان اليمن، والمتحدث باسمها قديماً، أبو محمد، الحسن الهمداني[2].

ويتحدث عن موقف الحكام العرب، عند نشوب الحرب العالمية الأولى، ويقول[3] إن بريطانيا عقدت تحالفات مع الإدريسي في صبيا، وابن سعود في ولايته الصغيرة .. بينما الامام قرر الحياد.

والصواب أن عبد العزيز آل سعود، هو أول من قرر الحياد، وخاطب بريطانيا رسمياً في هذا الشأن، بينما الامام ظل فترة طويلة، إلى مايقرب من نهاية الحرب، لم يعلن رأيه، لدرجة أن بريطانيا شككت في نواياه، من أنه في صف العثمانيين .. وهو لايلام على موقفه ذاك، لأن القوتين على أرضه، وقد جعلتها ميداناً للحرب إلى حد ما.

---

(1) انظر ص٥٩، ٦٠ من هذه الدراسة.

(2) انظر ص١٥٤-١٦٤ من هذه الدراسة.

(3) ص٤٧.

ثـم إن سـلطنة نجـد وملحقاتهـا، التـى وصفهـا المؤلـف بأنهـا ولايـة صغيرة، كـانت مسـاحتها قبيـل نشـوب الحـرب العالميـة الأولى، تبلـغ عشـرة أضعـاف ماكـان بحوزة الإمـام مـن أرض اليمـن. حيـث كـانت تضـم أرض نجـد بجميـع أطرافهـا، واليمامـة، ونجران، والأحسـاء. هـذا بالاضافـة إلى أنهـا كـانت مستقلة تمامـاً، لايوجـد بهـا رجـل أجنبـى واحـد، بريطـانى أو عثمـانى، وكـان ابـن سـعود لـه مطلـق الحريـة فـى التعـامل مـع كافـة الـدول الأخـرى، وعقـد معـاهدات معهـا .. هـذا فقـط شـأن ابـن سـعود قبـل الحـرب العالميـة الأولى، ثـم ازداد تمكنـاً ونمـت علاقاتـه السياسـية بـاطراد بعدهـا .. فلِـمَ هـذا الهَـوَس، وعـدم الاتزان أو اللياقـة فـى التعبير، عنـد ذكـر الآخريـن؟!!.

وأيضـاً مـن عـدم الاتـزان واللياقـة فـى التعبـير مـاوصف بـه الامـام يحيـى ابـن الحسـين مـن ذريـة السـبط الحسـن ابـن الامـام على بـن أبـى طـالب رضـى الله عنهمـا، الملقـب بالهـادى، أول مـن ذهـب إلى اليمـن عـام ٢٨٢ (٩٩٠م) وأسـس المذهـب الزيـدى، ثـم الدولـة الزيديـة فيمـا بعـد .. فقـد قـال[1] كـان الحكـم فـى صنعـاء هزيـلاً، تحـت مظلـة الأئمـة، الذيـن وصلـوا إلى اليمـن، بواسـطة مؤسـس دولتهـم يحيـى الحسـينى (هكـذا !) الـذى قـدم مـن الحجـاز بهيئـة سـائح[2] ينتمـى إلى سـلالة النبـى[3] لايهمـه مـن الدنيـا إلا مسـاعدة

---

[1] ص٤٩.

[2] الصواب أنه لم يذهب لليمن فى هيئة سائح، وانما قدم اليه فى بلده "الرس" شرق المدينة المنورة، جماعة من بنى فطيمة من قبائل خولان صعدة، وحملوه معهم إلى موطنهم.

[3] هكذا، دون أن يصلى عليه ﷺ.

الآخريـن.. و لم يسـتطع إخفـاء الهـدف الحقيقـى الـذى جـاء مـن أجلـه إلى اليمن، وهو إقامـة دولـة تقـوم علـى أسـس المذهـب الزيـدى.

هـذا فـى الوقـت الـذى أثنـى فيـه المؤلـف علـى القرامطـة عقـب ذلـك، فقـال[1] كـان انتشـار مذهـب القرامطـة بزعامـة على بـن الفضـل الخنفرى، فـى شمـال اليمـن وجنوبـه، قـد حـاز علـى أوسـع الجماهـير، بوصفـه حركـة إصلاحيـة، مناهضـة للقـوى الاقطاعيـة ولاسـتغلالهم .. ومقاومـة الحكومـات والإمـارات والإقطاعيـات، وكـان عمـل القرامطـة بمثابـة محاولـة مبكـرة لتوحيـد اليمـن فـى ظـل حكومـة مركزيـة، وبـدأت فـى مزاولـة بعـض الإصلاحـات، بمصـادرة ممتلكـات الإقطـاعيين الكبـار، وجعلهـا ملكيـة عامـة، والقضـاء علـى الفقـر، وإشـراك المرأة فـى الحيـاة السياسـية والاقتصاديـة .. وقـد دفـع ذلـك قـوى الإقطـاع، التـى فقـدت مصالحهـا الطبقيـة أن تتحـالف لإسـقاط دولـة القرامطة، التـى دامـت حـوالى عشـرين عامـاً!.

مـن هـذا الثنـاء، والتحليـل لأفعـال القرامطـة، تسـتطيع أن تحكـم علـى فكـر هـذا المؤلـف .. فمـا قرأنـا لأحـد مـن العقـلاء المنصفـين أنـه قـد أثنـى علـى أفعـال القرامطـة، سـواء فـى اليمـن أو غيرهـا مـن البلـدان التـى ابتُليـت بهـم .. فهـل كـانت اليمـن مليئـة بالاقطـاعيين إلى الدرجـة التـى اسـتمر القرامطـة يسـفكون دمـاءهم علـى مـدى عشـرين عامـاً متواصلـة!. ويسـتحلون أنفسـهم، وأموالهـم، ونسـاءهم .. وهـل نسـى المؤلـف عقيدتهـم الزائغـة، ومبـادئهم

---

[1] ص٥٠.

المنحلة، وليالى الخلاعة والمجون التى شرعوها لأتباعهم، ووقوع الرجال على النساء، فى ليلة الإفاضة حتى لو كانت أمّه أو أخته!!، وإباحة شرب المسكر فى أى وقت، وبخاصة تلك الليلة!. وهل كان ذلك يعتبر فى رأى المؤلف إشراكاً للمرأة فى الحياة العامة، أو السياسية! .. أنسِىَ المؤلف ماأورده بعض المؤرخين من أن ابن الفضل هذا، عندما دخل زبيد، قتل من أهلها عدداً كبيراً من الرجال والأطفال، وسبىَ من نسائها أربعة آلاف عذراء، وربما يكون هذا العدد مبالغ فيه، لكنه حتى لو كان نصف هذا العدد، فإنه بعد أن وقع أصحابه على السبايا، أمرهم بذبحهن لأنهن سيشغلن أصحابه المقاتلين عن الجهاد، فذبحوهن فى ساعة واحدة!!.[1] عجيب أمر هذا المؤلف!!.

ومن الأخطاء التى وقع فيها، قوله[2] مايهمنا هو اتفاق بريطانيا ـــ تركيا على حل النزاع القائم بينهما على مناطق نفوذهما باليمن، والذى تبلور بالاتفاقية المعقودة فى ١٩٣٤/٣/٩م.

والصواب أن تلك المعاهدة وقعت بينهما عام ١٩١٤م وليس عام ١٩٣٤م، لأن تركيا كانت قد رحلت عن اليمن بزمن طويل. قبل عام ١٩٣٤م.

---

[1] انظر عن أفعال القرامطة، ابن المطاع، ص١٢٤-١٣٠، والحرافى، ص١١١-١١٣.

[2] ص٥٧.

وعموماً فالملاحظ عليهم جميعاً، أنهم ينقلون عن بعضهم، دون إمعان نظر، وفكر، ورويّة، وإنما يقدمون على نقل مايحلو لهم بدافع من العصبية العرقية، التى تجنح بهم عن خطى الصواب، وتدفعهم إلى تغليف الأباطيل بغلالة زاهية تبدو من خلالها أنها حقائق.

هداهم الله، وأنار بصيرتهم، وأبصارهم إلى الطريق المستقيم. وإلى مافيه خير دينهم، وخير أنفسهم، وأمتهم، ووطنهم.

# المراجـــــع

## (المستفاده منها فى هذه الدراسة)

### أولاً :

- القـرآن الكريـم
- بعض كتـب السـنة


### ثانياً: الموسوعات والمعاجم اللغوية

- الموسـوعة العربيـة الميسـرة.

  دار النهضـة، بـيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- القـاموس المحيـط للفيروزبـادى.
- المعجـم الوسـيط، بجمـع اللغـة العربيـة بالقـاهرة.
- تـاج العـروس، لـلزبيدى.

### ثالثاً: الكتب

- د.أباظـة، فـاروق عثمـان.

  **الحكـم العثمـانى فـى اليمـن (٨٧٢-١٩١٨م)**

  الطبعـة (٢) بـيروت ١٩٧٩م.
- د.ابراهيـم، حسـن.

  **اليمـن البـلاد السـعيدة**، سلسـلة اخترنـا لـك (٥٢) دار المعـارف/القـاهرة.

- الأزرقي، أبو الوليد، محمد بن عبد الله بن أحمد (٢٥٠هـ)
**أخبار مكة، وماجاء فيها من الآثار**، تحقيق رشدي صالح ملحس.
دار الأندلس، بيروت.
- ابن الأصبغ، عرام السلمي (٢٧٥هـ)
**أسماء جبال تهامة وسكانها**، طبع ضمن مجموعة قام بجمعها وتحقيقها،
د.عبد السلام هارون، في سلسلة نوادر المخطوطات. ط:٢، الحلبي،
القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.
- الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد، القرشي الأموي الأصبهاني
البغدادي (٣٥٦هـ)
**الأغاني**، دار الفكر، القاهرة.
- الأكوع، محمد بن علي، الحوالي.
**اليمن الخضراء مهد الحضارة**، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة
١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- الألوسي، محمود شكري
**بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق محمد بهجة الأثري ط:٣، دار
الكتب الحديثة، القاهرة.
- ابن بشر، عثمان بن عبد الله (١٢٩٠هـ).
**عنوان المجد في تاريخ نجد**، حزآن، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- البغدادي، صفي الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق (٧٣٩هـ)
**مراصدالاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق علي البجاوي، دار
المعرفة، بيروت.

- البكرى، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز، الأندلسى (٤٨٧هـ)

**معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.

- البلاذرى، أبو الحسن، أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود (٢٧٩هـ)

**أنساب الأشراف**، تحقيق محمد باقر المحمودى، دار الصادق، بيروت.

**فتوح البلدان**، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية،بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- البهكلى، عبد الرحمن بن أحمد.

**نفخ العود فى سيرة دولة الشريف حمود**، وتكمله عليه لابن عاكش.

تحقيق الشيخ محمد بن أحمد العقيلى، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائى (٢٣١هـ)

**ديوان الحماسة**، تحقيق د.عبد الله عبد الرحيم عسيلان، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ونسخة أخرى بشرح التبريزي، ط:١ دار القلم، بيروت.

- الجاسر، حمد.

مقدمة كتاب **"صفة جزيرة العرب"**، طبعة دار اليمامة، بالرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

- ابن جعفر، قدامة، الكاتب (٣٢٠هـ)

**الخراج وصناعة الكتابة**، تحقيق د.محمد حسين الزبيدى، مكتبة المثنى ببغداد.

- جويس، جريجرى.

**العلاقات اليمنية السعودية، بين الماضي والمستقبل**، ترجمة: سامية الشامي، وطلعت غنيم حسن، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- الحازمي، أبو بكر، محمد بن أبي عثمان موسى بن عثمان (٥٨٤هـ)

**عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب**، تحقيق عبد الله كنون، ط:٢ القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد (٨٥٢هـ)

**الإصابة في تمييز الصحابة**، دار صياد، بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى بمصر ١٣٢٨هـ.

- الحربي، أبو إسحاق، إبراهيم بن اسحاق (٢٨٥هـ)

**المناسك وأماكن طرق الحج**، تحقيق حمد الجاسر، قدم له بمقدمة مفيدة، دار اليمامة، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- ابن حزم، أبومحمد، علي بن أحمد بن سعيد، الأندلسي (٤٥٦هـ)

**جمهرة أنساب العرب**، تحقيق د.عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ط: ٣، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

- ابن الحسين، يحيى بن الحسن بن القاسم بن محمد (١١٠٠هـ)

**غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق د.سعيد عبد الفتاح عاشور، ود.محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربي ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

- الحلبي، علي برهان الدين ابن ابراهيم بن أحمد بن علي (١٠٤٤هـ)

**السيرة الحلبية**، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- حمزة، فؤاد

**في بلاد عسير**، ط:٢، مكتبة النصر الحديثة، الرياض١٣٨٨هـ/١٩٦٨م

- د.حميد الله، محمد

**مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة**، ط:٣، بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

- دكتورة/ الخترش، فتوح عبد المحسن.

**تاريخ العلاقات السعودية اليمنية (١٩٢٦م ـــ ١٩٣٤م)** ذات السلاسل، الكويت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- ابن خرداذبة، أبو القاسم، عبيد الله بن عبد الله (٣٠٠هـ)

**المسالك والممالك**، طبع لأول مرة بمطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩م، ثم صورته وأعادت طباعته مكتبة المثنى ببغداد.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، الحضرمى، الأشبيلى (٨٠٨هـ)

**تاريخ ابن خلدون، المسمى "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر"**، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م، مصورة عن طبعة حجر.

- ابن خلكان، أبو العباس، أحمد بن محمد بن أبى بكر (٦٠٨هـ)

**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق د.احسان عباس، دار الثقافة بيروت.

- الدهلوى، عبد الستار

**المنتقى في أخبار أم القرى**، أبواب، وفصول مختارة من كتب كل من: الأزرقى، والفاكهى، وابن ظهيرة، والفاسى، وغيرهم، طبع ليدن.

- د.أبو داهش، عبد الله بن محمد بن حسين.



٢٦

**ملامح الحياة الفكرية والأدبية فى عسير (١٢١٥-١٣٥١هـ)**، محاضرة ألقيت فى نادى أبها، فى رمضان ١٤٠١هـ.

- الديار بكرى، حسين بن محمد بن الحسن (٩٦٦هـ)

**تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، مؤسسة شعبان، بيروت، مصورة عن طبعة حجر.

- الذهبى، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)

**سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، د.حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

**تجريد أسماء الصحابة**، دار المعرفة، بيروت.

- الريحانى، أمين.

**نجد وملحقاتها**، منشورات الفاخرية، ط(٥) ١٩٨١م.

**ملوك العرب**، دار الجيل، بيروت، الطبعة(٨).

- ابن زبارة، محمد بن محمد بن يحيى بن عبد الله، الصنعانى

**مختصر أنباء اليمن ونبلائه في الإسلام**، ضمن مجاميع لكتاب بعنوان: الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- الزبيرى، أبو عبد الله، المصعب بن عبد الله المصعب (٢٣٦هـ)

**نسب قريش**، عنى بنشره والتعليق عليه لأول مرة:١، ليفى، بروفنسال ط:٢، دار المعارف مصر.

- الزركلى، خير الدين.

**الأعلام**، بيروت.

**شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز**، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

- زيد، على محمد.

**معتزلة اليمن، دولة الهادى**، مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء، دار العودة، بيروت.

- د.سالم، السيد عبد العزيز

**تكوين اليمن الحديث، اليمن والامام يحيى (١٩٠٤-١٩٤٨م)** معهد جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦٣م.

- ابن سعد، أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع، الزهرى، البصرى (٢٣٠هـ)

**الطبقات الكبرى**، دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

- سعيد، أمين.

**تاريخ الدولة السعودية**، الرياض، دون تاريخ.

- السمعانى، عبد الكريم بن محمد بن منصور، التميمى (٥٦٢هـ)

**الأنساب**، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمى، ط:٢، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- السمهودى، على بن عبد الله بن أحمد (٩١١هـ)

**وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، تحقيق إبراهيم الفقيه، ط:٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- السيوطى، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد (٩١١هـ)

**تاريخ الخلفاء**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة ١٩٧٥م.

**بغية الوعاة**، القاهرة.

- د.شرف الدين، أحمد حسين

**اليمن عبر التاريخ**، ط:٤، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- د.الشهارى، محمد على

**المطامع السعودية التوسعية فى اليمن**، دار ابن خلدون، بيروت، دون تاريخ.

- د.ضياء الدين السيد، عصام

**عسير فى العلاقات السياسية السعودية اليمنية**، دار الزهراء للنشر بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- العامرى، عماد الدين أبو بكر، يحيى بن أبى بكر بن محمد (٨٩٣هـ)

**بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل**، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

- ابن عبد ربه، أبو عمر، أحمد بن محمد، القرطبي الأندلسي (٣٢٨هـ)

**العقد الفريد**، تحقيق أحمد أمين، وآخرون، ط:٣، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

- د.العثيمين، عبد الله صالح

**تاريخ المملكة العربية السعودية**، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- العقيلى، محمد بن أحمد

**تاريخ المخلاف السليمانى**، جزآن، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

**المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية**، مقاطعة جازان.

- عمارة اليمنى، أبو محمد، ابن أبى الحسن، على بن محمد الحكمى (٥٦٩هـ)

**تـاريخ اليمـن، المسـمى "المفيـد في أخبـار صنعـاء وزبيـد وشـعراء ملوكهـا وأعيانهـا وأدبائهـا"**، تحقيـق محمـد بـن علـى الأكـوع الحـوالى، ط:٢، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

ونسـخة أخـرى مـن الكتـاب نفسـه طبعـت بعنـوان **"تـاريخ اليمـن"** تحقيـق د.محمـد زينهـم عـزب، دار الجيـل، بـيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- د.العمـرى، حسـين عبـد الله

**مائـة عـام مـن تـاريخ اليمـن الحديـث (١١٦١هـ ـ ١٢٦٤هـ)** الطبعـة الأولى، دمشـق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

- الفاسى، تقى الديـن، محمـد بـن أحمـد بـن علـى، المكـى (٣٨٢هـ)

**شـفاء الغـرام بأخبـار البلـد الحـرام**، تحقيـق لجنـة مـن العلمـاء، دار الكتـب العلميـة، بـيروت.

- ابن الفقيه، أبـو بكـر، محمـد بـن أحمـد، الهمذاني (٢٨٩هـ)

**مختصـر كتـاب البلـدان**، ليـدن ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م.

- ابن قتيبة، أبـو محمـد، عبـد الله بـن مسـلم (٢٧٦هـ)

**المعارف**، تحقيـق د.ثـروت عكاشـة، ط:٢، دار المعـارف، القـاهرة.

- ابن قدامة المقدسى، موفق الديـن أبـو محمـد، عبـد الله بـن أحمـد بـن محمـد

**التبيـين في أنسـاب القرشـيين**، تحقيـق محمـد نـايف الديلمـى، بغـداد ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- القسطلانى، شهاب الدين أبـو العبـاس، أحمـد بـن أبـى بكـر بـن أحمـد (٩٢٣هـ)

**المواهـب اللدنيـة بـالمنح المحمديـة**، بشـرح الزرقـانى، تحقيـق صـالح أحمـد الشـامى، المكتـب الإسـلامى، بـيروت ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- القلقشندى، أبـو العبـاس، أحمـد بـن علـى (٨٢١هـ)

**صبـح الأعشـى في صناعـة الانشـا**، المطبعـة الأميريـة، القـاهرة.

- ابن كثير، أبو الفـدا عمـاد الديـن، إسمـاعيل بـن عمـر (٧٧٤هـ)

**البداية والنهايـة**، تحقيـق محمـد عبـد العزيـز النجـار، مطبعـة الفجالـة، القـاهرة.

**السـيرة النبويـة**، تحقيـق مصطفـى عبـد الواحـد، دار المعرفـة، بـيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- كحالة، عمـر رضـا

**معجم قبـائل العرب**، دار العلـم للملايـين، بـيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

- كمالى، سـليمان شـفيق باشـا

**مذكرتـه عـن عسـير**، طبعـت بتحقيـق الشـيخ محمـد بـن أحمـد العقيلـى، تحـت عنـوان **"مذكـرات سـليمان شـفيق باشـا متصـرف عسـير"** نـادى أبهـا الأدبـى، الطبعـة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

- المبرد، أبو العبـاس، محمـد بـن يزيـد (٢٨٥هـ)

**الكـامل في اللغـة والأدب**، مكتبـة النصـر، الريـاض، ١٣٨٦هـ.

**نسـب عدنـان وقحطـان**، تحقيـق عبـد العزيـز الميمنـى الراجكوتـى، الدوحـة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- ابـن المجـاور، جمـال الديـن أبـو الفتـح يوسـف بـن يعقـوب بـن محمـد، الشـيبانى الدمشـقى، المعـروف بـابن المجـاور.

**صفـة بـلاد اليمـن وبعـض الحجـاز، المسـمى "تـاريخ المسـتبصر"** اعتنـى بتصحيحـة وضبطـه، أوسـكر لـو فغريـن، ليـدن، بريـل ١٩٥١م.

- ابن أبي مخرمة، عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد، الشهير: بالطيب باخرمة (٩٤٧هـ)

**تاريخ ثغر عدن**، طبعة بريل، ليدن ١٩٢٦م، ضمن مجموعة.

- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦هـ)

**مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط:٢، المكتبة التجارية، القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

**التنبيه والأشراف**، بتصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

- ابن المطاع، أحمد بن أحمد بن محيي

**تاريخ اليمن الإسلامي**، من سنة ٢٠٤هـ إلى سنة ١٠٠٦هـ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، شركة التنوير، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

- المقحفي، إبراهيم أحمد

**معجم المدن والقبائل اليمنية**، دار الكلمة، صنعاء ١٩٨٥م.

- م.ب.بيوتروفسكي

**اليمن قبل الإسلام، والقرون الأولى للهجرة**، تعريب محمد الشعيبي، دار العودة، بيروت ١٩٨٧م.

- الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد، النيسابوري (٥١٨هـ)

**مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط:٣، دار الفكر، القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

- النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ)

**نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب، القاهرة.

- د. النونو، وليد محمد محسن

**النزاع اليمنى ـ السعودى حول الحدود**، القاهرة ١٩٩٤م، الطبعة الأولى.

- م. الهاجرى، يوسف.

**السعودية تبتلع اليمن**، لندن، ط(١) ١٩٨٨م.

- ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن هشام بن أيوب (٢١٣هـ)

**السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط:٣، دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

- أبو هلال العسكرى، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (بعد٤٠٠هـ)

**الأوائل**، تحقيق د.وليد قصاب، ومحمد المصرى، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.

- الهمدانى أبو محمد، الحسن بن أحمد بن يعقوب (٣٤٤هـ)

**الاكليل**، ج١٠، تحقيق محب الدين الخطيب، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

**صفة جزيرة العرب**، تحقيق الشيخ محمد بن على الأكوع، وتقديم الشيخ حمد الجاسر دار اليمامة، الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

- الواسعى، عبد الواسع بن يحيى

**تاريخ اليمن، المسمى "فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن"** ط:٣، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ١٤١٢هـ/١٩٨٢م.

- ابن واضح، أحمد بن أبى يعقوب (٢٩٢هـ)

**تاريخ اليعقوبى**، دار الفكر، بيروت.

- الواقدى، محمد بن عمر بن واقد (٢٠٧هـ)

**المغازى**، تحقيق د.مارسيدن جونس، مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٦م.

- ابن الوزير، عبد الله بن على

**تاريخ اليمن، المسمى "تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى"** تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، وتقديم عبد الصمد القليس، منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمن، دار المسيرة، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

- ولينكسون، جون.س.

**حدود الجزيرة العربية**، قصة الدور البريطانى فى رسم الحدود عبر الصحراء، ترجمة: مجدى عبد الكريم، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- وهبة، حافظ.

**جزيرة العرب فى القرن العشرين**، مكتبة النهضة، القاهرة ١٩٦١م.

- الويسى، حسين بن على

**اليمن الكبرى**، مطبعة النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٢م.

- ياقوت الحموى، شهاب الدين أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومى (٦٢٦هـ)

**معجم البلدان**، دار صادر، بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

**المشترك وضعاً والمفترق صقعاً**، مكتبة المثنى ببغداد.

## رابعاً: الدوريات

- مجلة العرب، الجزء ١، ٢ للسنة ٣٠ ـ رجب/شعبان ١٤١٥هـ (يناير/ فبراير ١٩٩٥م) مقالة للأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى، ص٦٧.

## خامساً: وثائق

مجموعة من الوثائق العثمانية، أصولها محفوظة بالأرشيف العثماني باستانبول.

# المحتويات

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

رقم الايداع ٤٩٥٨ / ٩٦
الترقيم الدولى I . S . B . N ٩٧٧ – ١٩ – ٠٦٩٦ – ٨

مطابع دار التعاون للطبع والنشر